كتابي

حواء الجديدة

وكتب أخرى

حلمي مراد

٨ كتب
٨ قروش

حَــواء الجديــدة

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) الناشر «كتب للجميع»
أوسكار وايلد (حياته، وفنه، ومأساته) الناشر «البلاغ»
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر «روايات الهلال»
انا كارنينا لتولستوى الناشر «روايات الهلال»
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر «روايات الهلال»
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز الناشر «روايات الهلال»
أوجينى جرانديه لبلزاك الناشر «روايات الهلال»
«كتابى» الاول: «خطايا الحب» وكتب اخرى مارس سنة ١٩٥٢
«كتابى» الثانى: «قلب عذراء» وكتب اخرى ابريل سنة ١٩٥٢
«كتابى» الثالث: «الهاربة من الجنة» وكتب اخرى مايو سنة ١٩٥٢

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف: الهلال، المصور، الاثنين، الكواكب، مسامرات الجيب، البلاغ، الكتلة، الرسالة، الثقافة، الراديو المصرى، الحديث (دمشق)

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره: حلمى مراد

المكاتبات: ١٨ شارع العباسيين، مصر الجديدة — ت ٦٥٦٠٨

الاشتراكات: عن ١٢ عددا: مصر والسودان: ٨٠ قرشا. سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية. الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الرابع: يونيو ١٩٥٢

رمز الكتاب: مصباح الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

عزيزى القارىء ..

اريد فى حديثى اليك اليوم ان اجيبك على الاقتراحات والاستفسارات التى تجمعت لدى من رسائلك الكريمة المتنوعة بشأن « كتابى » .. الذى ارجو ان تعتبره على الدوام « كتابك » :

باب جديد ..

◆ وابدأ بالرد على اقتراحك ، الذى تكرر فى عشرات من الرسائل ، بشأن انشاء أبواب جديدة فيه (بالاضافة الى أبوابه الحالية وابوابه الاخرى المقبلة التى اعلنت عنها فى العدد الماضى وفى الصفحة التالية من هذا العدد) .. ولما كانت الابواب المقترحة تختلف وتتشعب بقدر اختلاف ميول مقترحيها ونزعاتهم .. ولما كان ادخالها جميعها فى كل عدد أمرا متعذرا - بل مستحيلا - والا لتضاعفت أبواب الكتاب ، ونقصت صفحات كل باب ، الى حد يفقده طابعه الخاص الذى احببته من اجله .. لذلك رايت ان اوفق بين رغباتك جميعا - جهد الطاقة - فانشىء لك بابا جديدا عاما ، متغيرا - أو ما يطلق عليه بالانجليزية (Miscellaneous) يقدم لك فى كل عدد كتابا فى موضوع مخالف للموضوع الذى تقرؤه فى نفس الباب فى العدد الذى يليه ، وهكذا .. بحيث يدخل فى نطاق الباب المذكور اى كتاب ، من اى لون ، يتعذر ان ينطبق عليه عنوان اى باب من الابواب السبعة الاخرى ، المحددة الهدف والاتجاه .. وبذلك يغنى الباب المذكور عن عشرات الابواب .. والى ان تتم لى وسائل استكمال برنامج هذا الباب الجديد ، كى اطالعك به ، استطيع ان اعدك فى صدده بشىء واحد ، واقيد نفسى بشأنه بقيد واحد : هو ان يكون القاسم « المشترك » الوحيد الذى يربط بين كتب ذلك الباب : أن يكون كل كتاب منها شائقا ممتعا .. لكل قارىء !

اعادة طبع العدد الاول !

◆ وقد اوضحت لك فى العدد الماضى ، فى احدى اجاباتى الخاصة على « بريد كتابى » ، ان نسخ العدد الاول منه قد نفدت جميعها ، لا من أيدى الباعة والاكشاك والمكتبات فقط ، بل من يدى انا أيضا !.. وزدت على ذلك انى قد اعدت ثمن العدد بالبريد لكل من ارسله الى .. لعجزى عن اجابته الى طلبه !

حلمى مراد

(البقية على صفحة ١٧٠)

اقرأ فى «كتابى» .. قريبا

الابواب الجديدة التالية :

مآسى التاريخ الكبرى

سبايا «بيزنطة» الفاتنات ، ابن نابليون ، «جوانا» ملكة أسبانيا التى جنت من الحب والغيرة ، لغز الجلاد ، مأساة « تيبريوس » حاكم روما المتوحش ، لعنة « جلنكو » ، غلطة مفجعة لامير غسقونى (من قصص العصور الوسطى) ، امبراطورية «أتيلا» ، مأساة «جنيفر» ، الحانة ذات الفراش القاتل ، لغز مصرع سير ادموند جودفرى .. الخ

لكل رسالة قصة

أشهر الرسائل المتبادلة بين العظماء وقصة الظروف التى احاطت بكل منها : رسائل لنابليون ، جوته ، ليدى هاملتــــون ، مدام دى سيفينيه ، مدام دى بومبادور ، الامبراطورة كاترين ، عشيقة جان جاك روسو ، لورد بيرون ، بلزاك ، هاينى ، بودلير ، بسمارك ، ميكيافيللى ، جورج صاند ، دانتى ، تشيكوف ، كبلنج ، لورنس بلاد العرب .. الخ

شهيرات النساء

باقة عطرة من سير نساء خلدت اسماؤهن وتفوقن على الرجال : كليوباترة ، تيودورا ، جان دارك ، مارى ملكة اسكتلندة ، كريستينا ، مدام دى مانتنون ،شارلوت برونتى ، نل جوين ، «جورج» اليوت ، اليزابيث باريت براوننج ، فلورنس نايتنجيل ، سارة برنار ، ايزادورا دنكان ، مدام شيانج كاى تشيك ، هيلين كيلر .. الخ

اعظم الخطب

خطب شائقة لاعظم خطباء العالم القديم والحــديث ، فى كل موضوع : فى السياسة والوطنية ، السلم والحرب ، الادب ، والفن ، والعلم ، والاختراع ، والدين ، والفلسفة ، وتأبين العظماء ، والدفاع عن النفس لنفى تهم ظالمة ، وخطب العظماء المحكوم عليهم بالاعدام ، على أثر صدور الحكم.. الخ .. الخ

اقرأ فيه خطبا لهؤلاء : بركليس ، سقراط ، ديموستين ، كاتو ، هانيبال ، شيشرون ، يوليوس قيصر ، مارك انطونى ، كرومويل ، فردريك الاكبر ، كامى ديمولان ، ميرابو ، دانتون ، مارا ، روبسبيير ، لنكولن ، رابندرانات تاغور ، غاندى ، هتلر .. ومن عظماء مصر : محمد فريد ، مصطفى كامل ، سعد زغلول .. الخ .. الخ

آخر قطار.. إلى السعادة!

قصة مصرية : للمحرر

- ١ -

◆ أحس ، وهو يحزم أمتعته للسفر ، بانشراح غريب ٠٠ وانتابته فرحة التلميذ البليد حين يستقبل اليوم الاول من عطلة الصيف ! ٠٠ فانبعث من فمه صفير مرح ، لا عهد له به ، ومضى «يدندن» دون وعى باحدى الاغانى الجديدة الشائعة ٠٠

ثم تنبه لنفسه ٠٠ فتلفت حوله خجلا ٠٠ واذا خادمه النوبى المسن فى أقصى الغرفة ، يبتسم ! ٠٠ فاحمر وجهه ، وقد ألم به شىء من الارتباك حاول تداركه بأن نادى الخادم وكلفه بحمل الحقائب الى السيارة ٠٠!

وعجب من أمره !٠٠ كيف خانه وقاره الى هذا الحد ، فأنساه نفسه ، وأسلمه الى هذا « النزق » ؟ ٠٠ وهل يليق برجل فى مكانته ، وسنه ، أن يفقد اتزانه على هذا النحو ؟

وفرغ من اعداد حقيبته الاخيرة فسلمها للخادم وتناول طربوشه ، ثم مضى الى الباب ٠٠ وبعد أن أغلقه خلفه أعاد قراءة لافتة صغيرة من الورق كان « التمورجى » قد ألصقها عليه :

> **عيادة الدكتور**
>
> **رأفت بك سامى**
>
> **مغلقة خلال شهر يونيو بسبب**
>
> **تغيب الطبيب فى المصيف**

ثم مضى يهبط السلم ٠٠ وكم كانت دهشته حين فاجأ نفسه متلبسا بحماقة اخرى : انه يهبطه فى خفة ورشـــاقة ابن العشرين !٠٠ **بل انه ليحس بحماســـة الشباب تعاوده ، وحرارته تسرى من جديد فى عروقه ٠٠ فماذا دهاه ؟٠٠ ما سر هذا المرح الشاذ الذى يستخفه ٠٠؟ ألأنه قد سمح لنفســـه بأول اجازة طويلة منذ أعوام ؟ ٠٠ أم ٠٠ ؟**

◆ وتهلل وجهه بشرا وهو يذكر الاعتبار الآخر !٠٠ وكان قد بلغ الشارع ، فمرق الى سيارته ٠٠ واذا كلبه المدلل «هانى» قابع فى داخلها على المقعد المجاور ينتظره ، بادى الاكتئاب٠٠ فربت بيده على رأسه معتذرا فى لهجة عطف رقيقة : « عفوا يا هانى ٠٠ كدت أنساك ! »

ينساه ؟ ٠٠ انها أول مرة يحدث فيها ذلك لهانى !٠٠ فما خطب سنيده ؟

وانطلقت بهما السيارة تنهب الطريق الصحـــراوى ٠٠ الى الاسكندرية .

- ٢ -

◆ وقبيل الغروب كان رأفت يجلس فى ركن منعزل من كازينو « جليم » ، وحيدا ٠٠ لا يفسد وحدته انســـان ، ولا حيوان ! ٠٠ حتى كلبه المدلل تركه فى الفندق ولم يحضره معه ٠٠ فقد أراد أن يخلو بنفسه ، ويفكر فى أمـــره ٠٠ فى حياته التى تنصرم أعـــوامها سراعا ، لا تلوى على شىء ! ٠٠ منذ متى لم تتح له فرصة كهذه للتفكير الهادىء ، والتأمل

الطويل ٠٠ الذى لا يقطعه طرق على الباب ٠٠ ولا جرس تليفون ٠٠ ولا دعوة من مريض ٠٠ ولا زيارة من صديق !؟ ٠٠ حقا ، ماأقسى أن يكون المرء جراحا مشهورا فى مدينة كالقاهرة ، تجود كل يوم بالجرحى والمصابين فى سخاء عجيب !

ولكن ، ترى هل هو قد جاء حقا ليخلو بنفسه ؟ ٠٠ أم ليخلو بالبحر ، ويقدم له حسابا عن الاعوام الطويلة التى قضاها بعيدا عنه ؟ ٠٠ لقد انقضى دهر على آخر مرة حضر فيها الى الاسكندرية ! ٠٠ كان يومئذ شابا ينضح فتوة ، ويتطلع الى مستقبله المرموق بعين المشفق ! ٠٠ أما الآن فقد وصل ، لكنه قد بدأ يدفع الثمن : هذه الشعيرات البيض التى دب دبيبها فى رأسه ، قبل الاوان ! ٠٠ أهكذا مصير كل حى أن يهرم ؟ اذا فلماذا لا يهرم البحر ، هذا الحى الملىء بالحياة والاحياء ؟ ٠٠ حدثه أيها البحر عن سر شبابك المتوثب الخالد ٠٠ !

وأرهف سمعه للبحر ٠٠ لكن البحر لم يسعف فضوله ، بغير ذلك الهدير المتصل ، وتلك الغمغمة الغامضة ٠٠ التى تسمع فى سكون الليل كأنها همسات مختلطة تتبادلها مئات الارواح الخفية ، بلغة غير مفهومة !

وهبت على وجهه نسمات لينة حلوة ، خيل له أنها لمسات يد سحرية تمسح على جبينه فتملأه انتعاشا وانشراحا ، وتمتص من جسمه ونفسه تعب واجهاد أعوام ! ٠٠ يا الله ! أفى الدنيا كل هذه الراحة ، والمتعة ، والهدوء ٠٠ وهو غافل عنها ؟

وأحس بحسرة مفاجئة تلدغ قلبه ٠٠ حسرة على أعوام شبابه الذهبى التى أضاعها فى الجد ، والكدح ، والعمل المتواصل ! ٠٠ بل حسرة على حياته القاتمة التى ينفقها فى طلب

الشهرة ، وجمع المال : هذين السرابين الزائفين اللذين كلما بلغ منهما ازداد اليهما شوقه ! •• وكلما اغترف منهما تضاعف اليهما ظمأه !•• كم من أعوام ، ومتع ، ومسرات أضاعها فى « سوق المجد » هذه ، كى يشتريه •• فما اشتراه فى النهاية الا بدمه ، ودمعه ، وشبابه •• بأبهظ ثمن !؟

◆ فماذا أفاده كل ذلك ، وقد ذبلت زهرة عمره وذوت أينع أعوامه ، وهو غافل عنها ، ماض فى حماقته يسابق أقرانه ويلهث •• كالجواد الغبى الذى يلهب راكبه ظهره بالسياط كى يربح السباق •• لغيره ! •• أو كالثور المعصوب الذى يدير الساقية ليروى غلة سادته القساة المستغلين ؟

•• والا فلمن جمع هذا المال وكدسه ، وهو الاعزب الذى لا زوج له ولا ولد ؟•• لمن الا لحفنة الغرباء الذين لا يمتون اليه بصلة ، والذين سخرته الاوضاع أداة بلهاء تكد وتكدح لملء جيوبهم بعرق جبينه : لصاحب البيت ، وبائع السيارة ، وخائط الثياب، وتاجر الكماليات ، وغيرهم ممن ينتفعون من ماله برغمه، أو ينثره هو عليهم بنفسه ؟

ياحماقته !•• أهكذا شاء لنفسه أن يكون ذلك المخدوع الكبير الذى يقتات من خيره الجميع ، دون أن يشاركه مجده أحد ، أو واحدة ؟ •• انه الآن طبيب مشهور ، وثرى كبير •• لكن قلبه يعانى من الوحشة ما لا يعانيه أى مغمور فقير !•• وان نفسه لتذوب حسرات كلما تذكر انه قد جاوز الاربعين ، وبدأت شمس حياته فى المغيب ، وهو •• لم يتزوج بعد !

ولكن •• لماذا يلوم نفسه ، أو تلومه نفسه ؟•• وهل كان هو المسئول عن هذا المصير ؟ •• أم كان ضحية تعسة لعبث

المقادير ؟ •• انه لا يستطيع أن ينسى أنه كاد يغدو زوجا ورب أسرة ، منذ دهر طويل ، لولا •• ؟

◆ وتملكه حنين قوى الى أن يبعث ماضيه من مرقده، ويعيشه من جديد ! •• فامتدت يده فى اجفال الى جيبه ، تتحسس شيئا فيه ، ثم خرجت منه بـ •• بصورة •• لم تكد تسقط عليها أضواء المصباح الازرق حتى أضاءت معالمها، ودبت فيها الحياة!•• فدبت فى أوصاله رعشة قوية ، وألقى بصره الى البحر المعتم•• وقد غامت عيناه !

حدثيه أيتها الامواج عن سره ، وقصى عليه ما كان من أمره !

••وتلاطمت أمامه الذكريات •• فألقى بنفسه فيها، وراح يسبح •• نحو ذلك الشاطىء البعيد الذى بدأ منه قلبه رحلته الطويلة ، آنا يطفو ، وآونة يغوص •• تارة يبلله الندى ، وتارة يبلله الدمع••ولكنه دائما يسبح نحو الشاطىء المرموق•• شاطىء الاحلام !

- ٣ -

◆ حى المنيرة •• فى شتاء سنة ١٩٢٧ !

كان رأفت فى عامه الاخير بكلية الطب ، أحرص ما يكون على النجاح فى الدبلوم فى الشتاء التالى •• وجمعت شهور « الحشر » العصيبة تلك بينه وبين اثنين من زملائه : « خيرى » و « منير » •• فاتفقوا ثلاثتهم على الاستعـــانة على الســـهر بالاستذكار سويا ، كل ليلة فى منزل واحد منهم ، بالتناوب ••

لكن شرط «التناوب» ذاك لم يلبث ان اهمل من الاتفاق ٠٠ لم يكد منير يعرض على زميليه ـ ايثارا للراحة ـ ان تنحصر سهراتهم الدراسية فى بيته هو ٠٠ حتى رحب رأفت بالفكرة فورا ، واقنع خيرى بقبول تلك التضحية عن «طيب خاطر» ، حرصا على ارضاء منير ، فى الظاهر ٠٠ وانسياقا فى الواقع وراء عامل آخر ، هو سحر عينى «عايدة» ٠٠ اخت منير !

وظلت عينا عايدة «البوصلة» التى ترشد رأفت الى طريق بيتها كل مساء ، فيسير على هديها مسلوب الارادة موزع الفكر ! ٠٠ ورغم انه لم يكن يراها طوال ساعات الدرس الا لحظات ـ حين تقبل على الغرفة حاملة زاد «الثلاثة النجباء» من الشاى والقهوة والبسكويت، ثم تلقى اليهم بضع كلمات تنطوى على التشجيع والحث على الاجتهاد ، وتخرج ! ـ فان تلك اللحظات كانت تفعل فى الفتى فعل السحر ، وتمده بنشاط خارق وحماسة مضاعفة للدرس والتحصيل ٠٠ فلما انتهى العام الدراسى كان ترتيبه «الاول» بين الناجحين ! ٠٠ لكن فرحته بالاولوية تضاءلت أمام لذة ظفره بعبارة تهنئة عذبة من شفتى عايدة ، ونظرة اعجاب بنبوغه ٠٠ من عينيها !

◆ ثم سافر الزملاء الثلاثة الى الاسكندرية ، للتزود منها

بفترة استجمام قبل استئناف دراستهم استعدادا لامتحـــان الدبلوم الاخير الذى يعقد فى الشتاء التالى ··· وفى المصيف نما اختلاط رأفت بأسرة منير ، وبعايدة على الخصوص ! ·· فتأصلت جذور حبها فى قلبه ، وجعل يداعب خياله أمل واحد باسم : أن يبادر بمفاتحتها فى أمر زواجهما ·· بمجرد تخرجه!

ولم تكن بينه وبين « الجنة » غير ستة شهور !

ولكن ··

- ٤ -

أتذكر يا رأفت ·· تلك الليلة المقمرة الرائعة ، حينما مر بك خيرى بعد العشاء ، فخرجتما للتريض سويا على شاطىء « جليمونوبولو » ـ حيث أنت الآن ؟

·· كانت الرمال الساجية ثملة بخمرة الليل والحب ، تكشف صدرها لقبلات القمر ! ·· والبحر الغيور يعربد هائجا صاخبا ، ويرغى ويزبد ·· والمساكن الخشبية المتناثرة نائمـة بين ذراعى الليل ، تحتضن حسان الثغر وضيفاته الفاتنات ·· والهواء يرف على الوجوه ناعما نديا ·· والوجود كله يـؤذن للهوى والشباب والطرب ·· !

·· فسرى اليكما سحر الكون النشوان، وجركما الحديث الى ·· الحب ! ·· وفيما أنت شبه شارد عن خيرى ، تراود ترددك بين مصارحته بقصة حبك أو كتمانها عنه··لحظت عليه بدوره أعراض شرود ـ وتردد ! ـ فسألته مازحا عما به ؟ ··

◆ وكان سؤالك بمثابة اللمسة التى أشالت كفة تردده!··

فاذا هو ينهى اليك ان عنده لك بشرى لا شك سوف تفرحك ، كصديق قديم مخلص ٠٠ لكنه حريص – قبل أن يزفها اليك – على الاعتذار لك عن كتمان أمرها عنك حتى الآن ، فانها ما تزال « سرا » لا يليق أن يذاع قبل أوانه : انه و «عايدة» متحابان ، ومتفاهمان على اتمام زواجهما عقب نجاحه فى الدبلوم مباشرة !

وانقض عليك النبأ المفجع بلا رحمة ! ٠٠ فألم بك ارتباك أليم ، لم تدر معه أتضحك أم تبكى ؟٠٠ أتفرح له ؟٠٠ أم تحزن على نفسك ؟٠٠ أتهنئه ، أم تسأله أن يعزيك ؟

◆ وأمدتك الصدمة فى البداية بجمود كأنه الشجاعة ، أعانك على اخفاء تأثرك وقمع مشاعرك ٠٠ فسايرته فى الحديث حتى تغيرت دفته ٠٠ وعندئذ أطلقت لعاطفتك العنان ٠٠ خيل اليك برهة ان تناشده بحق صداقتكما أن يستل خنجره الذى أغمده فى قلبك ، ويقول انه انما كان يمزح ! ٠٠ لكن قلبك أكد لك أنه جاد ، فابتلعت حماقتك وهى بعد جنين فى فكرك ٠٠ ودخلت فى حساب عسير مع نفسك : لمتها على جمودها الذى أوحى اليها أن تقنع ، فى القرن العشرين ، بحب « من طرف واحد » ، مطوى بين الجوانح !٠٠ وقرنت لومك بحجة وجيهة : لو انك فاتحت عايدة منذ البداية فلربما كنت سبقت خيرى الى قلبها ، أو فى القليل طلقت هواك الخاسر قبل أن يستفحل فيستعصى عليك استئصاله ٠٠ !

لكن نفسك ردت التهمة اليك صائحة : «من منا الغبى ؟٠٠ لقد جعلت همك الى الدراسة والنجاح والتفوق، فى الوقت الذى كان فيه خيرى يزحف الى قلب العذراء زحفا حثيثا ! ٠٠ فظفرت أنت بالاولوية فى العلم ، وظفر هو بالاولوية فى الحب !٠٠

فمن منكما بربك الظافر ؟ »

◆ ولم تجب ، فان كل خالجة فى قلبك وعقلك كانت تنطق بالحسرة وتصيح فى وجهك : « لقــد فاتك أول قطار ٠٠ الى السعادة ! »

- ٥ -

٠٠ وكما فاتك القطار الاول ، فاتتك قطارات كثــيرة تالية ! ٠٠ فقد تبلد قلبك من أثر الصدمة ، ولم تعد تعنيك امرأة بعينها ، فلم تر داعيا الى العجلة !٠٠ والانسان اذا فاتــه زواج الحب فى شبابه لم يبق أمامه غير زواج «المصلحة» !٠٠ والحب لا يعرف المنطق ، بل يفرض ارادته الصارمة ويوصد باب التردد والاختيار ٠٠ أما المصلحة فلها منطق مطاط يقبل الجدل والنقاش ، ويعتمــد على الروية ٠٠ والمفاضــلة ٠٠ والتسويف ! ٠٠

◆ وهكذا وجدت نفسك تسوف ، وتستجيب للنداء الرجعى المألوف الذى يزعم أن الزواج المبكر يعرقل مستقبل الرجــل الطموح ، فآثرت أن تبنى مجدك أولا ، حتى اذا ما دانت لك الشهرة والمال ، دانت لك دولة النساء ٠٠ وانفتح أمامك مجال فسيح للاختيار !

لكن تلك كانت طامتك الكبرى ، التى قادتك الى الموازنة والطمع ، والطمع قادك الى التردد ، والتردد قادك الى الارجاء٠٠ حتى جاوزت الاربعين وأنت ما تزال ٠٠ أعزب !

أفلست نادما ؟

- ٦ -

وأى نادم ؟!

ان السنوات العشرين التى قضاها قلبه يغانى وحشة كئيبة ، كآبة هذا البحر الاسود المخيف الذى أمامه ، كانت سنوات مفعمة بالهناء البيتى والزوجية السعيدة والابوة القريرة، بالنسبة ٠٠ لخيرى ! انه لم يبلغ مرتبة أطباء الطليعة ذوى الاسماء اللامعة ــ مثله هو ! ــ لكنه عاش دائما ناعم البال ، قانعا بدخله المحدود وأسرته الصغيرة المحبوبة ، التى يحوطها برعايته وتحوطه بقلوبها ٠٠ انه الآن أب لثلاثة : «صفية» التى أتمت دراستها أخيرا ، « وماجد » و «عادل» اللذين يصغرانها ٠٠ أما عايدة فكانت له على الدوام نعم الزوجة ، ولهم نعم الام ٠٠

وأما هو ــ رأفت ــ فكان للاسرة دائما نعم الصديق الوفى، للخمسة ، يزورهم كل حين فيقضى فى عشهم الهانىء أوقاتا عذبة ، ويريق عليهم حبه النبيل وصداقته الخالصة ٠٠

الخالصة ٠٠ الى ما قبل شهرين ، حين طرأ على تلك الصداقة عنصر جديد ، لم يكن يخطر له على بال !

فلقد أصيبت صفية بما استدعى اجراء جراحة كبيرة لها ، فنقلها رأفت الى مستشفاه ، حيث أجرى لها العملية بنجاح ٠٠ ثم ظل يتعهدها بعنايته الفائقة ويجرى لها « الغيار » كل حين بنفسه، ويقضى معها وقتا كل ليلة يسرى عنها بأحاديثه ونكاته ٠٠

◆ وذات ليلة ٠٠٠

أصيبت الفتاة بنوبة ألم وضيق عصبى فى التنفس ، لم تفلح عقاقيره فى ازالته ، فخطر له أن يجرب معها علاجا سيكلوجيا ٠٠

جلس على حافة الفراش فى مواجهتها وتناول يدها فوق يده فجعل يمسح عليها براحة يده الاخرى فى رفق وهو يمنيها هامسا بقرب زوال آلامها ٠٠ واقتضاه ذلك الوضع أن ينحنى بجذعه نحوها ، ويقترب بوجهه من وجهها ٠٠ فسكنت نفسها تدريجا ، ثم أغمضت عينيها ٠ ولم تلبث أن أخلدت لنعاس مريح ٠٠

وخشى رأفت ان يسحب يده من يدها فتستيقظ ٠٠ فاضطر أن يبقى على وضعه ذاك بعض الوقت، يتأمل محياها الوضىء ٠ تكأنه محيا أمها «عايدة» فى شبابها : نفس الجبين ، وانسراحة الشعر ، وقسمات الوجه ! وتملكه شعور قوى بأنه أمام « عايدة » العذراء ، وراوده ميل ملح الى أن يطفىء جذوة غرامه القديم للام بقبلة طاهرة يطبعها على جبين الابنة!٠٠ فمال نحوه ، وبكل رقة العاشق العذرى تثمه كما يلثم العابد صنمه المعبود ٠٠ وأحس للفور بارتياح عذب ، وسكينة رائعة ! ٠٠

٠٠ وانه ليستمرىء لذة ذلك الشعور ، تحركت شفتاها بتمتمة خافتة ٠٠ فأجفل ! خشى أن تكون قد استيقظت وأحست قبلته ! ٠٠ لكن روعه أفرخ حين أيقن انها نائمة ٠٠ تحلم ! وتكررت تمتمتها فاستبانت مقاطعها : « رأفت ٠٠ حبيبى رأفت ٠٠ لكم أحبك !٠٠ أذكر هذا دائما ولا تبال بالعقبات٠٠!» ◆ ربّاه ! ٠٠ أهذا معقول ؟ كذب رأفت فى البداية سمعه ٠٠لكن سمعه أكد العبارة، وأضاف اليها كلمات أرق وأعذب!٠٠ لم يبق مجال للشك٠ اذن فهى تكن له كل هذا الحب ، وهو لا يدرى ؟ ٠٠ ولكن ، حقا ، كيف لم يلحظ ذلك من قبل : من ترحيبها بزيارته للبيت ٠٠ وميلها الى صحبته ، والجلوس

اليه ، والنقاش معه ؟ ٠٠ ثم من نظراتها ٠٠ وضحكاتها ٠٠ ومزاحها ؟ ٠٠ لقد طالما فسر كل ذلك برفع الكلفة الطبيعى الذى توجبه نظرتها اليه كشبه «عم» لها ٠٠ أما ان تحبه على هذا النحو ، فذلك ما لم يخطر له يوما على بال ، وما يحتاج منه الى زمن كى يوطن نفسه عليه ، ويهضمه ! ٠٠ ولكن ، لم لا ؟ أهى أول من أحبت رجلا يكبرها بعشرين عاما ٠٠ أو هو أول رجل فى الاربعين يتزوج من فتاة فى الثامنة عشرة ؟ ٠٠ أبدا ، فان ذهنه ملىء بالامثلة التى من هذا النوع ، والتى تتوالى كل يوم٠٠ فيالكرم الاقدار التى شاءت أن تسخر قلب الابنة كى يرد اليه جميل عاطفته نحو أمها !

- ٧ -

٠٠ وتغيرت منذ ذلك اليوم نظرته لصفية ، وطريقته فى معاملتها ، وعاطفته نحوها ٠٠ واستيقظ فى قلبه بغتة هواه القديم لامها ، مضاعفا ، مضافة اليه «فوائد» عشرين عاما ٠٠ وكأنه كان يدخره فى قلبه بالربا الفاحش !!٠٠ فأحب العذراء كالغريق ، بكل انفعال وتشبث العاشق فى سن الاربعين ٠٠ وجعل يتحين الفرص لمكاشفتها بالامر : بحبه هو بدوره لها ، ووقوفه على حبها !

◆ وفى غضون ذلك توالت عليه الشواهد معززة تفانى الفتاة فى حبه : كانت تتناول القلم أحيانا لتكتب نمرة تليفون « سينما » ، أو عنوان « خياطة » ، فلا تفرغ من ذلك حتى تروح تزركش الورقة دون وعى بكافة مشتقات اسم « رأفت » ، فى

عشرات الاوضاع والرسوم « الهندسية » ! •• أو كانت تنادى أخويها ، أو تجيب على التليفون ، فينزلق لسانها بالمقطع الاول من « رأفت » ثم تتدارك الامر فى آخر لحظة ، فلا يلحظه أحد •• سنواه !

وضاق صدره بالكتمان، وأضنته لهفته، كالطفل المفطوم•• فلما جاء موعد سفر خيرى وأسرته الى الاسكندرية ، أدرك رأفت أن فرصته قد حانت أخيرا •• فأزمع فى نفسه أمرا : أن يلحق بصفيه هناك ، ويزف اليها بشرى استجابة قلبه لعاطفتها •• فى أول خلوة يتيحها لهما البحر أو الشاطىء •

- ٨ -

•• وهذا هو قد حضر أخيرا الى الاسكندرية، التى شهدت مصرع غرامه الاول ، والتى سوف تبارك غرامه الاخير ! •• وهذا هو يجلس فى كازينو «جليم» يستعيد ذكريات هـــواه الكظيم ، ويعد الدقائق فى انتظار لقائه لفتاته !

•• كان قد خف الى بيتها ساعة الاصيل فلم يجد أحدا ، وقيل له ان الاسرة قد خرجت الى زيارة بعض الاصدقاء ، أما الفتاة فذهبت الى السينما ، ولن تعود قبل التاسعة ••

فكم بقى على التاسعة ؟ عشرون دقيقة ؟ اذن فقد آن له ان ينهض ، ويسرع الى فندقه كى يصلح من هيئته قبـــل أن يلقاها !

وأرسل قبلة نشوى الى البحر ، ثم مضى ••

◆ وأشرف أخيرا على البيت • انه لا يكاد يصدق نفسه ••

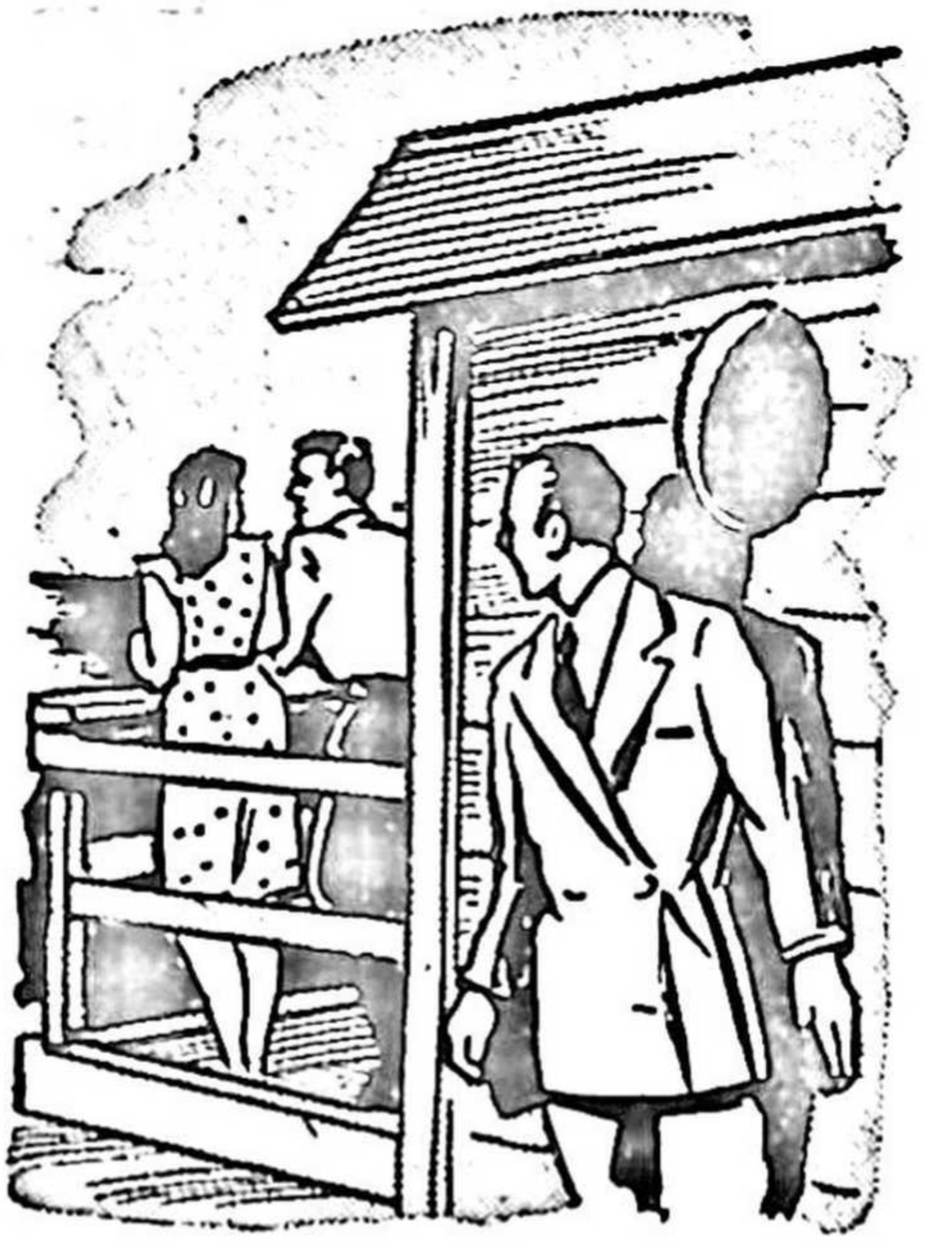

أحقا اوشك قطار السعادة ان يقله اليها ، وان يأخذمكانه فيه بين المحظوظين ؟

وكان يسير فوق الرمل المبلل المتماسك ، بمحاذاة الماء ، حتى بلغ البقعة المواجهة للبيت فعرج الى يمينه ، وشرع يخوض الرمال الجافة ميمما شطره ٠٠ وانه لينتزع قدميه انتزاعا ، **واذا همس صوت مألوف يصافح سمعه منبعثا من شرفة الكابينة الملحقة بالبيت ٠٠ انها صفية ! وخفق قلبه٠٠فهم ان يدور حول الكابينة فى اتجاه بابها ، لكن صوتا آخر صك أذنيه فجأة ، صوت رجل ! فتسمر فى مكانه ، والتصق بالجدار ينصت برغمه لما يدور خلفه :**

ـ لو تعلمين كم أحبك ياصفية ٠٠ لكن حبى هذا هو الذى يجردنى من الانانية ، ويجعلنى أشفق عليك من انتظار قد يدوم عامين ، أو ثلاثة !

ـ لا تخف يا حبيبى ٠٠ سأنتظرك عامين وثلاثة وأكثر ، حتى تنال الدبلوم وتعين ٠٠ وحتى لو عينوك فى مستشفيات الارياف أو الواحات فسوف أذهب معك وأنتقل فى ركابك ، وأسهر على راحتك ٠٠ ان حبنا الذى تخطى أعقد عوائق الماضى لن تقهره عقبة كهذه ، ولن يتململ من الانتظار ٠ أواه ، لكم أحبك يا «رأفت» !!

«رأفت» ؟؟ ٠٠ رباه !!

- ٩ -

وبلغ الفندق محطما ، خائـــر النفس والجسم والاعصاب ! ٠٠ وحين فتح باب غرفته ودخل ، لم يتحرك كلبه لاستقباله كعادته أو يبصبص بذنبه مرحبا ٠٠ بل ظل قابعا فى ركن الغرفة ، دامع العين ٠ انه ما يزال متأثرا من جحـود سيده !

ـ أهذا أنت يا «هانى» ؟

ـ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

ـ ألا تصفح عنى ؟ هاقد عدت اليك !

ـ حين هجرتك حواء ، وعدت وحيدا كما كنت ؟ ! دعنى أتشفى فيك يا جاحد ٠٠ !!

ـ حتى أنت ؟

ـ أرأيت ان المحظوظ «رأفت» آخر ، يا «دكتور» رأفت؟٠٠ أيها التعس ، كيف غاب هذا الاحتمال عن ذكائك الخارق ؟ ألى هذا الحد ختم الغرور على بصيرتك فلم يخطر ببالك ان فى الدنيا رأفت آخر تحبه النساء غيرك ؟ ٠٠ وبأى عقل توهمت ان زهرة نضرة كصفية يمكن أن تحب «كهلا» مثلك فى سن أبيها ؟ بل كيف سولت لك أنانيتك أن تقبل اقتراف «جريمة» كهذه ، حتى لو قبلتها هى ، وأقدمت طائعة على الانتحار ؟

ـ هانى ٠٠ كفى ! ألا تفهم ؟ حسبتها تحبنى !

ـ تحبك؟٠٠ أنت ؟ يامن شاخ قلبه ، وبليت عواطفه ، ومات وجدانه صريع عبوديته الذليلة للشهرة ، والمال ، وأحلام المجد ؟ ٠٠ انك « حطام » رجل ، فماذا تحب الفتـــاة فيك : جاهك، ثراءك، نبوغك ؟ انها كلها تخر صاغرة أمام فتوة غريمك وشبابه ٠٠ وفقره !٠٠ وأنت بها كلها لا تملك أن تشترى قلب عذراء ! ٠٠ فاحذر أن تعترض طريق «صفية» بعد الآن ، أو تقف فى وجه حبها!٠٠ أغرب عنها بوجهك الكالح وشعرك الاشيب٠٠ أيها العجوز المتصابى !

ـ رفقا بى !

ـ وهل ترفقت انت بنفسك ؟٠٠ايها الغبى٠٠ماذايجدى الانسان لو ربح ملك سليمان ، وخسر سعادته ؟ فليرد اليك مجدك لحظة واحدة من لحظات سعادتك الضائعة، ان استطاع!٠٠ أتبكى ؟٠٠ يا مسكين ، انى أرثى لك ، فان آخـــر قطار الى السعادة ٠٠ قد فاتك !!

عندما يرتفع الستار..

روائع المسرح العالمي
(التمثيلي.. والغنائي)

عزيزي القارىء ...

قدمت لك في العدد الاول من « كتابي » مسرحية من لون « الدراما » هي «خطايا الحب» لاوسكار وايلد ... وفي العدد الثاني قدمت لك مسرحية من لون آخر ـ هو لون « التراجيدي » ـ واعني بها مسرحية « الحب الآثم » لتولستوي .. وفي العدد الماضي انتقلت بك الى لون الكوميديا فقدمت لك تحفة « جوجول » الخالدة (نزاهة الحكم) ..

وفي الاعداد القادمة ستقرأ في هذا الباب بمشيئة الله المسرحيات الخالدة التالية :

برناردشو : (بيجماليون) أوسكار وايلد: (الزوج المثالي) مكسيم جوركي: (الصعاليك ، الام ، الاعداء ، البرابرة) انطون تشيكوف : (بستان الكرز ، الشقيقات الثلاث ، العم فاتيا ، العيد السنوي ، الزفاف) دانونزيو : (الجيوكوندا) بيرانديللو : (الحياة نفاق) جوته : (فاوست) ابسن (أعمدة المجتمع ، مهزلة الحب، عصبة الشباب) فيكتور هوجو : (هرناني ، ماريون ديلورم) موليير : (مدرسة الزوجات ، المريض الموهوم ، البخيل ، طرطوف ، طبيب برغم أنفه) فولتير : (زايير) شكسبير : (ترويض النمرة ، هملت ، عطيل ، ماكبث ، روميو وجولييت ، تاجر البندقية ، حلم ليلة صيف ، الليلة الثانية عشرة ، قيصر وكليوباترة ، العاصفة) سوفوكل : (أوديب الملك ..الخ

سلاح المرأة!

كوميديا كبرى

للكاتب اليونانى القديم

"أريستوفان"

شخصيات الرواية

ليسستراتا : حسناء من حسان أثينا	Lysistrata
امرأة من نساء « أثينا »	Athenian Woman
الحاكم	Magistrate
جوقة (كورس) من الرجال	Male chorus
جوقة من النساء	Female chorus
جوقة مشتركة من الجنسين	Joint chorus
امرأة من نساء اسبرطة	Spartan Woman

زمان الرواية : حوالي عام ٤٠٠ قبل الميلاد .

مكان الرواية : أثينا عاصمة بلاد اليونان .

المؤلف

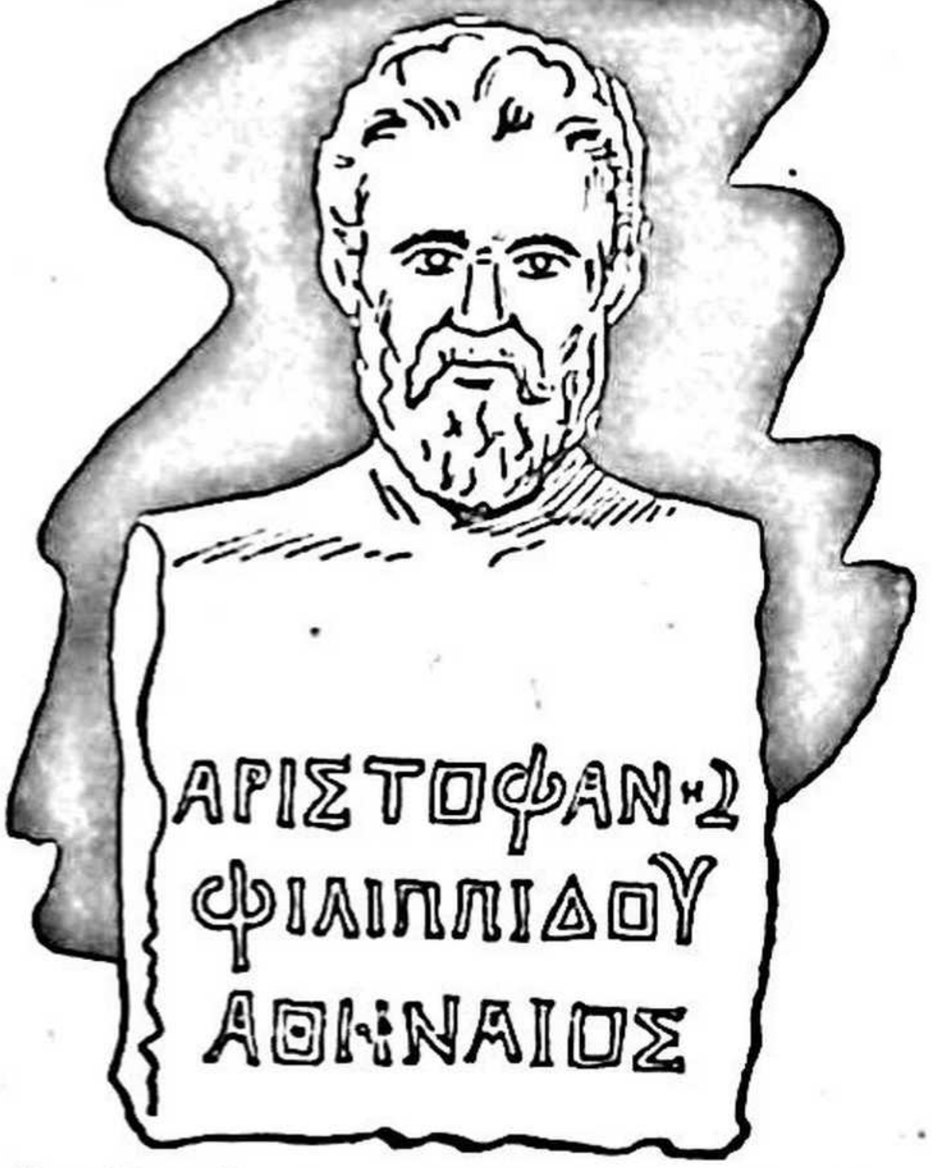

.. هو شاعر الاغريق المرح وعميد كتاب الكوميديا القديمة «اريستوفان» .. عاش بين عامى (٤٤٨ ـ ٣٨٥) قبل الميلاد ، فى فترة من أحرج الفترات التى مرت بدولة أثينا الديمقراطيـة العريقة ، فترة حربها الضروس مع مملـكة « اسـبرطة » الاوتوقراطية العاتية .. وقـد أوحت له أهوال تلك الحـرب المروعة بفكرة المسرحية الهزلية الساخرة التى اقدمها لك فيما يلى ، والتى تمتاز بعمق المغزى وطرافة القالب والسياق فى آن معا .. كما سترى .

كان اريستوفان ـ على حد تعبير «فولتير» ـ يضحك ، كى يمنع نفسه من الانتحار .. وقد حول ماساة الحياة الى مزحة وفكاهة ، وقلب جدها هزلا وتهريجا .. وبذلك مكن مواطنيـه من ان ينسوا متاعبهم .. لكنه اجبرهم فى الوقت نفسه على ان يفكروا ويمعنـوا الفكر ! .. فهو لم يكن مجرد كاتب كوميدى ، بقدر ما كان ساخرا .. احب الحكمة فى عصر حفل بالحماقة ، وأولع بالسلم فى عصر كان يمجد الحرب ! .. وكره خداع الساسة ، وخبث تجار الموت ، واستهتار زعماء الدهماء ! .. كان سلميا ، محافظا ، وانت تلمس منه هاتـين النزعتين فى اكثر المسرحيات الاحدى عشر التى « بقيت » الانسانية من تراثه ـ اما التسع والعشرين مسرحية الاخرى التى كتبها فقد فقدت! ـ وفى هذه الكوميديات الاحدى عشر بحث اريستوفان ـ بصراحة رائعة ـ اغلب المشكلات السياسية والاجتماعية التى ما يزال يضطرب بها العالم المتمدين حتى يومنا هذا : مشكلات الحرية ، والمساواة ، والاخوة ، والاشتراكية ، والفوضوية .. وحقوق المراة ، واساليب التربية « الحديثة » ، والسلم ، والحرب ، والدين .. الخ

ويمتاز حوار اريستوفان باثارته للتفكير وشحذه للاذهان ، اذهان قراء ونظارة اليوم ، مثل شحذه لاذهان اسلافهم منذ الفى واربعمائة عام ، سواء بسـواء ! .. وكم من كوميـديا عصرية تدين بنجاحـها « وروحها » الفكهة لصدى فكاهات اريستوفان الخالدة على مر الزمان .. !

.. ليت زعماء العالم ورؤساء الدول جميعا يقرأون هذه الكوميديا الطريفة ـ العميقة المغزى ـ بل يحفظونها عن ظهر قلب !.. اذن لترددوا وأطالوا التفكير قبل ان يزجوا بشعوبهم فى اتون الحـــرب ، ولامسكوا بأذيال السلم وتلابيبه بكل قواهم .. ان لم يكن حبا فيه ، وايمانا به ، فعلى الاقل خوفا من غضبة النساء ، وثورة الزوجات !
.. وانت ادرى بغضبة النساء وثورة الزوجات ..!

الفصل الاول

نحن فى أثينا القديمة ، وقد ضجت نساؤها من طول أمد الحـــرب المحتدمة بين بلادهن وبين مملكة «اسبرطة » ، وهى الحرب التى انقضى على نشوبها أكثر من ثمانية عشر عاما ! .. فصحت عزيمة فريق منهن على التماس سلاح يجبر الرجال ذوى النزعة العسكرية ، ولا سيما قادة البلاد وحاكميها ، على وضع حد للحرب الطاحنة التى تفتك بالالوف من أشبال اليونان وشبابهم ..

فماذا يفعلن .. ؟

قامت حسناء منهن ـ تدعى ليسستراتا ـ بدعوة الزوجات الثائرات الى اجتماع يتبادلن فيه الاراء ويقلبن الامر على شتى وجوهه ، لعلهن يهتدين الى حل للموقف ..

والتأم شمل المجتمعات .. وطال النقاش والجـــدل ،

والاخذ والرد ٠٠ وفجأة يتفتق ذهن الحسناء ليسستراتا عن فكرة يتمثل فيهـا مكر الانوثة ودهاؤها : انها تدعو زميلاتها الزوجات الى تنظيـــم اضراب «جنسى» ضد أزواجهن ، حتى يقلعــوا عن حروبهم المرذولة ويستجيبوا لنداء الســلام !٠٠ « فلكى نرغم أزواجنا على عقــد الصلح ، ليس أمامنا غير سبيل واحد : ان نحرمهم من مباهــج الحب !»

لكن المجتمعات يترددن فى البداية فى الانضمام الى هذا « الاضراب » ٠٠ ويبدأن فى اثارة شتى الاعتراضات عليه ، واحدة منهن فى أثر الاخرى :

زوجة من الحاضرات : اذا نحن عاقبنا ازواجنا بهذه الطريقة نكون قد عاقبنا انفسنا أيضا ٠٠ شأن من يعض انفه ليشــوه وجهه ، فتؤلمه العضة ٠٠!

ليسستراتا : ياالجبنكن !٠٠ لاعجب اذا تنافس الــكتاب فى وصف ضعفنا ووهننا ٠٠ اننا فى الواقع نقضى حياتنا كلها بين الارجوحة والفراش !

زوجة أخرى : حسنا ، فلنفرض اننا وافقنا على فــكرة مقاطعة أزواجنا ـ ولو ان السماء تحرم ذلك ـ فهل تعتقدين اننا بذلك نكون قد اقتربنا خطوة من السلام ؟

ليسستراتا : بل نكون اقتربنا منه خطوات !٠٠ كل ما يتعين علينا أن نفعله هو أن نتأنق فى لباسنا ونفرط فى التزين والتعطر حتى نصبح على نصيب من الجاذبية لا يقاوم٠٠ وعندئذ ، حين يتهيأ رجالنا للرضوخ ٠٠ نصدهم ! ٠٠ ويوم يحدث ذلك ، أؤكد لكن انهم سوف يتلهفون على عقد الصلح ٠

زوجة ثالثة : ولكن ماذا لو أمعن ازواجنا فى العناد فهجرونا تماما واستغنوا عنا ؟

ليسستراتا : عندئذ نستطيع ان نجد تسليات اخرى نزجى بها أوقات فراغنا !

الزوجات ، فى صوت واحد : حسنا جدا ، فلنجرب الفكرة اذن ٠٠٠ فمن يدرى ، لعلها تنجح ! ؟

ليسستراتا : أنا موقنة انها سوف تنجح !

الفصل الثانى

٠٠ فاذا كان الفصل التالى رأينا الزوجات الثائرات يتخذن خطوتهن الاولى فى حربهن ضد « الحرب » ! ٠٠ فيهاجمن مقر خزانة الدولة التى أودعت فيها سندات المالية العامة ٠٠ وتدور بينهن وبين الرجال المدافعين عن الخزانة معركة عنيفة يستخدم الاوتون فيها المواد المحرقة ، كى يهلكوا طابور النساء المهاجمات ٠٠ وتستخدم هؤلاء جرار وبراميل الماء ، كى يغرقن خصومهن ! ٠٠

وفى وسط المعركة ٠٠ يندفع حاكم أثينا الى المكان وفى ركابه ثلة من رجال الشرطة :

الحاكم (مشيرا الى ليسستراتا) : اقبضوا على الخائنة !

◆ **ويحدث هرج ومرج بين رجال الشرطة والنساء ٠٠ ثم تنجلى المعركة عن انتصار النساء ! ٠٠ واذعان الرجال المقهورين للامر الواقع :**

الحاكم : سيداتى ، لا مفر من الاعتراف بأننا قد هزمنا ٠٠ ولكن ، فلنتفاهم : ما الباعث على كل هذا العـراك ؟ لماذا هاجمتن الخزانة العامة ؟

ليسستراتا : كى ننقذ أموال الشعب المودعة هنا ، حتى لا تشنوا من أجلها حروبا أخرى !

الحاكم : ماذا ؟ أو تحسبين ياسيدتى العزيزة اننا قـد اشتبكنا فى هذه الحرب من أجل المال ؟

ليسستراتا : بلا شك ، كل حرب انما تنشب من أجل المال ٠٠ لماذا تحسبون الساسة يشنون الحروب ؟ ٠٠ إنهم لا يشنونها الا ليجدوا فرصة ليسرقوا ! ٠٠ لكنهم منذ الآن لن يجدوا مالا ينفقونه على حروبهم ، فاننا نحن اللواتى سنتولى التصرف فى مالية البلاد ٠٠ !

الحاكم : أنتن ؟

ليسستراتا : بالتأكيد ! أو لسنا خبيرات بالتصرف فى مالية البيوت ، وموازنة ميزانياتها ؟

الحاكم : أوه ، ولكن هذا أمر جد مختلف ٠٠

ليسستراتا : وما الذى يجعله مختلفا ؟

الحاكم : الاموال العامة لازمة للقتال ياسيدتى العـزيزة

ليسستراتا : لكن القتال ذاته ليس لازما ياسيدى !

◆ **ويتهيأ الحاكم لمواصلة النقاش والجـدل ٠٠ لكن النسوة**

الثائرات يمسكن بتلابيبه فيجردنه من ثيابه ويلبسنه ثياب امرأة ! •• انهن الآن قد اتخذن عدتهن للاستيلاء على مقاليد الامور ، كي ينقذن البلاد من الكارثة التى اوقعتها فيها حماقة الرجال !•• سوف يعالجن « عقد » السياسة والحرب بنفس الطريقة التى يعالجن بها خيوط « شلة » معقدة من صوف « التريكو » ! •• سوف « يلضمن » الشعوب جميعا فى « خيط واحد » من الصداقة الطيبة •• !

ويسقط فى يد الحاكم •• لكنه لم يقتنع بعد بجدارة النساء بتصريف سياسة البلاد •• « فمهما يكن من شيء ، فالحرب أمر يخص الرجال ! »

لكن ليسستراتا تقاطعه محتجة : « أوه ، كلا •• بل انها أمر يخص النساء ! •• النساء هن اللواتى يقاسين أشد الآلام والكوارث نتيجة للحروب التى تشنونها أنتم ! •• والا فأين أبناؤنا الذين أرسلناهم الى ميادين قتالكم ؟ وما خطب أزواجنا الذين لا يعودون قط من الميدان ؟

ويحاول الحاكم المضى فى جدله السقيم••لكن ليسستراتا تقاطعه هاتفة : « لقد آن لك أن تموت ! » •• ثم تتبع قولها بالفعل فتمسك بتلابيب الرجل مرة أخرى وتتعاون مع زميلاتها على البسه « كفنا » من أكفان الموتى ! •• فينطلق يعدو وهو ينشج بالبكاء مستغيثا •• بينما تواصل الزوجات اضرابهن ! !

الفصل الثالث

•• فاذا كان الفصل الثالث فقد أحرز الاضراب نجاحا كاملا ، ليس فقط في أثينا ، وبل وفي بلد الاعداء أنفسهم :

«اسبرطة» ٠٠ حيث نظم النساء اضرابا مماثلا ضد أزواجهن ٠٠!

ويرضخ الازواج فى البلدين لارادة زوجاتهم آخر الامر ٠٠ فيقبلون انهاء الحرب بين بلديهم ، مقابل استرداد حبهن ، و « وصالهن » ! ٠٠ وتسمع أصوات مختلطة :

جوقة من الرجال : كم كان حكيما الفيلسوف الذى أطلق على النساء : «الجنس المخالف» ؟! ٠٠ فنحن لا نستطيع العيش معهن ٠٠ ولانستطيع العيش بغيرهن !!

جوقة من النساء : فلتقولوا ما تتشاؤون ٠٠ ولتفعلوا ما يروق لكم ٠٠ فالكلمة الاخيرة تكون دائما لنا نحن النساء ٠٠ لان منطقنا هو المنطق العقيم ٠٠ الذى لا يمكن التعقيب عليه !!

جوقة مختلطة من الجنسين : كفانا مشادات لا طائل وراءها ٠٠ فلنحزم أمرنا ونعقد الصلح !

الفصل الرابع

٠٠ فاذا كان الفصل الاخير فقد التقى مبعوثو أثينا ومبعوثو اسبرطة كى يعدوا التدابير اللازمة لانهاء الحرب ٠٠ وهم قد اختاروا الحسناء « ليسستراتا » كوسيطة بينهم !

ليسستراتا : أنا امرأة ، هذا صحيح ، لكنى لست مجردة من العقل ،فيما أرجو ٠٠ واذن فلتصغوا الى ياأصدقائى الاثينيون والاسبرطيون ، فأنا أريد أن أؤنبكم وألومكم مجتمعين ! ٠٠ انتم كلكم من سلالة دم واحد، ولغة واحدة، وتعبدون نفس الآلهة ٠٠ وقد طالما تآخيتم وعاونتم احدكم الآخر فى الماضى، فلماذا تذبحون الان بعضكم البعض؟ ٠٠ لماذا لاتصلون الى تفاهم وتتفقون على شروط

الصلح ؟ لماذا ؟ ٠٠ قد يكون ضروريا لاصناف الحيوان ان تقاتل ، لكن المؤكد ان القتال ليس ضروريا بالنسبة للكائنات البشرية ٠٠ بل انه لامر يدعو الى العار ان يقتل الاغريق بعضهم البعض ، بينما البرابرة المتوحشون ينظرون ويتفرجون ٠٠ !

مبعوث من اسبرطة : نحن على استعداد لعقد الصلح ، اذا نلنا مطالبنا ٠٠

مبعوث من أثينا : ان مطالبكم ومطالبنا تنحصر الآن فى استرداد زوجاتنا من جديد !

ليسستراتا : حسنا جدا ، سوف تستردوننا ٠٠ والآن فلتمضوا جميعا الى مأدبة الصلح ، وبعدئذ ، حين تزيلون العطب الذى اصاب صداقتكم الجريحة ٠٠ يصبح فى وسع كل رجل أن يأخذ زوجته معه الى بيته !

اسبرطى : هيا بنا أيها الاثينيون ، فلنشرب الخمر حتى نثمل !

أثينى : مرحى ، مرحى ، يا أصدقائى الاسبرطيون ٠٠ ان الانسان يكون عادة أكثر فظاظة ومشاكسة حين يكون فى كامل وعيه ٠٠ فلو أفرط الدبلوماسيون فى الشراب واقتصدوا فى مشاداتهم الشفوية لقضى على الحروب نهائيا ! ٠٠ انهم عندئذ يغرقون خلافاتهم فى الخمر ، ويتبادلون العناق ، أو يغنون أغنية مرحة سويا ٠٠ ثم ينتهون الى أن العدو يمكن فى الواقع أن يكون رجلا طيبا مثل سائر الناس !

ويمضى اهل اثينا واهل اسبرطة الى الوليمة ، ثم يعودون وقد صفوا الخلافات بينهم وصفت نفوسهم تماما !

ليسستراتا : والآن ، كل شىء قد أمكن تدبيره اخيرا ٠٠

فتعالوا أيها الاخوان ، تأبطوا أذرع نسائكم ٠٠ ولنشارك جميعا في « رقصة السلام » !

جوقة : « أوه ، فلنصل اليوم الى الآلهة ..
« كيما يأتى كل حقل بأطيب المحاصيل وأوفر الثمرات٠٠
« بينما نأكل نحن طعامنا فى سلام ، وخبزنا ولحمنا ٠٠!
« أواه يافينوس ، يامن تختالين فى ثوب الحب ٠٠
« أعيدى لنا الآمال والمباهج التى فقدناها فى الحرب !
« ولننس السيف .. ننساه الى الابد !

الخالدون

عظماء.. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى العددين الاول والثانى من «كتابى» قصصت عليك سيرة اثنين من انبياء الوطنية الذين بلغوا أرفع مراتب العظمة فى السياسة ...

وفى العدد الماضى انتقلت بك من سير انبياء الوطنية الى سير العظماء فى شتى الميادين الاخرى ، غير السياسية ، فرويت لك قصة حياة « لويس باستير » وكفاحه الشاق الجبار ضد المرض والجهل ..

واليوم اقدم لك عظيما آخر ، اختارت له الاقدار ميدانا آخر من ميادين العظمة والخلود، غير ميدان العلم .. هو « اميل زولا » ، كاتب فرنسا الكبير الذى تقرأ فى الصفحات التالية قصة حياته وكفاحه الشاق من اجل الادب .. والعدالة !

وفى الاعداد التالية أعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : برناردشو .. دانتى ، ملتون ، بيرون ، شيللى ، براونج . مايكل‌انجلو، رافاييل، ليوناردو دى‌فنشى.. بيتهوفن، شوبرت، شوبان، فردى، تشايكوفسكى، سقراط ، افلاطون ، ارسطو ، فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة .. بوذا ، كونفوشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، ماركونى ، روكفيلر، اديسون ، فورد.. بلزاك، والترسكوت، ديماس ، ديكنز ، دوستويفسكى ، موباسان .. كولمبوس، الاسكندرالاكبر، ماركوبولو .. وغيرهم !

إميل زولا

"مؤلف "نانا" ... وبطل قضية "دريفوس" !

سهرات بوهيمية ••

◆ فى احدى ليالى مايو سنة ١٨٧٤ اجتمع أربعة من أدباء باريس فى «كافيه ريش» كى يتناولوا العشاء ، ويتناقشوا فى شئون الادب والحياة !•• كان أولئك الاربعة هم : اميل زولا ، وجوستاف فلوبير ، وألفونس دوديه •• ثم زميلهم الروائى الروسى ايفان ترجنيف •

وكانوا جميعا نهمين ، شغوفين بالطعام شغفهم بكتابة القصة •• وفى هذا يقول زولا : « اماعن نفسى فقد كنت فى أمس الحاجة الى ان أكون نهما ، كى املأ معدة عاشت على الكفاف اعواما طوالا !»

وامتعهم ذلك الاجتماع •• وجدوا فيه جميعا تلك المتعة المزدوجة ـ الحسية والذهنية ـ التى تتيحها رواية القصص على موائد الطعام : قصص الحياة وقصص الخيال !•• فكرروا جلستهم تلك ، جعلوا منها تقليدا أوفرضا شهريا ، يلتقون فيه كل مرة حول المائدة فى الساعة السابعة •• ولا يبرحون المكان الا عند منتصف الليل !•• ولكن لاليعودوا الى بيوتهم •• وانما ليتسكعوا فى طرقات باريس حتى الثانية ، اوالثالثة ، اوالرابعة صباحا •• وهم يسمرون ، ويتبادلون رواية افكار قصصهم المقبلة ، ويهدمون الدنيا ثم يعيدون بناءها وفق هواهم الخاص ••!

◆ وكان «ترجنيف» عادة هو اول من ينسحب منهم عائدا الى منزله ، ثم يتبعه دوديه •• وعندئذ يرافق زولا «بابافلوبير»

ـ كما كان يدعوه ـ الى منزلُ الاخير فى شارع « موريللو» ٠٠ وعند الباب يقبل فلوبير زميله زولا فى وجنتيه ، ثم يفترقان على قول المعلم فلوبير لتلميذه زولا : «كل القصص والاحساسات قد رويت وصورت قبلنا يا ابنى ٠٠ فلم يبق لنا غير ان نقول ونصور نفس الاشياء ، ولكن بأسلوب اروع ، والفاظ اجمل!»

وقد عاش زولا ، لاليروى القصص القديمة فقــــط فى أسلوب اجمل ٠٠ وانما ليبتكرقصصا جديدة ويرويها بأسلوب ردد العالم كله صداه !

طفولة بائسة ٠٠

◆ ولفظ «زولا» ـ وهولقب الاب ـ يعنى «ربيبالارض»٠٠ وقد عاش «اميل» مخلصا للقب ابيه ، شغوفا « بأمه الارض » وبكل مخلوق أنجبته وعاش على ظهرها ٠٠ محبا للانسانيــة جمعاء !

وكان دمه ـ أو نسبه ـ مختلطا ، فيــه قطــرات من دم كل بلد عريق ٠٠ فكانت جدته يونانية ، وامه فرنسية ٠٠ وأبوه ايطالى !

وكان الاب « فرانشسكو زولا » مهندسا معماريا صائب الرأى دائما ، لكنه كان منكوبا ببطانته والمنفذين لتصميماته ، فقد كانوا دائما يمسخون ويشوهــون ابتكاراته !٠٠ وحانت فرصته الكبرى لتسنم قمة النجاح حين عهدت اليــــه بلدية مدينة « اكس » بتشييد قنـــاة تجلب الماء من الجبـــال الى المدينة ٠٠ لكن نحسه لازمه ، فمات (سنة ١٨٤٧) قبـل ان يبدأ العمل فى انشاء القناة !٠٠ وخلف وراءه ارملتـــه مدام

زولا وابنها «اميل» المشرف على السابعة ٠٠ بلا عون ولا سند غير ذكرى أحلام الرجل الضائعة !

◆ وهكذا قضى «المتشرد الصغير» أعوامه الخمسة التالية فى دراسة متقطعة ، تتخللها رحلات مغامرة الى شواطىء « الطورس » ٠٠ حتى أتيح له اخيرا ان يتلقى دراسة صحيحة حين ألحقته امه بمدرسة «اكس» ٠٠

لكن مدة اقامته فى المدرسة كانت فترة عذاب ومرارة طويلين بالنسبة له ٠٠ فقد كان متحفظا ، لايحسن الاختلاط بزملائه ، فعجز عن ان يتخذ لنفسه منهم صديقا واحدا ٠٠ فضلا عن اللثغة المضحكة التى كان يشكو منها ، والتى كانت تجعله ينطق اسمه محرفا فيقول «تولا» بدلا من «زولا» ٠٠ فصارت كلمة «تولا » كناية عن الفتى الحساس المنطوى على نفسه ٠٠!

صديق العمر ٠٠

◆ لكنه كان «محاربا» بطبعه ، فأبى ان يستكين ويستسلم لضعفه وظروفه السيئة ، فلم يلبث ان وطن نفسه على ان يجابه المجتمع الذى يسخر منه ، ولو وحيدا ، فيرد الصفعة بصفعة مثلها والكيل كيلين !٠٠ وذات يوم ، بعد ان هاجمته وتكأكأت عليه زمرة من زملائه الاشرار ، أبى ان يبرح مكانه ٠٠ بل ظل واقفا مبهور الانفاس محطم النفس ، لايكاد يقوى على حبس الدموع فى عينيه ٠٠ فتقدم منه طالب «محايد » يواسيه قائلا : «انى آسف لماحدث »

فأجابه الفتى زولا : « أوه ، لم يحدث شىء ٠٠ انى

استطيع حماية نفسى !»

لكن الزميل مد يده اليه فى تأثر قائلا : « أود ان اكون صديقا لك منذ الآن »

فقال زولا وهو يصافح اليدالممدودة شاكرا : «وأنا أحس بمثل احساسك .. وبهذه المناسبة ، ما اسمك ؟»

ــ «سيزان .. بول سيزان »

وكانت تلك بداية الصداقة الخالصة التى دامت بعد ذلك مدى الحياة ، بين متمردين قررا ان يواجها عدوهما المشترك ــ المجتمع ــ أعزلين من السلاح ، فى غير وجل !

الفشل فى الدراسة !

◆ وفى مدرسة «اكس» أثبت زولا براعته فى الكتابة .. فقد ألف فى سن الثالثة عشرة قصة طويلة ، ومسرحية ذات ثلاثة فصول !.. لكنه أثبت ايضا شيئا آخر ، هو فشله التام فى الدراسة !.. وحين ترك مدرسة «اكس» ليلتحق بكلية «النورمال» فى باريس ، لم يصر أحسن حالا .. **كان ينادى كى يتلو المحفوظات المقررة عليه ، فلاينطق حرفا !.. اذ كان كل همه وجل وقته موزعين بين كتابة الشعر وقراءة « هوجو» و «موسيه » و «رابليه » و «مونتين» .. وعندما حان وقت الامتحان النهائى كانت درجته فى «الادب» .. صفرا !**

◆ وكان فشله صدمة قاسية لأمه ، التى قضت شهورا تغسل البلاط والثياب بالاجر كى تدفع له نفقات تعليمه !.. كانت تريده ان يصير مهندسا ، كأبيه .. ولكن هاهى آمالها قد تحطمت وذرتها الرياح !.. ولم يعد هناك مايعصم فلذة

كبدها من ان يدفن مواهبه ويقضى حياته فى وظيفة آلية تافهة ، او ـ لاسمح الله ـ يحترف الكتابة !

ولم يكن اميل نفسه اقل يأسا من أمه ٠٠ فقد كتب على اثر رسوبه فى الامتحان خطابا الى احد أصدقائه يقول فيه : « لقد دهمتنى فى الاسبوع الماضى كارثة كبيرة ٠٠ وها أنت ترانى الآن ، فى سن العشرين ، بلامهنة !٠٠ اننى كنت أحلم حتى الآن ، وأسير فوق رمال متحركة غدارة ٠٠ فمن يدرى متى اسقط ، فتبتلعنى ؟»

فقر وخيلاء !

◆ **لكنه لم يسقط !٠٠ كان من حسن حظه ان قيض الله** له منقذا فى شخص صديق قديم لابيه يدعى مسيو «لابو» ، وجد له عملا «ككاتب حسابات» ٠٠ وكان مرتبه لايكاد يكفى مطالب جسده ، فما البال بمطالب عقله وغذاء روحه !؟

وفى تلك الفترة كتب يقول : « ان هذا العمل يزهق روحى ٠٠٠ منذ شهر وأنا أعيش فى شبه «اسطبل» ٠٠٠ حتى لأحس ظهرى وساقى وجميع اطرافى تتقزز اشمئزازا ٠٠ ولا مفر من ان انجو بنفسى من هذا الجحيم فى أول فرصة !»

وقد نجا منه فعلا ٠٠ وكل عمله بقدميه بعد اشهر معدودة ، كى يقضى بعد ذلك عامين فى جحيم أبشع : جحيم الفاقة ، والجوع ، والحرمان ، والاسمال البالية ، واليأس القاتل ٠٠ والاحلام !

نعم ٠٠ فان بعض النفوس لاتعدم أحلاما وهى فى أتعس الظروف !٠٠ وقد كان الشاب العاطل يحلم ببعث جديد

للانسانية ٠٠ «بانجيل» ادبى جديد يقرب السماء من الارض ! آه لو أمكنه فقط ان يجد فى نفسه القوة على خلق ذلك الانجيل الجديد ؟٠٠ لو أمكنه فقط ان يسكت الم الجوع الذى يمزق معدته !؟

◆ وكان صديقه «سيزان» قد تبعه الى باريس ، فصارا يقطنان غرفة واحدة ٠٠ يحلمان فيها سويا ، ويجوعان سويا !٠٠ كان العالم لاه عن هذا الرب الجديد للقلم ، فى عصر لم يعد فيه أحد يعبأ بالارباب !

٠٠ وكما تجاهلت باريس زولا رب القلم تجاهلت رفيقه سيزان رب الريشة !٠٠ كان زولا يكتب اشعارا ، وسيزان يرسم لوحات ٠٠ لكن أحدا منهما لم يجد جمهورا يعيره التفاتا !٠٠ أو ان أردت الدقة فقل ان احدا منهما لم يكن قد استحق بعد أن يجد جمهورا يلتفت الى موهبته ، فان وقود بؤسهما لم يكن قد ألهب بعد شعلة الالهام فيهما ـ وان يكن زولا لم يكف يوما عن ان يقول لرفيقه الساخر : «٠٠ لكننى سوف أكتب مؤلفى العظيم يوما ٠٠ وسترى !»

٠٠ كل ذلك والفقر لايفتأ يشتد بالتعس ٠٠ والمرارة واليأس والجوع لاتنى تلاحقه فى قسوة !٠٠ حتى بلغ منه الجوع مبلغه فى شتاء ١٨٦١ ـ ١٨٦٢ ، فصار ينصب المصيدة للعصافير فوق سطح الغرفة المتواضعة التى يعيش فيها ٠٠ فاذا التقطت المصيدة عصفورا راح يشوى «الصيد الدسم» على لهب شمعة !٠٠ وكانت تصادفه اوقات عصيبة يغمى عليه فيها من شدة الجوع ٠٠!

◆ وأخيرا ٠٠ جاءه الفرج على يد صديق آخر من اصدقاء

أبيه . وكانت « الوظيفة » الجديدة فى هذه المرة وظيفة لف الكتب بالورق فى دار «هاشيت» للنشر، وتسليمها للمشترين!.. وهكذا قضى زولا شهورا يحزم المطبوعات المبيعة بالورق والخيط .. كان ذلك هو الميدان الوحيد لاستغلال مواهبه الادبية !.. لكن عزاءه ـ على الاقل ـ كان فى شعوره بأن جو المكتبة ذاته جو حبيب الى نفسه .. وهل احب اليه من أن يغرق حتى اذنيه وسط أكوام الكتب والورق والمطبوعات التى يأمل يوما أن تحل الى جوارها مؤلفاته .. هو !؟

بداية الطريق ..!

◆ وصار الفتى يقضى وقت فراغه فى تقليب الكتب وكتابة تعليقات عليها ، لارضاء هوايته الشخصية .. وذات يوم « ضبطه » رئيسه وهو منهمك فى تلك «التسلية البليدة » ، فقرأ تعليقه .. وقال له : « زولا .. قد تكون بائع كتب كسولا .. لكنك لست كسولا فى الكتابة . فلنجربك فى وظيفة أخرى تناسب موهبتك .. » ونقله الرجل الى قسم تحرير «الاعلانات» .. وكانت تلك «الترقية» بمثابة النجدة لزولا ، فقد وجد أخيرا الفرصة لان يكسب عيشه بواسطة «قلمه » .. ولو بكتابة الاعلانات !

أما وقد ألف الكتابة ، و «سن» قلمه فى النهاية ، فقد راح يرهقه ليل نهار ! كان يعود بعد انتهاء عمله الى حيث يقطن ـ وكان فى تلك الفترة يقطن مع أمه ـ فيتناولا عشاءهما .. ثم يجلس الى كتاباته الخاصة «الحرة » ، البعيدة عن مجال الاعلانات !

وبدأ بكتابة الشعر ٠٠ ثم تحول عنه الى كتابة القصة : « فان قصائدى كانت تجارة بائرة ٠٠ فلأكن منذ الآن راوية » ٠٠ وصار يرسل أقاصيصه القصيرة الى صحف الاقاليم ، فينشر بعضها ، ويهمل أكثرها !٠٠ وحين اكتمل له منها عدد لابأس به حملها ومضى بها الى احدى دور النشر - دار « هنزيل ، ولاكروا » للطبع والنشر - وكان ذلك فى ربيع ١٨٦٤ ، فرفع مسيو « لاكروا » عينيه عن الاوراق التى فوق مكتبه الى الفتى الواقف امامه ، ذى الشعر المجعد والانف الاقنى ٠٠ واذذاك ابتدره زولا : « هل تتكرم ياسيدى بقراءة هذه الاقاصيص ، ولو واحدة منها فقط ؟٠٠ أى واحدة ؟!٠٠ أنا واثق انك سترى من فورك ان لدى موهبة ٠٠ »

ولذ للناشر أن يرى بنفسه مصداق اوتكذيب ثقة ذلك المؤلف الناشىء بنفسه ، وان يكن الفتى قد نطق عبارته فى لهجة خجل جديد لاتنم عن اى اعتداد بالنفس ! - فوعده بأن يقرأ اقاصيصه ٠٠٠

◆ وبعد انتظار عدة اسابيع ، بدت للمؤلف الملهوف كأنها سنوات ، قبل الناشر مجموعة قصص زولا ، وكان عنوانها « اقاصيص الى نينون » ٠٠!

«وعندئذ» - يقول زولا فى مذكراته - « أحسست اننى قد ربحت المعركة ، وغدوت على عتبة ان اصبح شخصا مذكورا ٠٠ فلم يبق على الا أن أمضى فى طريقى الى الامام ٠٠٠ وسأمضى قدما !»

امرأة ٠٠٠ وحب !

◆ أما وقد واتته بعض الشهرة ، فقد آن أن تواتيه المرأة !

وكان زولا قد اتخذ الآن مسكنا فى شارع قريب من كلية الطب ، على الضفة اليسرى لنهر السين ·· فصادف فى الطريق يوما ابنة صاحب البيت ـ وتدعى «ألكسندرين ميزلى» ـ وكانت سمراء طويلة القامة ذات عينين « كعينى طفل فى احدى لوحات الفن الاسبانى القديمة !» ··

وكانت الفتاة تبكى وتحاول تجنبه ، لكنه اعترض طريقها وسألها عن أمرها !·· وبعد محاولات ، وملاطفة ، ووعد بالكتمان ·· أفضت اليه التعسة بقصتها : لقد وهبت نفسها وجسمها لحبيبها ، وهو طالب طب قادم من الاقاليم ، فلما أكمل دراسته سافر الى موطنه وهجرها ··!

وانتهت الفتاة من سرد قصتها ، فأقنعها زولا أن تصحبه الى مسكنه ، وتغدو خليلته ·· وبعد حين احتلت فراغ قلبه فاتخذها زوجة له ··!

◆ وكان زواجهما متكافئا من حيث العاطفة ، رغم الفارق الشاسع بينهما جسمانيا ، فقد كان زولا «قبيح الخلقة كالكابوس ، بينما كانت (الكسندرين) رائعة الحسن كالحلم الجميل » ·· فأحب زولا فيها جمال جسمها، وعبدت الكسندرين فيه جمال روحه ··!

لكن روحها بدورها لم تكن أقل جمالا من جسمها ، ومن روحه هو ·· كما سنرى ·

سيل من القصص ··

◆ لم يكد زولا يستقر فى بيته الجديد حتى عكف على الكتابة المتواصلة · وكان قد بدأ يتجه فى ادبه وقصصه

نحو مذهب أستاذه «فلوبير» فى قصته (مدام بوفارى) ، ومذهب جونكور فى مسرحيته « هنرييت ماريشال » ، أى مذهب الادب الواقعى ٠٠ وأغرم بدراسة النواحى الفسيولوجية والجسمانية للحب، التى تنفذ الى أعماق أسرار الحياة.. فأراد ان يصبح العين التى ينفذ منها الناس الى تفهم الحياة ، والتى تستعرض امراض المجتمع ونقائصه تمهيدا لاصلاحه وشفائه منها ٠٠

وفى ضوء هذه النظرة مضى يكتب رواياته الطويلة ، الواحدة فى اثر الاخرى ، وطاب له ان يسمي مذهبه « المذهب الطبيعى » بدل «الواقعى» ٠٠ **وطارت شهرة زولا فى أنحاء فرنسا ، وتخاطف الناس رواياته ٠٠ لكن سمعته ساءت فى البيئات المحافظة والمحترمة نتيجة مغالاته فىالادب المكشوف ، وتصويره ابطال قصصه فى صورة الوحوش البشرية التى لاتعبأ بالشرف والمبادىء الخلقية فى سبيل ارضاء شهواتها البهيمية ٠٠٠ وأدرك زولا ما أصاب سمعته من أذى فقال : «لقد هبطت الى الهاوية فى نظر الطبقات المحترمة والشرفاء !»**

◆ ولكن بقدر ماظل الجمهور ينتقده ويهجوه ، بقدر ماظل يقبل على رواياته ٠٠ ويسكب المال اكداسا فى جيوبه !٠٠ وصار يشبه فى صالونات الماجنين والمستهترات بالاسد ، أوالدب ٠٠ وساعد على الصاق ذلك التشبيه به انه كان فى هيئته ذا وجه غزير الشعر ، وفى حركاته ذا مسلك غيرمهذب !

الحلم القديم ٠٠!

◆ لكنه لم يعبأ بكل ذلك ٠٠ وانما وضع كل همه فى شىء

واحد : تحقيق مشروعه القديم الذى طالما داعب خيـــاله : «انجيله » الادبى الذى أعد العدة له فى ذهنه منذ ســـنوات طويلة • اراد أن يكتب سلسلة روايات تكون صـــورة كاملة وصادقة ـ غير مهذبة ـ للانسانية كما تبدو فى حياة الاجيال المتعاقبة من افراد اسرة واحدة ـ تدعى أسرة «روجون ماكار » (Rougon Macquart) ـ باذلا اقصى مافى طاقته من الدقة فى كتابة تلك السلسلة ، التى بلغت عشرة مجلدات !•• وقد جعل من نفسه فيها ـ فى آن واحد ـ تلميذا ، وناقدا ، ومعلمـــا لاخوانه الرجال •• فكان يعمد قبل الشروع فى كتابة كـــل رواية منها الى دراسة مسارح حوادثها وشخصياتها ، والآمال والمخاوف التى تضطرب بها نفوس تلك «الذرات من الانسانية» التى تزمع ان تكون جسم روايته ••!

وكان يقرأ الكثير من الكتب والمؤلفات فى الموضـــوع الذى تدور حوله القصة ، ويزور الاماكن التى تجـــرى فيهـــا حوادثها ، ويتحدث الى افراد من مختلف الطبقات والبيئـــات التى يعيش فيها ابطالهـــا ، ويرقب حركاتهم ولهجاتهـــم وعقلياتهم •• ثم يسجل كل ذلك فى كراســـات كاملة كبيرة خاصة بكل قصة من تلك القصص •• فاذا ما انتهى من مهمته عكف على دراسة كل مادونه وقراءته المرة بعد المرة ، ثم غربلته واستخلاص فكرة القصة وتفصيلاتها عـــلى أساسه ، فى بطء وروية وامعان ، على نهج علمى •• وأخيرا ، بعـــد مجهـــود شهور طويلة ، واحيانا سنوات ، تخرج روايته الجـــديدة الى عالم الواقع الملموس ، وتولد بعد طول مخاض !

قصة الطبقات الفقيرة ٠٠

◆ ولنلق نظرة تحليلية على واحدة من سلسلة تلك القصص ـ وهى قصته المسماة «الحانة» (L'Assommoir) التى استخلصها من مشاهدات واختبارات طويلة ، فكانت «اشبه باللهب الذى انبعث من وسط كومة ضخمة من الوقود المتراكم » ـ كما وصفها حين سردالمراحل المختلفة لتأليفها ٠٠

والقصة التى نحن بصددها هى صورة لآلام الفقراء ، ويقول عنها زولا فى مذكراته : « انها صورة لتلك الآلام ، وصورة مخيفة ٠٠ تحمل فى طياتهاعبرتها الكبرى » ٠٠ وبطلة القصة تدعى «جيرفيز ماكار» ٠٠ وهى امرأة منطبقة الشعب ، «من النتاج التعس لامنا الارض !» ، هربت من قسوة والديها وهى فى الثالثة عشرة ، فلم تجد لها مأوى غير احضان رجل يدعى « لانتييه» فطلبت حمايته !٠٠ ومنحها هو تلك الحماية ، التى كانت ثمرتها طفلين غير شرعيين هما (كلود) و (اتيين) ٠٠ **لكن «لانتييه» لايظل على عطفه ورعايته لها ، بل يبدأ فى اهمالها ٠٠ وتطول سهراته فى الخارج تدريجيا ، حتى ينتهى به الامر الى ان يعود الى البيت قبيل الصباح مخمورا ، لايكاد يقوى على الوقوف على قدميه ٠ وتعلم المسكينة انه قضى الليلة فى احضان امرأة اخرى تدعى «أوبل» !**

وتبلغ الخديعة منتهاها ذات صباح ، حين يهرع طفلاها اليها وهى تغسل ثياب الاسرة فى مغسل عمومى ليقولا لها ان أباهما قد فر مع «أوبل» ٠٠ وانه اخذمعه كلمنقولات «جرفيز» وممتلكاتها !٠٠ ويضاعف من الم المرأة المهجورة ان شقيقة

غريمتها أوبل ـ وتدعى فرجيني ـ تلحق بهـا فى المغسل كى تستمتع بمرأى وقع الخبر عليها !٠٠ ورغم ضعف بنية جرفيز بالقياس الى فرجيني فان الحقد والغيظ يمدانها بقوة هائلة فتنهال على فرجيني ركلا وضربا وعضا ، حتى تصرخ هذه مستغيثة ٠٠ لكنها لاتكاد تنجو من «مخالب» فيرجيز حتى تصر على أسنانها كمدا وتلوح بيدها مهددة وهى تبتعد : « سوف ترين انني لن انسى هذا الذى فعلته بى قط !»

السماء لاتنسى المنبوذات !

◆ اما المرأة المهجورة فتشتغل بغسل الثياب بالاجرة كى تكسب قوتها وقوت طفليها ٠٠٠ وفى غضون ذلك تتعرف بحداد شاب يدعى «كوبو» كان يعرف قصة رجلها الغادر وبؤسها بسببه ٠٠ ويسألها كوبو ان تغدو خليلته ، لكنها ترفض المرة بعد المرة ٠٠ وأخيرا يتقدم اليها طالبا الزواج ، فتقبله زوجا ٠٠!

ويخلد الاثنان لحياة مشتركة سعيدة ، يستعينان فيها ببراعته فى عمله وبراعتها فى غسل الثياب كى يؤسسا بيتا لائقا للطفلين ، ثم للطفلة الثالثة التى انجباها بعد أربع سنوات من الزواج ، وسمياها « نانا » ٠٠ وتعود جرفيز لعملها بعد أن تنهض من ولادة نانا ، وليس فى خيالها غير أمل واحد ، أن تنشىء مغسلا لحسابها الخاص تديره وتربح منه المال الوفير ٠

لكن املها ذاك يصاب بصدمة قاسية حين يهوى زوجها من فوق سطح بيت كان يصلحه ٠٠ وترفض هى ارساله الى المستشفى ، مؤثرة ان تعنى بتمريضه بنفسها فى البيت ٠٠

الامر الذى يستغرق زمنا طويلا ويستنفد مالهما المدخـر ‥ ثم يزيد الطينة بلة ان كوبو ينهض من مرضه الطويل وقدصار رجلا آخر ‥ ان الاصابة لم تحطم جسمه فقط ، بل حطمت نفسه ايضا ، ففقد طموحه وآماله واحلامه ‥ ولم يعد له غير هم واحد : معاقرة الخمر !

◆ لكن القدر لايثبت على حال ‥ فهو لايكاد يسد منافـذ الرزق فى وجه الاسرة حتى يعود فيفتح فيها من جديد كوة ‥ فان شخصا كان يحب الزوجة جرفيز فى قرارة نفسه ، وهو عامل يدعى «جوجيه» ، يعرض عليها قرضـا بمبلغ خمسمائة فرنك كى تؤسس به المغسل الذى طالما حلمت بانشائه ‥!

وهنا يتدخل القدر مرة اخرى فيرسل الفتاة فيرجينى – شقيقة أوبل – كى تقطن بجوار اسرة كوبو ‥ ولم تكن الفتاة قد نسيت الاعتداء القاسى الذى وقع من جرفيز عليهـا يوم أنبأتها – فى شماتة – بفرار زوجها مع اختها !‥ فجاءتهـا الآن تتقرب منها تحت رداء الصداقة ، قائلة ان الهـارب «لانتييه» قد عاد الى الحى بعد ان هجر «أوبل» التى فر معها ‥ وانه مايزال يحبها هى ، جيرفيز !

لكن «لانتييه» لايسعى اليها وانما يسعى بدلا من ذلك الى زوجها «كوبو» فيتصادقان ‥ ويصيران رفيقين دائمين فى حانة الخمر المجاورة ‥ وينتهى الامر بالاول «لانتييه» الى أن يدعو نفسه الى الاقامة مع الزوجين فى معيشة واحدة !

◆ وتحت تأثير انهيار الرجلين ، وادمانهما الخمر ، وتجردهما من أى طموح أورغبة فى العمل ، يسرى سم الانحلال والانهيار العصبى الى جيرفيز ‥ فلاتقوى طويلا على العمل المرهـق فى

سبيل اعالة زوجها وطفليها و «ضيفهما» !٠٠ وهكذا يثقل عليها حملها اخيرا فتخور وتتشاجر مع زوجها ٠٠ ثم تهمل عملها ٠٠ وتنشد السلوان بين ذراعي عشيقها الاول «لانتييه» !

وذات يوم ، تقع الضربة القاضية ٠٠ تفقد التعسة كلا من لانتييه والمغسل الذى تملكه ٠٠ تستحوذ عليهما كليهما غريمتها فرجيني ، بالتآمر مع لانتييه ، الذى يفر معها هذه المرة ، بعد أن فر من قبل مع اختها «أوبل» !

وهكذا تثقل على الزوجة وطأة آلامها ، فتلحق بزوجها « كوبو» فى الحانة المجاورة ٠٠وتدمن الخمر مثله ٠٠ويتدهور الحال بالزوج حتى يموت مخمورا ذات يوم !٠٠ اما ابنته « نانا » ـ التى صارت فتاة مكتملة الانوثة ـ فتخرج الى الطرقات ، تراود المارة عن نفسها !٠٠ وتحاول امها «جرفيز» ان تحذو حذوها ، لكن احدا لايعبأ بجمالها الذابل ، فتتعاون الخمر والجوع واليأس عليها ٠٠ وتقودها الى الهاوية حثيثا !٠٠ ويبذل محبها النبيل « جوجيه» محاولة اخيرة كى ينتشلها ٠٠ ولكن الاوان يكون قد فات ٠٠ فتبتلعها دوامة الفقر والبؤس ٠٠ التى تسقى الفقراء كأس الاحزان ، حتى الثمالة !

يخون زوجته ٠٠ لانها عاقر !

◆ ولنعد الى زولا ٠٠ لنجد ان رواياته عن الفقر والفقراء قد اتخمته ـ لسخرية القدر ـ بالمال والثراء !٠٠ واتخمت جسمه بالشحم والبدانة٠٠واتخمت عقله بالاوهام والمخاوف٠٠ فاذا هو يستسلم لها ، فيتوهم فى جسمه جميع الامراض التى تحت الشمس ! ـ فى حين انه كان مكتمل الصحة ، وفى

قوة الثور! .. على ان الذى اشقاه حقيقة لم يكن ضعف صحته ، بل عقم زوجتــه وحرمانه من النسل .. الامر الذى اشعره كأنه ناقص الرجولة ، واسخطه على القــدر الذى اعطاه زوجة عاجزة عن ان تؤدى وظيفتهـا التى اعدتها الطبيعة لها .. !

وهنا امتحنته الحيــاة بتجــربة لم يصــمد لهــا ، بل ضــعف امام اغرائها .. فأقدم على اكبر حماقة يقــدم عليهــا زوج ! .. كانت فى بيتــه وامام عينيه امرأة اخــرى ناضرة الشــباب فارعة الطول ، مكتملة القوة والصحة ، داكنة العينين ، بارعة الحسن .. وبالاختصار يجتمع فيها كل مايؤهلها لان تنجب له اطفــالا أصحاء .. تلك هى « جين روزيرو » خادمته الخاصــة ! .. وماذا فى هذا ؟ ولم لا ؟ .. هكذا قال لنفسه ، أو قالت له نفسه !

◆ وكانت الخادم لاتتجاوز العشرين ، بينما هو قــد بلغ الخمسين ، وصار بدينا كالعجل ، اشيب الشعر كأنه ابوها ! .. فماذا يفعل كى يروق فى عينيها ؟ ادرك ان فى وسعه باتبــاع نظام صارم فى الطعام ان يختزل من وزنه ثلاثين رطــلا ، ومن عمره ثلاثين عاما .. فلا يبقى من « عيوبه » غير شــعره الاغبر . لكن المشيب فى ذاته ليس عيبا ، فهو انمــا يزيده وقارا ورجولة فى عينيها .. !

وهكذا اقدم مدفوعا بذلك الحافز على انقاص كمية طعامه وتحريم الاطعمة الدسمة والماء الكثير ٠٠ وظـل يتبـع ذلك «الريجيم» القاسى شهورا ، حتى عاد «البروفيسور » البـدين شابا فى رشاقة «فاوست» ٠٠ فاتخذ للخادم مسكنا خاصا ٠٠ وكم كانت سعادته حين انجبت له المحظوظة طفلا ، ثم آخر ٠٠!

◆ ولكن بقدر نصيبه من السعادة والفـــرح كان نصيب زوجته المسكينة «الكسندرين» من التعاســـة والانكسار ٠٠ فغضبت ، وتوعدت، وهددت بهجره !٠٠ لكنهاعادت فاستكانت ورضيت بمكانتها الجديدة : مكانة المرأة الاولى فى بيته ، ولكن الثانية فى قلبه ٠٠!

بل انها ذهبت الى أبعد من ذلك ـ ملتزمة المثل الفرنسى القائل « ان النبل يقتضى ٠٠ » (Noblesse Oblige !) فاتصلت بغريمتها ، أم اطفال زوجها ، ومكنتها من اثبات صحة نسب الطفلين الى ابيهما !٠٠ ثم صارت ترعى شئونهما اصدق الرعاية وانبلها ، وظلت على عهدها ذاك بقية عمرها ٠٠!

وكان مسلك الزوجة الكسيرة وكرم خلقها ، أكثر مما توقع زولا ٠٠ فلما وضع كتابه التـالى « الدكتور باسـكال » أهداه الى زوجته بعبارة شكر وتقدير قال فيها : « الى زوجتى العزيزة اهدى هذا الكتاب الذى هو خلاصة وزبدة جميـــع دراساتى ، وخاتمتها » ٠٠ لكنه فى نسخة خاصـة من الكتاب خط لعشيقته اهداء خاصا قال فيه : « الى حبيبتى جين ، التى وهبتنى تاج شبابها الغالى ، وأهدتنى طفلى العزيزين « جاك » و « أونيس» اللذين من اجلهما وضعت هذا الكتاب ، كى يعلما مقدار الحب الذى اكنه لامهما !»

وحتى نهاية حياته ظل زولا محتفظا بعلاقته المزدوجة : تقديره وحبه لألكسندرين «زوجتى العزيزة » ، وجين «حبيبتى الغالية » ..!

قضية دريفوس ..

◆ عندما اتم زولا الحلقة العاشرة من سلسلة قصصه ذات النزعة الانسانية ، وهى الحلقة التى اسماها «كفاح فى سبيل الحق » ، لم يبق إمامه سوى ان يخلد للراحة وينعم بما نال من شهرة وكسب من مال .

لكن القدر كان يعده لمهمة اكبر واسمى من كل ما أدى من مهمات .. ففى تلك الفترة بالذات بدأ جهاده الاكبر وكفاحه الشاق ، حين برزت الى الوجود قضية الكابتن «ألفريد دريفوس » !

ولعل من الغريب ان زولا لم يول المحاكمة فى بدايتها عناية خاصة .. ولكن لم تكد المحاكمة تتطور حتى بدأ يحس بأن فى جوها شيئا غير عادى !.. واعانته قوة ملاحظته التى شحذها اعداد رواياته ، على ان يلمح وراء التهم التى كانت تكال لدريفوس اثناء المحاكمة .. خيوط خطة تدبر لالصاق التهمة برجل برىء !..

◆ ومن ثم بدأ يدرس القضية بدقة وامعان .. فأيدت الدراسة ظنونه ، واحالت شكه يقينا بأن ظلما فادحا يرتكب فى وطنه بصفة «رسمية» دون ماتورع !.. فرأى من واجبه كمواطن متحمس ومخلص لوطنه ان يكشف الستارعن المؤامرة ويرفع الظلم عن المظلوم . لم يكن الذى يحاكم فى رأيه هو

الضابط دريفوس ، بل كانت فرنسا بأسرها تحاكم وتدان بواسطة الضمير العالمى الحر فى كافة الاقطار ٠٠!

وهكذا القى زولا بنفسه قلبا وقالبا فى المعمعة ، وآلى على نفسه ان يبرىء ويطهر دريفوس ، كى يبرىء ويطهر سمعة فرنسا ، وطنه الحبيب !

وكان دريفوس يصيح من سجنه فى « جزيرة الشيطان» الرهيبة صيحاته اليائسة « انى برىء ٠٠ انى برىء » ٠٠ حاسبا ان احدا لم يسمع صيحاته المتكررة ، غير الريح والموج ٠٠!

لكن زولا سمع الصيحة الباكية واجبر العالم بأسره على ان يسمعها معه ٠٠ فقد كتب ونشر نشرة بعنوان : « انىاتهم» حلل فيها القضية على ضوء معلوماته الصادقة ورأيه المنزه من شوائب الغرض ٠٠ ولم يكتف فى نشرته تلك باثبات براءة دريفوس ، بل مد اصبع الاتهام – فى جرأة – نحو عدد من أكبر الشخصيات ٠٠ صائحا بملء قلبه وجنانه : «اليوم فقط بدأت المحاكمة ٠٠ فاليوم فقط تميز الحق عن الباطل وانقسم أبطال القضية الى قسمين منفصلين : قسم المفترين الذين يريدون اطفاء كل ضوء قبل ان يسلط على القضية ، وقسم أنصار العدالة الذين يكرسون حياتهم فى سبيل نصرتها ٠٠ وأنا من القسم الاخير ، قسم الذين يريدون النور ، ونصرة النور ٠٠ ان احتجاجى الصارخ اليوم ليس الا صيحة صادرة من اعماقى ٠ فليجسر المفترون علىجر قدمى الىساحة المحكمة ، وعندئذ سوف يرون كيف تنفجر قنبلة الحق والعدالة !»

المعـــركة ..!

◆ وقد انفجرت القنبلة فعلا .. لكنها لم تكن قنبـلة الحق والعدالة بل قنبلة البغض والكراهية التى كان هدفهـــا زولا نفسه . فسارت المظاهرات فى الشوارع تهتف فى غضب ثائر « يسـقط زولا .. يسقط الخائن .. صنيعة الاعداء !» وهاجم المتظاهرون بيته وراحوا يقذفونه بالاحجار ، واحرقوا كتبـه ومؤلفاته فى الشوارع ، وصادرتها الحكومة من جانبهـــا .. وصدرت احدى الصحف الباريسية «القول الحر» تطالب باعدام زولا ومصادرة أملاكه ..!

.. وبلغ الســيل الزبى ، فقبض عـلى زولا وقدم للمحاكمة !.. لكن المحاكمة سارت فى تيار مضاد ، فى غير صالح زولا . كان محاميه كلما اراداستجواب شاهد من الشهود فوجه اليه سؤالا ،منعت المحكمة توجيهه !

وفى نهاية المحاكمة وقف زولا فألقى دفاعا حارا ، لا عن نفسه ، وانما عن دريفوس ! :

« انه برىء ، أقسم لكم عـلى ذلك ، وأضـع حيـــاتى وشرفى رهنـــا ببراءته .. فى هذه الســاعة الحاســمة ، امام هــذه المحــكمة التى تمثل العــدالة الانسانيــة ،

وامام فرنسا كلها ، بل امام العالم بأسره ، اقسم ان دريفوس بريء !٠٠ بل باسم الاربعين عاما التى قضيتها فى العمــل ، وباسم الشهرة التى اسبغتها مؤلفاتى على ، أقسم ان دريفوس بريء !٠٠ وباسم كل ماربحته طول حياتى من مال أوصيت ، وباسم السمعة التى اسستها لاسمى حجرا على حجر خــلال سنوات من الجهاد الطويل والعمل المتواصل ، وباسم مؤلفاتى التى ساعدت على نشر الادب الفرنسى فى الخارج ، أقســم ان دريفوس بريء !٠٠ فليتحطم كل ذلك ويتداعى ، ولتفنى جميع مؤلفاتى ، ان لم يكن دريفوس بريئا !٠٠ وانه لبريء !»

◆ وفى خاتمة دفاعه الحار ، عرض زولا للتهمة الموجهــة اليه هو ، فقال : « أما عن مصيرى ، فأنا مطمئن الضــمير هادىء النفس من ناحيته ٠ اعلم ان الحكم قد يصــدر ضدى ، ولكنى سأنتصر ٠٠ وستشكرنى فرنسا يوما على كونى قــد جاهدت فى سبيل انقاذ شرفها !»

وأصدرت المحكمة حكمها ٠٠ بادانة زولا ، بتهمة «التمرد على السلطات التى اتهمت دريفوس وادانته » ٠ وحكم عليــه بغرامة قدرها ثلاثون الف فرنك ! ٠٠ وكان كفاحه فى سبيل العدالة قد كلفه عمله وصحته وسمعته ، وثروته التى جمعهــا طوال حياته ٠٠ بل كلفه أصدقاءه !٠٠ فعاد من حيث كان منذ اربعين سنة : شخصا محتقرا يحاربه الجميع ٠٠ ويواجههم هو بمفرده !

لكنه لم يتزعزع أويتزحزح عن موقفه ٠٠ حتى نجــح اخيرا فى اثارة ضمير فرنسا وايقاظ الرأى العــام العالمى ، فأعيدت محاكمة دريفوس ، ووجد بريئا ، فأطلق سراحه !

◆ وهكذا انتصر زولا كما آمن وتوقع .. وعاش حتى اليوم الذى رأى فيه فرنسا ، وطنه ، تشكره على مجهوده الشاق فى سبيل انقاذ شرفها !

ايامه الاخيرة ..

◆ ولكن لم تكن رسالته وحدها التى انتهت ، بل كانت أيامه على الارض قد أوشكت بدورها على الانتهاء .. وآن للقدر ان يسدل الستار على رواية حياته الحافلة ، ولكن بعد نهاية مفجعة ..!

ففى صباح ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٢ دخل صديقه القديم «سيزان» مرسمه فى «اكس» .. وفيما هو يعد عدته للوحة التى يعمل فيها ، دخل عليه خادمه « بولان» يصيح جزعا مبهور الانفاس : « مسيو سيزان ، مسيو سيزان .. ان زولا قد مات !».

فسأله سيده وقلبه يكاد يكف عن الخفقان : «كيف ؟.. ماذا حدث له ؟»

ـ « انه حادث فظيع ياسيدى .. لقد آوى الى فراشه الليلة تاركا النار تشتعل فى المدفأة .. فمات مختنقا بالغاز!»

.. كان زولا قد سهر طويلا مكبا على عمله فى تلك الليلة المشئومة ، فقد وجدوا فى الصباح آخر صفحة كان يكتبها ناقصة لم تتم !.. وكانت اخر عبارة خطها هى رمز وتلخيص دقيق لفلسفة حياته : « ينبغى ان تكون رسالة كل انسان هى السمو بالانسانية الى اسعد مستوى .. ولكن عن طريق الحق .. ولاشىء غير الحق ! »

حوافز الحياة

النفس والجنس.. والمجتمع..

١

عزيزى القارىء ...

منذ خلق آدم وحواء.. وكلاهما يحس نحو الآخر بجاذبية لا سبيل الى مقاومتها او تجاهلها.. جاذبية ينسب اليها العالم النفسانى الاشهر (فرويد) انها الباعث الخفى للانسان على اكثر تصرفاته ونزعاته، حتى ما قد يبدو منها لاول وهلة منقطع الصلة بالجنس ..

وحــواء اليوم ـ ولا سيما فى مصر وبلاد الشرق العربى ـ تجتاز طــور الانتقال الخطير من ملازمة عقر دارها والتفرغ لواجبـات بيتها وزوجهــا واولادها ، الى العمــل خارج البيت ، كالرجل سواء بسواء !.. وفى هــذه المرحلة الحرجة من تاريخ العلاقات بين الجنسين ، ما احوج حواء الى ان تتدبر موقفها فى روية ، لترى ان كان هــذا التطور يغير شيئا من طبيعتهــا كانثى تنشد الرجل والزواج .. أم لا يغير ! لذلك اقدم اليها، والى آدم ـ زوجها ، او ابيها ، او اخيها ـ هذا الكتاب الذى يجيب على الكثير من مشكلاتها المعاصرة..

وفى الاعداد القادمة اقدم لك باذن الله : كيف نجحوا فى الحيــاة (لديل كارنيجى) ، الزواج والاخلاق (لبرتراند رسل) ، رقصة الحياة (لهافلوك اليس)، التحليل النفسى (لسيجموند فرويد).. ثم سلسلة كتب : كيف تقهر الخوف .. والخجل .. والقلق .. والارق .. الخ وكيف تنمى شخصيتك، وتقوى ذاكرتك، وعزيمتك ، وتحفظ اعصابك .. الخ

THE PERFECT WOMAN
by
Dr G. COUR-TENAY BEALE
حواء الجديدة
(مرشد الفتاة العصرية المستنيرة إلى مستقبلها!)
للعالم النفسانى الدكتور ج . كورتنى بيل

هــــذا الكتاب

((المراة نصف هذا العالم)) !

ذلك ما يقوله العقل . ويزيد عليه علم الاحصاء انها اكثر من نصفه ، فالنساء اليوم اكثر من الرجال عددا . بل نحسب انهن كن اكثر من الرجال عددا فى سابق العصور وفى معظم البلدان ، بدليل كثرة المناطق التى كان تعدد الزوجات فيها شائعا ، مع ندرة المناطق والقبائل التى كان مسموحا فيها للمراة بتعدد الازواج !

وتلك حكمة من الطبيعة ، تدل على تقدير سليم لضرورات الحياة العضوية ، ومقتضيات تجدد النوع وبقاء الجنس البشرى . فالرجل الواحد قد يغنى فى تجديد النوع واستمراره غناء عدة رجال ، أما المراة الواحدة فلا تغنى عنها امراة غيرها ، لما يستلزمه الحمل والمخاض من طويل المدة وكمال الاستعداد ...

ولئن تطور التاريخ بتعاقب الاجيال ، وتغيرت الظروف الاجتماعية والمادية فى عصرنا هذا عن سابق العصور تغيرا هائلا ، فليس بعجيب اذن ان تتغير حالة المراة فى هذا العصر عن سابق احوالها ، فاذا صيحاتها بطلب الحقوق والمساواة ترتفع من آفاق الارض ، وتتجاوب بها أطباق السماء ... !

وان الجيل الجديد ليفتح العين على ((حواء جديدة)) ، لم يكن لها فى الواقع وجود او شبيه قبل هذا الجيل ، فشتان بين حواء اليوم، وجدتها القريبة قبل جيلين ، بل ربما قبـل جيل واحـد فى بعض البلـــدان ..

ولهذا اقتضت السنة الجديدة ــ سنة التحرر والتطور ــ ان يكون للمراة اسلوب فى الحياة ، وقواعد للسلوك ، ومناهج للعمل ، تغاير ما كان لجدتها او جداتها فى سالف العصور والازمان ..

ومن اجل هذا الهدف ، ولكى تفهـم حواء الجديدة نفسـها ، ويفهمها ((آدم)) الجديد ، رجلها ونصفها المكمل فى الحياة ، كتب العالم النفسانى والاجتماعى ((كورتنى بيل)) هذا الكتاب .. ومن اجل هذه الغاية رأينا ان نقدمه الى قراء كتـابى ، ليكون مراة لحـواء العصرية ، كما هى ، وكما ينبغى ان تكون ، اذا ارادت ان تبلغ ما تطمح اليه من السعادة فى حياتها الخاصة ، والتوفيق فى حياتها المشتركة مع رجلها ..

فالكتاب الذى تقرؤه فى الصفحات التالية هو كتاب كل فتاة ، وكل امراة ، تتطلع الى امام .. وتحـلم بالسعادة فى هذا العـالم الضنين بالسعادة ...

وهو كتاب كل شاب ، وكل رجل يشوقه ان يفهم ((الصفه الحلو الرقيق)) ، وان يحسن التجاوب معه والتعاون الوثيق ، لتحقيق الهناء الشخصى والاجتماعى .

أنت يافتاة !..

◆ اسمعى يانادية ، وياسعاد ، ويامرجريت، ويارا شيل.. اسمعن جميعا يابنات حواء الصغيرات ، من كل ذات صدر تدغدغه الآمال ، وتضيق به احلام المنى ، والتوجس من اعاصير الحياة وعواصفها ..

أنا اعرفكن جميعا ، فقد عشت حياتى متفرغا لشئونكن النسوية والنفسية والصحية ، وانفقت عمرى فى فهمكن وفهم مشاكلكن ، فخبرت ظروفكن منذ كنتن فى أرحام امهاتكن ، حتى برزتن الى الحياة طفلات ، ودرجتن فيها وشببتن عن الطوق .. ثم نهد صدركن وصار يضطرب بمايعتلج فيه من أمان ، واحلام ، ورغبات حيية يمنعها الخجل ان تسفر عن وجهها فى وضح النهار ..

اطمئنى يا أختاه ، فأنا اعرف هذه الامانى والرغبات دون أن يحوجك الامر الى التصريح بها ، وقد تضرج وجهك بحمرة الخفر .. وثقى اننى كتبت هذا الكتاب لك شخصيا ، كى ترى فيه نفسك ، فافتحى له قلبك مطمئنة ، فانى افهم اسرار هذا القلب ، وسألمس فى رفق كل خلية فيه وكل عرق نابض ثائر ، حتى احمل اليه هدوء السلام والراحة ، واهديه الى طريق السعادة وواحة الظفر والسرور ، التىيسميها الناس « جنة الزواج » !

◆ كلا يا اختاه ! لاتراوغى ، ودعى الانكار ، فالزواج هو قطب آمالك ، ومحور افكارك واعمالك ... فلا تدعى مظاهر الحياة تخدعك عن هذه الحقيقة الراسية رسو الجبال ... فتلك

المرأة فى نظر الرجل .. قديما !

غاية الطبيعة التى ركبتها فى فطرتك ، وسخرتك لها ، ولن تجدى عنها مناصا ولامنصرفا ..

ماذا ؟ ماهذه الانتفاضة التى احسها تسرى فى جسدك الغض المشرق بمطالب الحياة الصحيحة الفتية ؟ وما هذه السحابة التى تكاد تشبه التوجس والخوف والانقباض ؟

آه لقد فهمت ..

أنت معذورة !

◆ إنت خائفة ياحواء الجديدة من هذا العالم المجهول الذى تشتهينه ، وتخشينه بقدر ماتشتهينه : « عالم الزواج » و«عالم الرجل » ...

ولك فى هذا كل العذر يا اختاه . فأنت فى السادسة عشرة ، اوالثامنة عشرة ، اوالعشرين .. ومهما قيل فى حداثة سنك ، وغرارة صباك ، فانك لم تنفقى هذا العمر فى الدنيا عبثا ... وقد شهدت بعينى رأسك ـ آه يافتاة ! ما اجمل هاتين العينين وما اشد التماع الذكاء المتوقد فى حدقتيهما الساحرتين ـ اجل ، شهدت يا اختاه بعينيك هاتين زيجات كثيرات قيل لك ان السعادة والتوفيق كانا مضمونين لها ،

من حب ورخاء ، فاذا بهذه الزيجات تنتهي الى فشل وطلاق ، واذا الزوجة والزوج يملآن الدنيا بالحديث عن الوان الشقاء التى لقياها فى هذا الزواج الذى طالما تراهن الناس على سعادته القصوى !

ومن حقك طبعا يافتاة ان تضنى بحياتك على التحطيم ، وان تحارى فى معرفة ماينبغى للزواج كى يظل فى مستوى عال من السعادة القصوى ، الدائمة ، التى ترين ان لك الحق كل الحق فى الاستمتاع بها حين تهبين قلبك الغض وجسمك النضر للرجل الموعود ...

المرأة فى نظر الرجل .. اليوم !

وانت تتساءلين ولاشك :

ـ هل السعادة الزوجية امر بيد المرأة وحدها ، أم ان المسئول عنه الى مدى كبير هو الرجل ، فليس الامر اذن فى يدها ؟

والرأى الثانى هو الصحيح طبعا ، ولكن الامر بيد حواء الى حد كبير جدا ، ولاسيما فى هذا العصر التى نالت فيه الفتاة كثيرا من الامتيازات والحريات التى لم تكن تحلم بها جداتها من قبل .

المرأة لم تخلق للعزوبة ..!

◆ وتهز حواء الجديدة رأسها الجميل فى تشكك شديد ، فهى غير واثقة مما اقول ... ولاسيما بسبب هذه الحقوق

والامتيازات التى نالتها حواء الجديدة فى المجتمع المتمدين ٠

فحواء الآن تذهب الى الجامعة ، والى مدرسة التجارة المتوسطة ، وتعمل فى المكاتب، والشركات ، واعمال السكرتارية، وعلى الآلة الكاتبة ، وتعمل فى المستشفى طبيبة وصيدلية ، وفى المحكمة محامية ، وفى الاذاعة والصحافة ٠٠ الخ ٠٠ بل انها فى كثير من البلدان ذات مكان ملحوظ فى السلك السياسى وفى البرلمان !٠٠ واذن فأسباب الحياة المادية ، واسباب الجاه والمركز الاجتماعى والنفوذ ، بل الشهرة والمجد فى كثير من الاحيان ، كلها متوفرة لها اومفتوحة امامها ٠٠٠ فما الذى يحملها على ترك هذا الاستقلال وهذه الحرية ، لكى تضع زمام حياتها فى يد غير يدها ، او يد اخرى الى جانب يدها ، بحيث لاتأمن «النكد» والمشاكسة ، والمنغصات ؟٠٠ اليست العزوبة اولى ؟

ومعنى هذا انها تفكر فى ان تكون كالرجل الاعزب ، مادامت كالرجل فى الاستقلال المادى والحرية الشخصية ٠٠!

وهذا طبعا معقول جدا لولا ٠٠٠

لولا ماذا ؟

لولا انه غير ممكن ! وهو غير ممكن لانه غير طبيعى ٠ فالطبيعة لم تكور هذا الصدر الناهد البديع عبثا ، ولم تتفنن فى تشكيل هذا القد الممشوق عبثا ، ولم تجهد نفسها فى استحداث هذا الجهاز العصبى على وجه مخصوص مقصود ليؤدى وظائف حيوية معينة فى كل شهر ، ليضيع كل ذلك المجهود هباء منثورا ٠٠٠ ولم يكن هناك لزوم للسخاء فى تكوين ما تحت الخصر وتوسيع عظام الحوض ، لولا ان الغاية من ذلك حمل

الاجنة وتجديد النوع ٠٠!

◆ فهذه غاية الطبيعة من خلقك على هذه الصورة الرائعة التى تخلب الالباب ، وتدير الرؤوس : رؤوس الرجال ، ورأسك انت ايضا يافتاة ! فحواء اول مفتونة بجمالها ، واول فريسة لطبيعتها ٠٠ فصوت الطبيعة المركبة فيها اقوى من كل تأثير ، وكل اغراء ، ولوكان اغراء المجد ، والشهرة ، والثراء ، والنفوذ الخطير ٠٠!

فالوظيفة ، والاستقلال المادى ، وما اليهما ، ليست شيئا ابدا فى نظر حواء الى جانب حلقة من الذهب صغيرة ، هى رباط الزوجية الساحر !

فحواء الجديدة اذن هى هى حواء الخالدة الابدية الازلية ، حواء كل عصر منذ والدنا آدم ووالدتنا حواء !

ومشكلة حواء الجديدة هى هذه :

«كيف توفق بين مطالب وظروف حواء الجديدة ، ومطالب ومقتضيات طبيعة الانثى التى ورثتها عن حواء القديمة الازلية ؟ »

« وكيف تجتاز عقبة الشقاء الزوجى الذى شاع فى هذا العصر على الخصوص ، مع شيوع الحرية واتساع الآمال؟»

لعنة الكمال !

◆ والجواب يا اختاه على هذا السؤال ، عند « لعنة الكمال» تقولين : «وما لعنة الكمال ؟»٠٠

اعلمى اذن ان كل انسان – والمرأة انسان ! – يطمع فى الكمال ، ويتعلق به ٠ وان حب الذات يجعلنا لانرضى بأقل

من الكمال مطلبا ومنالا ٠٠ ويجعلك تتطلبين فى الرجل الذى تتزوجين ان يكون كاملا ، كامل الصفات والمواصفات !٠٠ لكن الكمال يا اختاه عزيز المنال ، مستحيل التحقيق ٠

تقولين لماذا هو مستحيل التحقيق ؟

لسبب بسيط : هو ان المرء كلما حصل على الكمال كما كان يتصوره ، تقمص الكمال فى صورة جديدة غير التى نالها، ليسعى وراءها ٠

وتلك ولاشك نعمة جزيلة ، لانها تجعل الحياة دائما «ذات موضوع » وذات هدف متجدد يسعى المرء اليه ماعاش ٠

لذلك يا اختاه ترى المرأة نفسها ، مادامت محرومة من الكمال المطلق ـ ذلك الكمال الذى لله وحده ـ وكأنها قد فشلت فيما تنشد من سعادة قصوى فى واحة الزواج ٠٠!

وهذا بعينه هو الخطأ المبين ٠٠٠ فالمرأة ينبغى ان تقيس الامور بعين الواقع لا بعين حب الذات والاحلام الخيالية المثالية ، وان تذكر ان مامن شخص كامل فى الدنيا ، فلماذا تطلب الكمال فى الرجل ، مع انها هى ليست كاملة ؟ انما الامر كله محاولة للتوافق جهد الامكان ، ومالايدرك كله ، لايترك كله ٠٠

التوفيق فى الزواج أمر نسبى !

◆ والان لنعد الى الوراء قليلا ، عشر سنوات او نحو ذلك ٠٠ عندما كنت ايتها القارئة الشابة الناضرة الحسن فتاة صغيرة ، اوطفلة غريرة ، تلعبين بالدمى ٠٠وأمك ترمقك بعين الحب والاعزاز ، وفى نظراتها دعوات وتمنيات ترفعها السريرة الى عرش الله ، وان لم تنطق بها الشفاه ٠٠٠

ولو اننا تسمعنا الى هذه الدعوات ، لرأيناها تجتاز السنوات ، وتتصورك وقد عقد على رأسك الصغير الفاتن تاج من ازهار البرتقال ، وحملت ذيل ثوبك الابيض الجرار وصائف الشرف ، فى ليلة الزفاف ...

اجل .. ان والدتك تراك — على ضوء فطرتها الانثوية — فى احسن ماتتمناه لك ، واحسن ماتتمناه لك هو : الزواج السعيد !

◆ وان الام لتتمنى لابنتها هذا المصير الحلو ، حتى ولو كانت هذه الام قد شقيت فى زواجها ولم تحقق فيه شيئا من امانى الهناء .. لا لانها لوخيرت بين مالقيت فى زواجها ، وبين العزوبة ، لفضلت الزواج قطعا — تمشيا مع الزعم الشائع بأن الزواج ، اياكان ، خير من لا زواج على الاطلاق ! .. كلا . فذلك طبعا سخف ظاهر وزعم باطل لايقول به احد .. ولكنها تتمنى لك الزواج ، وان كانت هى قد شقيت بزواجها ، لانها تعلم بالخبرة ان التوفيق فى الزواج أمر نسبى ، وانه فى الاغلب توفيق «متوسط» .. والتوفيق الوسط خير على العموم ، من جهة الراحة المادية والعاطفية ، من البقاء عانسا .. مهما كانت أحوال العانس المادية والادبية حسنة !

وليس ذلك من أجل حاجة المرأة الى اعالة الرجل لها وكفالته بها ماديا .. كلا . بل لان الزواج يفتح لها باب ميدانها الذى أعدتها له الطبيعة حين خلقتها ..

واجب الام نحو ابنتها ..

◆ ثم تتنهد الام الحالمة الداعية بعد هذه الرؤيا وهذه الدعوات لك ، تقول : «مايزال أمامى من الوقت متسع ، ولاحاجة بى

الى التفكير فى اعداد ابنتى لهذا المصير منذ الآن ٠٠ فلا تزال الحياة امامها طويلة الشوط قبل ان تبلغ هذا الاوان !»

ولكنها فى هذا مخطئة تمام الخطأ ٠ فالطريق طويل نعم، ولكن يجب ان يستغل هذا الطريق فى اعدادك منذ نعومة اظفارك لهذه الغاية البعيدة ٠٠ فلايترك امر اعدادك لرسالتك العظمى العوبة فى يد الصدفة وحدها ، حتى اذا بلغت الحلم ، وبرز صدرك الناهد ، لم تجدى من مؤهلات الزواج السعيد بين يديك الا جمالك ، وسحر عينيك ، ومابنصبه صوتك وشكلك من شباك لاصطياد الزوج الموعود ٠٠!

◆ كلا يا اختاه ! وانما يجب لكى تكون المرأة امرأة كاملة الاهلية للزواج السعيد ، والامومة السعيدة ، ولاسيما فى هذا العصر الذى كثرت فيه عزوبة الرجال ، وكسدت فيه سوق الزواج ، وشاعت ازماته المفضية الى الطلاق ٠٠ نقول يجب ان يبدأ اعداد المرأة لهذا الدور الشاق والمعترك الحامى الوطيس من باكورة عمرها ، وان يكون اعدادا متنوع الوجوه ، منظما ٠٠!

الاعداد الصحى ٠٠

◆ واول هذه الوجوه فى الترتيب الزمنى ، وفى الاهمية ايضا ، هو اعداد الفتاة جسديا وصحيا لوظائفها الحيوية ، بحيث تكون سليمة الاعضاء ، قوية البنية ٠٠٠ **فالمزاج المعتدل وليد الصحة الجيدة ، ومامن صحة ضعيفة اوفقر دم او ضعف فى المعدة والامعاء ادى الى مزاج معتدل ٠٠ ومن ثم فهذه الامراض بشير - بل نذير - بالمشاجرات والمتاعب الدائمة فى الزواج ٠ فماظنك برجل يعود من عمله وهو يتطلع الى ان يقضى**

مع زوجته وقتا طيبا ينسيه متاعبه ٠٠ فاذا هو بدلا من ذلك يجدها منهوكة القوى ، مكفهرة الوجه ، عابسة الجبين ٠٠ ابعد ماتكون عن ادخال الانشراح الى نفسه ؟!

◆ لكن الصحة لاتطلب لهذا الغرض وحده ، وانما هى تطلب لاغراض اخرى ايضا ٠٠ فالى جانب «اعتدال المزاج» ينبغى ان تكون للمرأة «عضلات» متينة قوية ، لا مجردالصحة العادية ، لالتدافع عن نفسها فقط ـ وان كانالدفاع عنالنفس شيئا لازما وواجبا ـ بل ايضا للقيام بواجبات الزوجية واعبائها ٠٠ فأولا هناك أزمة فى الخدم ، تقتضى الزوجة فى كثير من الاحيان ان تؤدى الكثير من اعمال البيت بيدها ٠٠ وثانيا ، يجب ان يكون مفهوما ان من واجبات المرأة ان تلد الاطفال ، والولادة والحمل يحتاجان الى مرونة عضلاتخاصة٠٠ وان نظرة الى جداتنا ، اوالى الفلاحات فى الحقول ، ترينا كيف يلدن اطفالهن بسهولة ، لان مشاق العمل تربى فيهن قوة العضلات اللازمة لهذه الوظيفة ٠ اما المرأة العصرية المترفة فما أكثر ماتعسر ولادتها وتشفى علىالهلاك٠٠بسبب ضعفصحتها

◆ فلتكن لحواء الجديدة اسوة بالزنجيات ، فهن لايشعرن ابدا بتعب فى المخاض والولادة ، ذلك ان الرقص الزنجى على الطبول المثيرة ، يقوى اجسامهن ، ويهيىء عضلات البطن والاحشاء فيهن لاداء مهمة الوضع فى يسر وسهولة ٠٠٠ **فلتعلم الام التى تربى عضلات ابنتها تربية صحيحة انها انما تهيىء لها بذلك اسباب السعادة والمتعة الزوجية ، كما تهيىء لها طرق الانقاذ من التعرض للهلاك عند الوضع٠**

◆ لهذا يجب ان تعنى كل ام بتمرينات ابنتها الرياضية

التى تقوى الخصر وعضلات البطن على الخصوص · وعلى الشابة التى فاتها هذا فى طفولتها ان تحاول استدراكه جاهدة فى سنها الراهنة بالمواظبة على تلك التمرينات يوميا ··

تجنب اسباب العقم والبرود الجنسى ··

◆ ويجب الا تنسى الام ـ او الابنة ـ ان اهمال وظائف الامعاء وعلاج كسلها منذ الطفولة عيب خطير للغاية ، لان الامساك المزمن يؤدى الى ضعف الشهية الجنسية ، والبرود الجنسى ، وتلك صخرة كم من زواج تحطم فوقها ، وكثيرا ماينجم عنها العقم !·· وحرام ان تترك الفتاة بهذا الاهمال عرضة للحرمان من المتعة الجنسية فى الزواج ··

◆ وعلاج ذلك النقص سهل جدا ، وذلك بمراقبة نظام تغذية الفتاة منذ طفولتها ، وعلاج ذلك بالادوية الخفيفة حتى لايتأصل الداء ويتعسر الدواء ···

◆ وليس شأن الملابس فى هذه التربية الصحية من الهنات الهينات ، فان اللباس الضيق الذى يعوق اعضاء الجسم عن حرية الحركة ، واللباس السابغ الذى يمنع عنها الشمس والهواء ، واللباس الكثيف الذى يجعلها كالقوقعة التى لاتتحمل تقلبات الطقس ·· كل ذلك مما يجنى على صحة الطفلة ، ويجعلها فى مستقبل حياتها زوجة عاجزة عن القيام بوظائفها الحيوية ···

التربية الجنسية ··

◆ واذا كانت التربية البدنية ونظام التغذية وطريقة اللباس مما يضمن للفتاة اعدادا طيبا للمستقبل الزاهر ، بغير

ان تدرك الفتاة كنه ذلك المستقبل صراحة ٠٠ فاننـــا نرى ان الواجب مكاشفة الفتاة بأسرار طبيعتها ، وصلتها بعمران الدنيا ، منذ سن صغيرة ٠٠ فلايترك ذلك لزميلات الســوء ، أوغير السوء ، يتناقلن الحقائق مشوهة مشوشة !٠٠ فليس ادعى لغرس الاثم فى النفوس من «سياج السرية» ، الـــذى يجعل من وظيفة الطبيعة عملا مختلسا وشهوة ترقص حولهـا الشياطين ، اوتحولها عوامل الكبت الى عقدة نفسية ، تلتــوى بالوظيفة المعمرة الخالقة الى الوان من الشذوذ المذموم ٠٠٠ فان الصمت ـ أو «التآمر على الصمت» بعبارة اصح ـ هو بمثابة تسميم بطىء لنفسية الفتاة ، قديؤدى الى الشـــذوذ ، او الى النفورمن العمل الجنسى ، الذى هو عمل طبيعى ، بل هو لباب العمل الطبيعى ٠٠ والنتيجة المحتومة لتلك التربية الخاطئة ان تشقى الفتاة بزواجها وشبابها ، بدلا من ان تسعد ٠٠

والى هذه الآفة يرجع الكثير ممانشاهده من « نشوز » الزوجات الجميلات الصغيرات ، ونفورهن من ممارسة الواجبات الزوجية ، فهن لايرين فيها متعة ونشوة ، بل عملا محــرما جالبا للتقزز !٠٠ واذا لم يكن ذلك هو التشويه لما خلق اللــه من الطبائع ، فماهو التشويه ؟

◆ لذلك نهيب بكل أم مستنيرة ان تمهد عقلية ابنتهـــا الصغيرة لفهم هـــذه الامور ، التى هى اسرار الخلق ، واسرار وجودها بالذات ، فهما بسيطا طبيعيا لاحرج فيه ، مجردا عن الهالات والتهاويل التى يحيطه بها الجهال والجاهلات ٠٠ وبهذه الوسيلة ـ وهـــذه الوســيلة وحدها ـ تجد الفتـــاة عند نضوجها كل شىء مفهـوما ٠٠ ويجد الحب ـ حين يطـرق

باب قلبها ـ ذلك القلب كالقصر المضاء بالكهرباء ، المزين بالاثاث والرياش ، معدا لاستقباله استقبال صاحب الدار ، لااستقبال المختلس اوالمتواطىء على الاثم ، اواستقبال العدو المرهوب ..!

فاذا دعوت يا ايتها الام العطوف لطفلتك ان تغـدو زوجة هانئة ، فاعلمى ان الدعاء ليس كل ماعليك لها من حق ، بل ان عليك واجبا أهم ، هوالمساهمة فى اعداد ذلك المستقبل ، منذ الطفولة ، اعدادا حكيما ...

الجمال النائم ..!

◆ ومن منا لم يقرأ فى صباه عن الحسناء التى ظلت نائمة فى الغابة سنوات ، حتى جاء الفارس الجميل ، فاخترق حجب الاشجار المضروبة حولها ، ومس شفتيها بشفتيه ، فاستيقظت ، وعاد قلبها الى الخفقان ؟

كلنا قرأنا هذه الاسطورة ، وكلنا حسبناها محض قصة تروى لازجاء الفراغ ، ولم يجل بخاطرنا انها قصة كل حسناء ، بل قصـــة كل امرأة على الاطلاق .. فان الانوثة والجمال يظلان نائمين حتى يقبل «الحب» فى شــــخص فتى الاحلام ، فيوقظ الحسن الوسنان ، ويعيد القلب الى الخفقان ... ويفتح العـين على الواقع الشهى الممتع ، بعد ان كان مجرد حـــلم غامض تكتنفه الظلال والظلمات .. فكل فتاة ، منذ بلوغها طور المراهقة ، تغرق فى تلك الاحساسات الغامضة ، ولكنها لاتفتح عينيهـــا على الحقيقة الا حين يطرق الحب قلبها ..

◆ فواجب الام الذى لاواجب مثله هو اعداد الفتاة لهـذا «التفتح» ، والحرص على ان يكون تفتحا سليما صحيحا تنجم عنـه

المتعة الكاملة والسعادة بالزواج ·· ويجب ان يبدأ هذا الاعداد قبل بلوغ سن المراهقة ، وبالتدريج ، حتى لاتفاجأ الفتاة مفاجأة قاسية مربكة حين تشهد فى نفسها هذه التغيرات التى تصحب المراهقة ، والتى لاتفهم لها معنى !·· فهى بدون هذا الفهم المبكر قد تحسب دماء الحيض الشهرى - حين يلم بها لاول مرة - جرحا اونزيفا ·· الامر الذى قد يصيبها بالتقزز اوالسخط على «قسمتها» التى كتبت عليها الانوثة ·· ومن ثم لاتكون مستعدة للتفتح ، او «الاستجابة» عندما يأتى «فتى الاحلام» ليوقظ جمالها النائم بقبلته الدافئة ··

اما الفتاة التى اعدت لهذه المرحلة اعدادا سليما ، فانها تفهم المسألة على وجهها الصحيح ، وترى الرجال - اى الجنس الآخر - على ضوء جديد ، بل تراهم ينظرون هم اليها بعين جديدة !·· ومهما شغلتها الدراسة ، اوالاعمال ، فانها تعلم ان نجاحها فى الدراسة ، او فى المهنة شيء ثانوى ، وان مستقبلها الطبيعى غير ذلك كله ، بالغا مابلغ نجاحها اومجدها فيه ·· فمامن امرأة صحيحة التكوين ناضجة الانوثة سليمة الغرائز تتردد فى نبذ المجد الذى قد تلقاه فى مهن الرجال ، وركله بقدمها اذا لزم الامر ، كى تلوذ بكنف رجل يوقظ حسنها النائم ··!

الجمال والمتعة ·· لايكفيان !

◆ ولكن الاعداد الكامل لحواء الجديدة لايقتضى مجرد التربية الصحية والجنسية ، بل يجب ايضا ان يجد «آدم الجديد» في حوائه شيئا اكثر من الانثى المستعدة لمجاوبته

جنسيا ، واكثر من دمية جميلة الشكل رشيقة ٠٠ فظروف الحياة العصرية صارت قاسية الى حد كبير ٠٠ وآدم قد يحب حواء حسناء ، ولكنه لايتزوج اى حواء لمجرد انها حسناء ٠٠٠ وانما هو يختار ، ويتردد كثيرا فى الاختيار ٠٠ لانه يريد ان يستوثق اولا من ان « حواء » تستطيع ان تسعده بيتيا ، كما تسعده وتمتعه جنسيا : اى تستطيع ان تكفل له الراحة والاستقرار والرفاهية فى حدود دخله المحدود ، فلا تكلفه من امره عسرا ، ولاتكون عبئا عليه فوق اعبائه ، من حيث يريدها عونا وسندا !٠٠ والام الحكيمة هى التى تلقن ابنتها هذه الامور وتكررها على مسمعها ، بحيث تشب وفى عقلها الواعى والباطن ادراك راسخ للحقيقة التى لاشك فيها : وهى انالجمال والمتعة لايكفيان وحدهما لاسعاد الزوج !

اللعب بالنار ٠٠!

◆ وكل فتاة تجد نفسها عندما يبرز صدرها الناهد ذات تأثير معين فى الجنس الآخر !٠٠ تجد الذكور يتهافتون عليها٠٠ والنظرة منها ، اوالابتسامة ، اوالضحكة الناعمة كافية لان تدير رأس الشاب !٠٠ وهنا قد يدور برأسها ان تجمع حولها باقة من الشباب المفتون بها ، حبا فى الزهو والانتصار ، وفرحا بهذه «اللعبة الجديدة » ٠٠

وذلك هو بعينه اللعب بالنار !

٠٠ فالواقع ان هذه « الغزوات » السهلة الممتعة فادحة الثمن جدا ، ولن تلبث الفتاة الرعناء التى تتمادى فيها ، ان تكتشف الحقيقة الموجعة فى النهاية : وهى ان أولئك المفتونين

بحسنها ودلالها مستعدون لاى شىء ، فى سبيل صحبتها والتمتع بجمالها ، اللهم الا ... الا الزواج !.. وعندئذ تكون الصدمة قاسية على حواء ، لانها ستدرك ان آدم يريدها متعة ساعة ، ولكنه لايراها اهلا لمشاركته حياته على الوجه الوحيد الذى يقتضيه الاحترام والاعزاز الصحيح ..

.. فتعلمى يافتاة أن تغلى قدرك ولاترخصيه ، ولاتلعبى بالنار ، حتى لاتحرقك النار !.. واستعملى سلاح فتنتك بحذر وحكمة ، لكسب الاعزاز والحب الصحيح ، لاللسلب والنهب وقطع الطريق !.. فذلك يؤدى دائما الى البقاء « خارج القانون» .. والزواج يافتاتى لاسياج له الا القانون ..!

لاتتعجلى فى اختيار الرجل !

◆ ونصيحتى لك يافتاتى الا تتعجلى فى اختيار «آدم» الذى ستدخلينه جنتك، وتدخلين جنته ، فليس الامر من السهولة بحيث تقدرين . فالزواج مسألة مركبة معقدة ، لاختلاطها بعنصر آخر شديد الامتزاج بها ، وذلك هو عنصر « الحب » !.. فمن الفتيات من تقول :

ـ سأحب الرجل الذى اتزوجه ..!

ومنهن من تقول :

ـ سأتزوج الرجل الذى احبه ..!

واياكان رأيك يافتاة ، فيجب الاتتسرعى . واعلمى ان الحب وحده لايكفى .. فالحياة العصرية غير حياة آبائنا ، وهى تحتاج الى فهم لظروف المعيشة ، وللحالات الوجدانية المختلفة

التى تتعاقب عليها وعلى رجلها بعد الزواج

٠٠ وطبيعى انه لواجتمع فى آدم الموعود الزوج والعشيق معا لكان ذلك غاية المرام ، ولماكانت هناك مشكلة فى الاختيار على الاطلاق ٠٠ ولكن الواقع المألوف فى الحياة غير هـــذا ٠٠ فالزواج حياة استقرار ، والعشق مثل البرق الرائع ، يخطف الابصار ولكنه لايدوم فى الغالب زمنا طويلا ، لاتصاله بربيع العمر على الارجح ٠٠ فى حين تبقى الزوجية الى مدى الشيخوخة ٠٠ فمن المعقول اذن ان تكون للزواج من شخص معين بواعث أقوى وأدوم من العشق الجارف ، الذى يضــل العقل ويحــول دون اعمال الفكر على الوجه الصحيح ٠٠!

« مواصفات » الزوج

◆ هذا فى حين يقوم الاختيار على التعقل والتفكير الهادىء المتزن ٠ واول واجبات هذا التعقل « وزن » آدم بميزان نزيه ، والنظر فى «مواصفات » الزوج الصالح وهل تنطبق على هــذا الشخص اوذاك ، ام لاتنطبق ٠٠

واهم مواصفات الزوج الصالح طبعا هى الصـــحة ٠٠٠ فقوة البنية وسلامة الجسم من الامراض الوراثية والشخصـية شرط ضرورى للسعادة الزوجية ٠٠ وهل بغير الصحة يقــوى زوج على مواجهة متاعب الحياة ، والكفاح الشاق من اجـــل العيش ٠٠؟ بل على انجاب اطفال اصحاء ؟

ثم يجب ان يكون آدم نشطا مقبلا على الحياة ، ذا همــة وطموح ، لا سوداويا منقبضا يصد النفس عن الحيـــاة ويقطع

شهية حواء لمباهجها ٠٠ على ان يكون حازما عاقلا ، فلا يكون فتى طائشا احمق ينفق ماله فى الاسبوع الاول من الشهر ، ويبقى مع حواء خاويى البطن والجيب بقية الشهر !٠٠ فمثل هذا الآدم ، مهما كان جذابا وسيما ، كفيل ان يسمم الحياة المنزلية ويودى بالسعادة الزوجية ٠٠٠

◆ ومن نافلة القول ان الزواج من مقامر أوسكير أوعربيد اوشرس الطبع يعد من باب اولى سعيا الى النكد والشقاء طوعا واختيارا ٠٠ ففحص حالة الزوج المرشح وتقصى صفاته الخلقية والوجدانية والمادية امر ضرورى لاينبغى اهماله ٠٠

وأنت ياحسناء !

◆ ولكن اذا كان هذا واجبا ، فواجب ايضا ان تنظر حواء الى نفسها جيدا ، وترى هل تنطبق عليها مواصفات حواء الجديدة التى تسعد آدم مدى العمر كله ام لا ٠٠ فعليها أن توطن النفس على العناية بجمالها وقوامها وصحتها ، حتى لاتشيخ بسرعة وتتخلف عن ركب الحياة البهيجة ، بينما آدم فى عنفوانه ٠٠ ويجب كذلك ان تتزود للزواج بمعرفة جيدة بالتدبير المنزلى وفن الطهو واعداد المائدة ٠٠ الخ

◆ واخيرا يتم الاختيار ، وتتزوج حواء من آدم ٠٠ وهنا يجب ان توطن الفتاة نفسها على الحقيقة الاولى فى الزواج ، وهى:

« ان رغبة الرجل فى الاتصال الجنسى بالمرأة اشد بكثير واعنف بكثير من رغبة المرأة فى الاتصال بالرجل ، وذلك فى المرحلة الاولى من الزواج على الاقل » ٠٠ فان معرفة هذه

الحقيقة كفيلة بألا تجعلها تصدم • ولاسيما ان الغالب فى حواء العذراء الا تحس مافى الاتصال الجنسى من متعة للوهلة الاولى • ولذلك يغلب ألا تفهم حماســة الرجل لهذه « المسألة » ••• ولكن حذار ثم حذار ان تظهرى عدم الاكتراث، أو عدم «الاندماج» فى الموجة التى تلف الرجل فى هذا الاتصال ، بل يجب أن تظهرى الاستمتاع والفهم والمشاركة الحسية والوجدانية •• فتدرعى بالشجاعة ، وشجعيه ، فان لهذا فائدتين : أن تندمجى شيئا فشيئا بالفعل فى هذا العالم الحسى الجديد ، حتى تصلى الى النشوة الكاملة •• **والفائدة الثانية ان يزداد هو محبة لك وتعلقا بك ، فلا يصدم ويخيب أمله ويشعرانه أساء اختيار الشريكة الموافقة !•• وليكن رائدك على الدوام ان غاية الزوج من الاتصال الجنسى ليست مجرد قضاء وطره من المرأة ، بل هى الشعور بالاستجابة من لدنها، حتى يحس انه أشعل جذوتها ونجح فى امتاعها بما تمتع به •**

◆ ولكن حذار من أن تتبذلى فى هذا ، فكونى دائما متدللة ، فى رفق واعتدال ، فالرجل يحب دائما أن يكون هو المطارد ، وهو الراغب الطالب ، أما الشىء المبذول فى كل وقت فلا قيمة له فى نظره ، وسرعان ما يمله ••!

•• وهناك أيضا مسألة النسل ، فيجب التفاهم أولا على موضوع الاطفال ، وهل يراد انجابهم منذ أول سنة من الزوجية أم لا ، وهل فى وسع الزوجين القيام بهذا العبء ماديا على الفور، بعد ما كان من نفقات الزواج ، أم لا ••• فليس الاشكال فى النسل ، بل فى مقتضيات التربية العصرية من نفقات ومسئوليات جسام ••

احذرى طفلك !

◆ فاذا أنجبت بعد عام أو عامين ، فاحذرى طفلك ٠٠ فانه قد يكون معول هدم لسعادتك الزوجية لا قدر الله ٠٠ ذلك ان من الامهات من تستغرقها الامومة بحيث يجلى طفلها زوجها عن مكانه الممتاز فى قلبها وعنايتها ، فيشعر الرجل بالضيق ، وان لم يتكلم ! ٠٠٠ **واعلمى ياأختاه ان الرجل غيور ، وانه حرى ان يسخط عليك لهذا التصرف ٠٠٠ لانه سيشعر ان دورك فى الزوجية قد انتهى ، وانك « طلقت منه » وجدانيا ، لتتفرغى لدورك الجديد ، أو ان ولدك بمثابة عشيق لك جديد فتنك واستهواك** ٠٠ وذلك هو الخطر الاعظم ، فالزوج مقدم على الابن ، لانه احتل قلبك وحياتك قبله ، وهو الذى أولدك اياه ، فمن العدل والواجب أن يبقى الرجل ملكا متوجا على قلب حواء العاقلة الحصيفة ، حتى يشعر ان ابنه ليس منافسه ، فيزداد تعلقا بك ، ويتعلق بابنه مرتين ، مرة من أجل انه ابنه ، ومرة لانه ابنك ورباط جديد بين قلبك وقلبه ، وجسدك وجسده ٠ فاجعلى طفلك دليل حبك لآدم ، لا معول هدم لهذا الحب ٠٠ !

حاربى الصدأ ٠٠ !

◆ وعليك يا «حواء» انتحاربى السأم فىنفس زوجك ، فلا تجعلى الحياة فى البيت على وتيرة واحدة ، فان ذلك أدعى للسأم والملل ٠٠ واذن فينبغى أن تعمدى الى مداومة الاطلاع على الاخبار العامة ، وقراءة أحدث الكتب والمجلات ، حتى يجد آدم فيك رفيقا أنيسا ذكيا مستنيرا ، لا مجرد مدبرة بيت وجارية أو

محظية للفراش !٠٠ وليكن رائدك أن تصليه بالمجتمع، وتخرجى معه ، بحيث تشرفيه فى اعين الناس ، ولاتكونى مبعث خجل له أو انزواء ٠٠

◆ ولكن لتحذرى أيضا يا أختاه من أن تكلفيه ما لا يطيق فى سبيل المظاهر الاجتماعية ، فخير لك وله ـ اذا كان دخلكما متواضعا ـ ان تقاطعا المجتمعات، من أن تتورطا فى الدين بسبب غشيانها ٠٠ !

لا تخشى الاعاصير ٠٠

◆ ولكن لا تخشى الاعاصير كما تخشين الصدأ ٠ ذلك أن الخلافات والمناقشات الحامية مفيدة غالبا للسعادة الزوجية ، لانها تستخرج «القيح» المكتوم فى نفس الطرفين ، فلا يتحول الى خراريج تسمم البنية بمرور الزمن ٠٠٠ بيد انه يجب عدم التمادى فى هذا المجال، بل تكون المشاجرة على الطريقة العصرية « الاسبور » ، فتنتهى كما ينتهى « ماتش التنس » بمصافحة بين « الخصمين » ! ٠٠ وما أحلى الصلح بعد الخصام لمن يعرفون هذه اللذة العظيمة من المتزوجين الراسخين فى العلم ٠٠٠ فتشاجرى ، ولكن «بلباقة» ومودة، لا بعناد ولدد وحقد !٠٠

◆ أجل ، لا تخشى أعاصير الخلاف الداخلى ، أما الخلاف على « السياسة الخارجية » فحذار منه ثم حذار ! فابتعدى عن كل مايسبب الاحتكاك الخارجى ، سواء بأهله أو أهلك ٠ لذلك ننصح المتزوجين الجدد ألا يسكنوا مع أهل أحد الطرفين ، وهو الامر الذى يتورط فيه البعض بسبب أزمة المساكن الحالية ٠٠٠

فالشقة الصغيرة جدا خير ألف مرة من مشاركة أهل الزوج أو الزوجة قصرهم المنيف ...

◆ واحذرى أكثر من هذا : الرجال ! .. فلا تشجعى أحدهم على التقرب منك ومطارحتك الغزل ... **ولا تشجعى أصدقاء زوجك على رفع « التكليف » معك ، فان هذا هو الديناميت الذى قد يقضى على كل شىء فى لحظة واحدة .. فاحترام زوجك لك ، ومحافظتك على شرفه وشعوره وكرامته ، هى أهم عامل من عوامل السعادة ..**

احفظى توازنك !

◆ وأخيرا .. فأنت ياحواء الجديدة ترقصين وتختلطين بالرجال ، ولكن يجب ان تجعلى من حكمتك خدرا وحريما يصونك .. فاذا كنت تثورين على الحريم القديم ، فلانه يفرض عليك الشرف بالقوة ... وليس معنى هذا طبعا انك لاتقدرين الشرف . كلا ! بل أنت تقدرينه ، **ويجب ان تثبتى انك تقدرينه وتستطيعين المحافظة عليه من تلقاء نفسك ، بدون حراس ، ولا سجن ، ولا رقباء من الاغوات ! .. فكونى ياحواء الجديدة مزيجا جامعا لما فى حواء القديمة من مزايا وأنوثة ، وما فى الحياة العصرية من استنارة وحرية رشيدة فاضلة ، ولا تنزلقى فى الحرية الزائفة ، القائمة على الاستهتار والتبذل ...**

وفى عدد قادم أقدم لك ياحواء الجديدة « آدم الجديد » .. كما ينبغى أن تعرفيه وتفهميه !

كتب الأولون

كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

استخرجت لك فى كتابى الاول من كنوز الكتب القديمة كتاب « ديكاميرون» لبوكاشيو .. وفى كتابى الثانى « دون كيشوت » لسرفانتس .. وفى العدد الماضى انتقلت بك من ايطاليا واسبانيا الى « اثينا » القديمة فاستخرجت لك « الياذة » هوميروس الخالدة ... واليوم تصحبنى الى فرنسا القرن الثامن عشر، لنتعرف الى فيلسوفها الخالد « جان جاك روسو » فى كتابه المشهور « اميل » ... وفى الاعداد القادمة اعتزم ان اقدم لك بعون الله من هـذه الكنوز القديمة : الكوميديا الالهية (لدانتى) ، الاوديسة (لهوميروس) ، العقد الاجتماعى (لجان جاك روسو) ، الامير (لمكيافيللى) ، اصل الانواع (لداروين) ، السياسة (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، يوتوبيا او الدولة المثالية (لتوماس مور)، انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانيـة (لجيبـون) ، هكذا تكلم زرادشت (لنيتشة) الشخصيات (لبلوتارك) ، الاخلاق (لسنيكا) ، التربية (لهربرت سبنسر) ، كتاب الموتى (من تراث مصر القديمة) ، رباعيات عمر الخيام .. ولن اغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، اسطورة حى بن يقظان لابن طفيل ، طوق الحمامة لابن حزم الاندلسى ، كليلة ودمنة .. الخ

EMILE
par
JEAN JACQUES
ROUSSEAU
دستور التربية
أو
إميل
للفيلسوف الفرنسي الخالد چان چاك روسو

قصة الكتاب ٠٠ ومؤلف الكتاب

« جان جاك روسو » هو أحد الامثلة القليلة « الصارخة » على قوة العقل الانسانى ، وقدرته على التاثير فى جيل كامل - بل اجيال - من البشرية !٠٠ ولعل أعجب ما فى امره انه لم يتوقع قط ان يبلغ يوما ما بلغ من شهرة، او يؤتى ما أوتى من عبقرية ٠٠ بل ان الشهرة والعبقرية قد واتتاه ، من حيث لا يدرى !٠٠ فحياة جان جاك روسو ، وانتاجه الادبى ، هما من اندر الامثلة فى تاريخ الادب العالمى ، للعبقرى الذى هبطت عليه العبقرية بغير ان يطلبها او يسعى اليها ٠٠ بل وبرغم ارادته !

نشأة تافهة !

◆ فقد ولد روسو فى أسرة متوسطة الحال ٠ وكان بطبعه خجولا ، ضعيف الارادة ، تافه الشخصية ، حالما ، كسولا ، مترددا ، كثير النسيان ، يميل مع كل ريح ، ولا يعبأ بالغد ٠٠ او يطمح الى اكثر من معيشة متوسطة، هادئة، بليدة!٠٠ وساعده على هذا « الخمول » ارتكانه الى ايراد مالى عائلى لا باس به ، جعله يركز آمال شبابه الباكر فى ارضاء ميوله الغريزية الى المغامرات الغرامية والجنسية ٠٠ وبقى على هذا المنوال حتى سن السابعة والثلاثين ، لا يزعج حيـــاته الخاملة شىء ٠٠!

وفجاة ، ودون اى انذار او مقدمات ، « اصيب » الشاب الخامل بالعبقرية - كما يصاب الانسان بصاعقة من الصواعق! - فاضىء ذهنه بنور « سماوى » ، ووضعت الاقدار بين أنامله ذلك السلاح النارى : القلم !٠٠ فوجد نفسه ملقى فى وسط الحلبة التى تصارع فيها قبله أعظم وانبه أعلام الفكر الانسانى، على مشهد من العالم باسره ، القديم والجديد !

◆ ومنذ الضربة الاولى ، تفوق روسو عليهم جميعا !٠٠ وسمع - وهو يغالب الدهشة ، بل الخوف ! - صوته يدوى فى جنبات ذلك المسرح ، مسرح الفكر العالمى ، ويملاه باصداء تضارع اقوى ما رددته منابر الخطباء القدامى !٠٠ ولعل روسو من فرط دهشته قد أنكر صوته حين سمعه يهاجم أسمى القيم المتعارف عليها ، ويهز بنيان المجتمع الراسخ من أساسه !٠٠ واذا ذلك الحالم الشريد ، والعاطفى البوهيمى الواهن الجسم والنفس ، يجعل من نفسه مشرعا من اعظم مشرعى القوانين ٠٠!

◆ لكن هذه القوى التى كانت كامنة فيه قد ارهقته ، حتى ناء بثقلها ، وتاق الى التخلص منها !٠٠ كانت حاله اشبه بحال رجل اختارته الاقدار كى يؤدى « رسالة »ما ، فخلعت عليه موهبة خارقة ، هائلة ، لكنها مؤقتة ، جعلته « يتفوق على نفسه » ، اثنى عشر عاما٠٠ اثنى عشر عاما من العبقرية المتاججة!٠٠ انطوى فى نهايتها على نفسه كما تنطوى القوقعة ، عائدا الى حياة التاملات والاحلام ، التى طالما اشتاق اليها !

لكن ضخامة المجهود الذى اوحى اليه بان يبذله ، والفجيج العاصف لكلماته النارية ، اصابه باضطراب فى « توازنه » ، وهذيان مفجع ، لم يخفف من لوعته اثناءه غير جمال اناشيده التى كان يتغنى بها ٠٠ وتغنت بها من بعده الاجيال !

يحب وطنه ٠٠ ودينه !

◆ ولد روسو فى الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٧١٢ ، فى مدينة «جنيف» ـ وكانت شبه «دولة» مستقلة بذاتها ـ وقد عاش طيلة حياته فخورا بانتسابه اليها ، يدافع عنها فى كل مناسبة ، رغم الجحود الذى اظهرته نحوه والاضطهاد الذى اصابه منها ٠٠ كان دائم التحدث عن حبه المكين لها ، وحزنه على العيش بعيدا عنها ـ يوم اضطرته الظروف الى ذلك !٠٠ ولم يكن تعلقه ببلده غريبا منه ، وهو الذى لم يفتا ابوه يلقنه وهو بعد فى طفولته الباكرة : « جان جاك ٠٠ فلتحب وطنك ٠ انك « جنيفى » ، ولسوف تلقى يوما اناسا من اوطان اخرى ، لكنك لن تجد يوما شبيها لوطنك ! »

ولم ينس الفتى هذه النصيحة قط ٠٠

◆ وكما احب روسو وطنه ، احب دينه ٠٠ ففى الوقت الذى كان فيه يعيش فى باريس ، ويختلط بنبلاء البلاط وفلاسفة العصر الملحدين ، كان يحرص على قراءة (الانجيل) كل مساء ٠٠ حتى لقد اعاد قراءته اكثر من ست مرات خلال فترة اصابته بالارق ٠ وكان يطلق على نفسه ، فى شىء من المغالاة : « الرجل الوحيد فى فرنسا ، المؤمن بالله ! » ٠٠ ولعل حبه لوطنه ، وحبه لدينه ـ وقد رضع كلاهما مع اللبن من ثدى مسقط راسه « جنيف » ـ كانا ابرز ما ميزه عن جميع كتاب عصره الفرنسيين ، يوم استوطن باريس فى شبابه الباكر ٠٠ باريس التى طرد منها اسلافه بسبب اعتناقهم المذهب البروتستنتى !

يقرأ الروايات مع أبيه ٠٠ حتى الفجر!

◆ وقدكانت امه « سوزان برنار » امراة بارعة الجمال، موفورة الذكاء، ماتت

اثناء ولادتها اياه ٠٠ وكان ابوه « ايزاك روسو » صانع ساعات ، يجمع خلقه بين المتناقضات : بين الرقة والعنف ، والذكاء ، والاهمال ٠٠ ويميل الى حياة المغامرة والتشرد ، والقراءة والاطلاع ٠٠ فاورث ابنه ميوله هذه ، ولا سيما الميل الاخير منها ٠٠ فلما بلغ الصبى السابعة من عمره صار يشارك اباه قراءة الروايات والكتب ، حتى لقد كانا ينفقان فيها احيانا الليل باكمله !٠٠ وكان احب المؤلفين الى الصبى ، المؤرخ اليونانى « بلوتارك » ، الذى وقع احد كتبه فى يد روسو وهو فى السادسة ، فحفظه عن ظهر قلب ٠٠ ولازمه ، مع بقية مؤلفاته الاخرى ، من المهد الى اللحد !٠٠

يفر من قسوة المجتمع ٠٠ الى الطبيعة !

◆ وحين بلغ روسو العاشرة ، اشتبك ابوه فى نزاع مع السلطات الحاكمة اضطر على اثره الى الفرار من المدينة ، دون ان يعبأ كثيرا بمصير ابنه !٠٠ وهكذا ازدوج يتم الفتى : بات يتيم الاب والام معا !٠٠ وقد كفله عقب ذلك بعض اقاربه ، لكنه لم يعد يجد ملاذا من قسوة الحياة الا فى احلامه ٠٠ واغراه ضجره من دنياه بان ينطوى على نفسه ، وينشد السلوى فى احضان الطبيعة – الام الرؤوم – فيخلق له خياله من كائناتها الخرساء مجتمعا خاصا به ، لا يشاركه فيه ، او يضايقه ، انسان !٠٠

٠٠ وعلى هذه الصورة بلغ روسو سن العشرين وهو على درجة كبيرة من الجهل ٠٠ فكان كل من يمتحنه يقطع بانه فتى « لا مستقبل له » !٠٠ وان خير وظيفة يصلح لها هى ان يكون قسيسا لقرية من القرى الصغيرة ، كما كان جده لامه ٠٠

المرأة التى غيرت مجرى حياته !

◆ لكن لقاء مع امراة ، غير مجرى حياته تغييرا كليا !٠٠ ففى سنة ١٧٢٨ التقى روسو فى جهة (انيسى) بامراة تدعى مدام دى فارين ، فاصيب منها بسهم نفذ الى قلبه مباشرة !٠٠ وبعد خمسين سنة من ذلك التاريخ سجلت الصفحات الاخيرة التى خطها قلمه صيحة فياضة بالحب المنطوى على العرفان بالجميل ، جميل « امه » الطيبة – كما صار يدعو مدام دى فارين – فان الصبى اليتيم المحروم من حنان الام ، كان ينشد الامومة فى كل شىء ، حتى فى الحب !٠٠ وقد وجد هذه الامومة فى شخص تلك المراة الرؤوم ٠٠

◆ لكن المراة كانت ذات ضمير حى ، فبرغم ما توافر لها فى روسو من « شباب » – كان ينقصها ! – فانها لم تشأ له ان يعيش فى كنفها حياة خاملة ،

محدودة الآفاق ·· بل ارادته أن يبحث لنفسه عن مستقبل افضل ·· فرضخ الشـاب لرجائها وانطلق شريدا يجوب البـلاد ، على غير هدى !·· مضى من انيسى ، الى تورين ، ثم عبر الالب ، ويمم شطر ليون ، ومنها الى لوزان ، فنيوشاتل ·· ثم الى باريس ·· وهو ما يـزال شريدا يحلم !·· ولا يكاد يستقر فى عمل حتى ينفض يده منه لينتقل الى آخر ··!

·· لكنه عاد اخيرا بخفى حنين الى « اماه » ، التى كانت قـد انتقلت الآن الى « شامبرى » ·· ورغم خيبة املها فيه فقد سرت المراة بلقاء عشيقها الشاب ، واخذته الى بيتها ·· ليعيش فى كنفها !

جان جاك روسو

حلم من أحلام الجنة !

◆ وكانت هى مثله : رقيقة القلب ، عارمة الحواس ، واسعة الخيال ·· قليلة المبالاة حتى بمن يحبونها ، تنساهم بمجرد انصرافهم ! والواقع انها لم تقدر قط مبلغ تعلق روسو بها ·· بل انها صارت خليلته ، بغير أن تحبه ! - مثلها فى ذلك مثل الاديبة « جورج صاند » ، التى قبلت أن تكون خليلة للموسيقى « شوبان » بدافع من الشعور بالواجب !

اما بالنسبة لروسو نفسه ، فان الاعوام الثلاثة الممتعة التى عاشها مع « مدام دى فارين » - بين ١٧٣٨ و١٧٤٠ - كانت اشبه « بحلم من احـلام الجنة» !·· وفى الوقت الذى تذوقخلاله فى رفقتها « السعادة الكاملة المصفاة »، تابع مطالعاته الادبية المنوعة ، دون اى نظام او برنامج مرسوم ·· وتاثر اكثر ما تاثر بادب « فولتير » - الذى صار خصمه فى المستقبل ! - ولا سيما بكتابه « رسائل فلسفية » ، الذى يعترف روسـو بانه كان اول كتاب حفزه على الدراسة واستفزه الى محاولة الكتابة !

على أن معلم روسـو الاعظم فى الواقع لم يكن « الكتاب » ·· بل « الطبيعة » !·· فلقد احبها منذ طفولته حبا ملك عليه حواسه ، بحيث جعله

فى شيخوخته ينحو منحى كبار فلاسفة الشرق المتصوفين !

نهاية الحلم !

◆ لكن ذلك الحلم من احلام الجنة الذى عاشه روسو فى احضـــان مدام دى فارين ، انتهى فجاة – كما بدأ فجاة – حين تغيب صاحبنـــا لفترة عن « عشهما » السعيد .. فلما عاد ، وجد مكانه فيه قد شغله .. طير آخر !

واثرت هذه الخديعة الموجعة فى نفسية روسو .. فارتحل مبتئسا ، يبحث عن عمل يرتزق منه .. وتقلب فى أكثر من عمل : بين سكرتير لكاهن يونانى ، ونقاش ، وموسيقى ، وتاجر متجول .. الخ – وخلال ذلك كله ظل دائما نفس الفنان الحالم الذى يستجيب لسحر الطبيعة ومباهجها العطرية ، فيتامل صفحة السماء فى جذل ، وينظر الى خضرة الحقول فى نشوة ، ويصغى الى خرير الماء فى الجدول ماخوذا ..!

◆ ولكن لم تمض عليه شهور على هذا المنوال ، حتى ضاق بحياته تلك .. فشد رحاله عام ١٧٤١ الى العاصمة : باريس !

فما الذى اغراه بان يهجر اشجاره واطياره وانهاره ؟

اغراه المجد !.. المجد الذى قرأ عنه فى « بلوتارك » وحلم به ، فمضى يسعى اليه عن طريق : الموسيقى !.. ذلك ان روسو كان حتى ذلك الحين يعتبر نفسه موسيقيا أكثر منه اديبا .. وكان قد وضع الحان أوبرا كاملة ، وابتدع طريقة جديدة لكتابة النوتة الموسيقية ، فخف الى باريس ليشق طريقه الجديد فيهـــا ..

الشريد الذى أعجبت به النساء !

◆ وفى باريس لم يحوجه الامر الى أكثر من بضع خطابات توصية فتحت له على اثرها أبواب صالون « مدام دوبان » الادبى ، الذى كان قبلة اهل الفن والادب فى ذلك الحين ، فدخل روسو فى زمرتهم .. وصار صديقا للاديب الكبير « ديدرو » .. واعجبت نساء ذلك الصالون « بالمتشرد » الجديد ، المحروم من المؤهلات ، فسعين حتى الحقنه بمنصب « سكرتير السفارة الفرنسية » فى (البندقية) – فى مايو سنة ١٧٤٣ – لكنه لم يلبث أن تشاجر مع السفير فترك منصبه فى العام التالى وعاد الى باريس .. ليستانف كفاحه من جديد !.. وفى هذه المرة واتاه شىء من التوفيق ، فاخرجت له على المسرح بعض تمثيليات موسيقية وروايات قصيرة ، مقتبسة عن فولتير ...

ضربة الحظ !

◆ وبعد خمسة أعوام أخرى ، لم يحرز فيها تقدما أو نجاحا يذكر ، انقضت عليه فجاة ـ ذات يوم ـ « الصاعقة » التى أشرت اليها فى بداية هذا الفصل (وقد عاش طيلة حياته لا يذكرها أو يتحدث عنها الا وتعتريه رجفة الانفعال) : مضى ذات يوم ليزور صديقه الاديب « ديدرو » ، وكان سجينا فى سجن (فنسين) بسبب مخالفته لقانون النشر .. وكان الطريق طويلا ، والحر شديدا ، فاستعان روسو على قطع المسافة بتقليب صفحات مجلة ادبية كانت فى يده .. واذا بصره يقع على اعلان من اكاديمية (ديجون) تعد فيه بمنح جائزة مالية لمن يكتب احسن رسالة فى الموضوع الآتى : « هل ساهم تقدم العلوم والفنون فى افساد الاخلاق أم فى اصلاحها ؟ » ..

◆ وعندئذ : « احسست فجاة كان الف شعاع وشعاع من النور قد غمرت ذهنى !.. فتزاحمت فيه الافكار الحية النابضة ، بحيث كدت اختنق ، فجلست استريح تحت شجرة .. وحين تنبهت من هذيان افكارى المحمومة بعد نحو نصف ساعة ، كان صدر سترتى كله مبللا بالدموع !.. فى تلك اللحظات عشت فى عالم آخر ، وصرت انسانا آخر ! »

.. وكتب روسو رسالته المشهورة ، التى هاجم فيها الحضارة ونادى بالعودة الى احضان الطبيعة ، وبنظريته الجديدة التى مؤداها ان مبادىء الفضيلة محفورة فى كل قلب ، بحيث يكفى أن ينظر الانسان الى أعماق نفسه ويصغى الى صوت ضميره ، فى فترة سكون الرغبات والعواطف ، كى يراها بوضوح !

◆ وظفر روسو بالجائزة ، واحدثت الرسالة ضجة كبيرة فى الاوساط الادبية !.. واما وقد انطلق القلم الموهوب من عقاله ، فقد عز عليه أن يتوقف.. فمضى روسو يسود الصفحات بكتاباته . كتب رسالة أخرى عن « أساس التفرقة بين البشر » .. ثم ثالثة ، ورابعة ، فى موضوعات مشابهة ..

وفى سنة ١٧٥٢ مثلت روايته « عراف القرية » أمام الملك ، فظفرت بنجاح هائل .. ووقف المؤلف يتلقى التهانى وقد اطلق لحيته وبدا فى هيئة الرجل المتوحش ، فاثارت غرابة شخصيته فضول الناس ، حتى اشتاقت « فرساى » باسرها الى التعرف عليه !

حرب على النفاق !

◆ لكن المجتمع الذى خف الى الترحيب بروسو فجاة ، بهذه السهولة العجيبة ، لم يظفر منه باعجابه .. فراح ينقده فى كتاباته بصراحة وجراة ،

ويسلق بلسانه الحاد ما يسود صالوناته من رياء وزيف ، وسفسطة ومباذل !..
وكان أفراد تلك المجتمعات ـ وخاصة النساء منهم ـ يشعرون بنقـــائصهم ،
فاحسوا بلذة مريرة فى مطالعة وسماع النقد الموجه اليهم .. وكانوا على استعداد
لان يجعلوا من أى شخص يواجههم بالحقائق الموجعة .. بطلا عظيما !.. وقد
ظهر روسو فى الوقت المناسب ، فاتخذوه بطلهم المفضل ، وصار اعجابهم به
« موضة » العصر !.. لكن « الموضات » والبدع لا تطول عادة أو تدوم على حال..
وهكذا سرعان ما سئم الباريسيون روسو بنفس السرعة التى هللوا بها له
وكبروا ..

◆ وكانت النتيجة الاولى لكفران باريس بروسو انه كره العاصمة واهلها
وعاوده الحنين الى الارتماء بين احضان الطبيعة فى الريف!.. حيث الحرية الكاملة
التى لا يفسدها قيد من قيود المجتمع ، ولا يقاس اليها كل ما فى حياة المدن
من مجد ، وثراء ، وشهرة !.. « ان آتفه واجبات الحيـــاة الاجتماعية تفزعنى
وتعذبنى : ولو كانت مجرد كلمة تقال ، او خطاب يكتب ، او زيارة تؤدى ،
او واجب يقضى !.. »

« الصومعة » تضم الخليلة والصديقة !

◆ وتهيات له اسباب الفرار الى الريف ، والطبيعة ، حين عرضت عليـه
امراة تدعى « مدام ديبيناى » ـ فى سنة ١٧٥٦ ـ آن يعيش فى بيتها الريفى
المسمى « الصومعة » ، الكائن وسط غابات (مونتمورينسى) .. فقبل العرض
مرحبا ، وحل بالصومعة ذات يوم ومعه خليلته « تيريز لوفاسور » ، وكانت
تعمل ساقية فى حانة حين تعرف بها ـ قبل عامين ـ فاعجبته بساطتها وانوثتها
ورقتها ، فاتخذها رفيقة لجسده وقلبه ، دون عقله .. (وقد رزق منها فيما
بعد بعدة أطفال ، كان يودعهم دور الحضانة ، واحدا بعد الآخر ، الامر الذى
أثار ندمه وتوبيخ ضميره فى أواخر حياته !..)

فلما سافر روسو الى « صومعة » مدام ديبيناى فى الريف ، اخذ خليلته
معه .. وهناك ثمل بخمرة الهـــواء الطلق الجميل ، وخضرة الحقول ، وتغريد
البلبل والكروان ، فبدا يحلم .. ونبتت فى ذهنه البذور الاولى لقصته المشهورة
« جوليا » أو « هيلويز الجديدة » !

◆ وحين فرغ من كتابة القصة قراها على خليلته « تيريز » ، وامها مدام
لوفاسور ، فبكت المراتان تاثرا واعجابا .. فقد جاءت القصة تحفة من تحف الادب
العذرى العفيف .. لكن روسو « أصيب » على اثر ذلك بحب جديد أوقعه فى
مازق نفسانى حرج، فقد اشعل فى كيانه نار الرغبة المضطرمة التى تناقض كل

ما نادى به فى قصته تلك من طهر وعفة !٠٠ فان المراة التى احبها ـ وتدعى « مدام دوديتو » ـ كانت متزوجة ، وكانت فى الوقت ذاته من قريبات مضيفته مدام ديبيناى ـ صاحبة (الصومعة) ـ فقاسى روسو الامرين من عاطفته الجارفة ٠٠ اقرا وصفه لاحدى خلواته مع تلك المراة : « وذات ليلة خرجنا للنزهة بعد ان تناولنا العشاء معا ، فى ضوء القمر ، فخلبنا جمال الكون ٠٠ ولم املك نفسى فارتميت عند قدمى محبوبتى ، واغرقت ركبتها بدموعى ، واسلت دموعها هى ، برغمها ٠٠ فذكرتنى بزوجها ٠٠ واذ ذاك تنهدت ولذت بالصمت ٠٠ واكتفيت بان قبلتها ! واى قبلات ؟ كانت قد انقضت عليها ستة اشهر وهى بعيدة عن زوجها ٠٠ وانقضت علينا ثلاثة اشهر كنت فيها اراها كل يوم : انا وهى وحدنا ، والحب ثالثنا ! ٠٠ وفى تلك الليلة جلسنا فى الغابة منفردين ، لا رقيب علينا سوى ضياء القمر ٠٠ وبعد خلوة استمرت ساعتين ، وكانت من ارق الخلوات واكثرها ارهافا للحس ٠٠ خرجت هى فى ظلام الليل من الغابة ـ ومن ذراعى ! ـ سليمة ، طاهرة الجسم والقلب، كما جاءت !٠٠ اواه ايها القارىء ٠٠ زن جميع هذه الاعتبارات واحكم ٠٠ فلن اضيف انا اليها حرفا ! »

شيطان الغيرة !

◆ وبرغم سيطرة الطرفين على عواطفهما على هذا النحو فقد دب فى قلب صاحبة الصومعة دبيب الغيرة من قريبتها مدام دوديتو !٠٠ وذات يوم ، تلقت « تيريز » ـ خليلة روسو ـ خطابا يفضح صلة خليلها بتلك المراة ، فصبت عليه جام غضبها وثارت فى وجهه ثورة عنيفة ٠٠ فما كان من روسو الا أن اتهم مضيفته الغيورة بارسال الخطاب ، واغلظ لها فى القول ٠٠ ومنذ ذلك اليوم تعذر عليه أن يبقى فى الصومعة التى تملكها !٠٠ فانتقل الى مسكن آخر فى نفس الضاحية ٠٠ لكن اصدقاءه والمعجبين به من النبلاء وكبار رجال البلاط ورجال المال بداوا يتهافتون على دعوته الى ضيافتهم ، وكان فى مقدمتهم دوق ودوقة لوكمسبرج ، الامر الذى اثار حسد زملائه من رجال الادب وحقدهم عليه ٠٠!

وتقدرون ٠٠ فتضحك الاقدار !

◆ وخلال الاربع أو الخمس سنوات التى قضاها روسو تحت جناح أولئك الكبراء ، كتب اعظم مؤلفاته : « العقد الاجتماعى » و « اميل » ـ الذى اقدم لك مقتطفات منه فى الصفحات التالية ٠٠ وكان روسو قد رسم خطته على اساس أن يكون الكتابان خاتمة انتاجه الادبى ، مقدرا انهما سوف يدران عليه نحو

ثمانية او عشرة آلاف من الفرنكات ، يستطيع ان يحصل بها على « بوليصة » معاش دسم له ولخليلته « تيريز » مدى الحياة ٠٠ وعندئذ يذهب ليعيش فى الريف، بين احضان امه الرؤوم « الطبيعة » ، ويكتب فى اوقات فراغه الطويلة ذكريات حياته ٠٠

◆ لكنه وهو يرسم هذا البرنامج كان يجهل ما يخبئه له القدر !٠٠ لم يكن يحس او يرى العاصفة المخيفة التى تتجمع فوق راسه، كى تقتلعه من ماواه فى غابة (مونتمورنسى) اقتلاعا ، وتطارده حتى نهاية حياته !

كان روسو قد الب على نفســــه ــ بكتاباته ــ اعداء كثيرين : « مدام لابومبادور » صديقة الملك ٠٠ ورئيس الوزراء « شوازيل » ٠٠ ومدام دى ديفان، ومدموازيل دى ليبيناس ، صاحبتى النفوذ الكبير ٠٠ ثم فلاسفة العصر الحاسدين الموتورين ، الذين راوا فيه مارقا من مجتمعهم المنحل ، وكان على راســـهم « فولتير » !٠٠ وغير هؤلاء من رجال الدين والقانون والبرلمان ، الذين توجسوا شرا من آراء هذا « الاجنبى الخطر » !

◆ وكانت « التكاة » التى استند اليها هؤلاء لمهاجمة روسو كتاب اصدره بعنوان « حرفة الايمان » ـ وقد جعل منه الجزء الرابع من دستوره التربوى (اميل) ـ فلم يكد الكتاب ينشر حتى اقام ضد روسو قيامة خصومه جميعا ، سواء من فريق المتعصبين للدين ، او فريق الملحدين !٠٠ فبعد ان كان الفريقان يهاجمان احدهما الآخر فى كل مناسبة « كالذئاب المسعورة ! » تحالفا معا ضده وتحولا الى مهاجمة كتابه الجديد ، الذى يدعو الى التسامح والبر والاخاء !

ولم يدرك روسو الخطر المحدق به ، فى الوقت المناسب ٠٠ كان ما يزال منتشيا بالمتعة التى استغرقته وهو يكتب (اميل) ، فى قصره الصغير الساحر الذى استضافه فيه دوق لوكسمبرج ، تحيط به جداول الماء المنسابة كثعابين من الفضة ، وسط الطبيعة الساكنة ، وتؤنس وحدته خليلته « تيريز » ٠٠ وقطته٠٠ وكلبه !٠٠ وهكذا لم يبلغ اذنيه الضجيج المدوى الذى تتجاوب به الآفاق خارج حدود غابة (مونتمورنسى) ٠٠

جنون الاضطهاد !

◆ فلما احس بذلك الضجيج اخيرا سقط فجاة من عليائه وفقـــد اتزانه العقلى ٠٠ فراح يتوهم الخطر فى كل اتجاه ـ حيث لا خطر على الاطلاق ! ـ وينسب لهذه الجهة وتلك انها تتربص له وتلاحقه بالاضطهاد !٠٠ واصيب على الاثر باول نوبة خطيرة من نوبات « جنون الشعور بالاضطهاد » الذى لازمه بعد ذلك حتى نهاية حياته !٠٠ واقترنت اصابته النفسية او العصبية هذه باصابة

اخرى عضوية ، بنوبة عنيفة من مرض الكلى ٠٠ الذى دفعته آلامه الى التفكير اكثر من مرة فى الانتحار !

◆ وفى غمرة هذه المحنة « الصحية » وقع عليه قرار برلمان باريس وقع الصاعقة : فقبل انقضاء عشرين يوما على نشر كتاب (اميل) فى هولندا ، وقبل أن تتسع الفرصة لتوزيعه فى فرنسا ، استصدر أعداء روسو من البرلمان قرارا بحرق نسخ الكتاب جميعا ، وبالقاء القبض على مؤلفه !٠٠ فلم يمض يومان حتى نفذ القرار - فى ١١ يونيو سنة ١٧٦٢ - فاحتفل باحراق نسخ الكتاب علنا عند قاعدة سلم (قصر العدالة) ٠٠ ونادى البعض بوجوب احراق مؤلفه ايضـــا !

وخشى حماة روسو من النبلاء ان يزج باسمائهم ، فيما لو قبض عليه ، فناشدوه أن يلوذ بالفرار ٠٠ ونفذ الفكرة - آسفا - فى نفس اليوم !٠٠ فلما وصل الى الحدود السويسرية آمنا ، انحنى فقبل « أرض الحرية » فى انفعال وتأثر شديدين !

عواصم أوربا تتسابق الى حرق الكتاب!

◆ لكن حسن ظنه فى « الحرية السويسرية » لم يلبث ان خاب بدوره ٠٠ فقد لاحقه خصومه بحملاتهم ، فلم تمض تسعة أيام على احراق (اميل) فى باريس حتى احرقته جنيف !٠٠ ثم تبعتها « برن » ، فنيوشاتل !٠٠ وتجاوبت أوربا بأسرها بصيحة واحدة من صيحات السخط واللعنة ، لم تشهد لها من قبل مثيلا ! رمته بتهم بشعة منوعة : بانه خائن ، وملحد ، ومخبول ، ووحش كاسر ، وذئب مفترس ٠٠ الخ ٠٠ حتى اعتقد المسكين ان العالم كله قد أصيب بمس من الجنون !

◆ وازدادت على روسو وطأة الشعور بالاضطهاد ٠٠ تراءى له ان الدنيا باسرها قد تحالفت ضده ، وصور له وهمه خيوط مؤامرة « دولية » دبرتها قوة مجهولة لتعذيبه والنيل منه !٠٠ فلجأ الى حمى ملك بروسيا ، فردريك الثانى ، حيث أقام فى احدى ضواحى نيوشاتل مدة عامين ونصف ٠٠ فلما بدا أن أعداءه قد نسيوه ، جدد المعركة معهم باصدار كتاب « رسائل من الجبل » - فى يونيو سنة ١٧٦٤ - وقد حارب فيه عدويه الرئيسيين : الكنيسة الكاثوليكية ، ودولة جنيف !٠٠ لكن ذلك ألب عليه رجال الدين جميعا ، فحرم من ممارسة فرائضه الدينية ، ثم ثار عليه الناس من جميع الطبقات ٠٠ صارت الاحجار تلقى عليه كلما خرج الى الحقول ٠٠ بل هدد باطلاق النار عليه !

◆ وفى سبتمبر سنة ١٧٦٥ هاجم بعضهم منزله تحت جنح الظلام ، فاضطر

الى الفرار دون ابطاء ٠٠ الى جزيرة (سانت بيير) ، حيث اقام شهرا واحدا ، طالبته حكومة (برن) فى نهايته بالرحيل ٠٠ فاضطر الى الفرار مرة اخرى من سويسرا ٠٠ الى باريس ، التى لم يكن مسموحا له بالاقامة فيها ، ومنها عبر البحر الى انجلترا ،بدعوة من المؤرخ الانجليزى دافيد هيوم ٠٠

◆ لكن برود الاخير الساخر ، واتصالاته باعداء روسو من كبار الفرنسيين والانجليز ، اثارت شكوك الاديب المضطهد فى نواياه ٠٠ وفى نوبة من نوبات ذعره فر المسكين من انجلترا - فى مايو سنة ١٧٦٧ - مارا بفرنسا مرورا عابرا ، ومنها راح يتنقل على غير هدى من مكان الى مكان ، كوحش يطارده قناصوه !٠٠ وفكر فى الفرار الى امريكا ، او الى جزيرة قبرص ، او اى ركن منزو من اركان بلاد اليونان ٠٠ وطيلة تلك الفترة التعسة بلغ به جنون الاضطهاد اقصى حدته ، فكان يختم كل خطاب يكتبه الى اى انسان بهذه الصرخة الملتاعة : « انى برىء ! »

◆ واخيرا سمح له بالعودة الى باريس ، فاقام فى مسكن متواضع بشارع (بلاتريير) ، وصار يكسب عيشه من نسخ النوتات الموسيقية للملحنين بالاجر٠٠ وكان قد كتب « اعترافاته » ، وقرا بعض صفحاتها المتطرفة على نفر من اصدقائه، فوشوا به لدى السلطات كى تمنعه من مواصلة قراءاته العلنية ، خشية ان يلحق بهم ظل من المسؤولية ، بسبب الاستماع اليه ! وكان فى مقدمة الواشين مضيفته القديمة مدام ديبيناى ، صاحبة الصومعة !٠٠ فبات يعتقد ان العـالم باسره يتجسس عليه ويتآمر ضده ٠٠ وانه وحيد وسط مجتمع كله اعداء ٠٠ « وحيد فى باريس الزاخرة ، وحدة اقسى وامر من وحدة روبنسن كروزو فى جزيرته المهجورة ! » ٠٠

على عتبة الجنون ٠٠!

◆ وفى نوبة ياسه من ان يستمع الى صرخاته الملتاعة انسان ، استدار ينشد معونة الله ، فكتب شكوى متهوسة مرفوعة « اليه » ، وقرر ان يسلمها اليـه « مباشرة » بوضعها فوق مذبح كنيسة (نوتردام) !٠٠ لكنه وجد باب المذبح مغلقا ، على خلاف العادة ٠٠ فكانت الصدمة القاضية !٠٠ خيل اليه ان الله ذاته قد اشاح بدوره عنه !

◆ ومنذ ذلك التاريخ لم يرتد الى روسو عقله الكامل ٠٠ وقد بدا اختلاله واضحا فى آخر انتاج ادبى له : « احلام متنزه وحيد » - وقد بداه فى خريف سنة ١٧٧٦ ولم يتمه حتى مات - لكن جنونه كان جنونا هادئا ، رقيقا ، حزينا ، لا يتعدى نطاق مخيلته ٠٠ جنونا كان يشعر منه كانه فى كابوس ، يود لو افاق منه ٠٠!

ورغم ذلك فان فنه لم يفقد شيئا من مميزاته ، بل لعله ازداد نقاء !٠٠ حتى كتابه ذاك الاخير جاء أشبه بانشودة جميلة لكروان وحيـد فى سكون الغابة !٠٠ انشودة اجتر فيها ذكريات أيامه السعيدة المعدودة التى عاشها فى احضان الطبيعة : يتملى من جمال الحقول ، والماء ، والغابات ، والوحدة ٠٠ وفوق كل شىء : السكون ، والراحة !

وفى الشهر الاخير من حياته ، كان من حسن حظه ان قيض الله له رجلا ثريا نقله من مسكنه المتواضع ، يوم ٢٠ مايو سنة ١٧٧٨ ، الى ضاحية جميلة على بعد تسعة أميال من باريس ٠٠ وهناك استمتع روسو استمتاعـا كاملا بذلك الفردوس المسترد ٠٠ حتى لقد تحسنت صحته ، وفى نهاية يونيو سمعه زائر انجليزى يعزف على البيانو لحنا من الحان أوبرا عطيل !٠٠

وفجاة ٠٠ فى صباح الخميس ٢ يوليو سـنة ١٧٧٨ اصيب بنزيف فى المخ ٠٠ قضى عليه !

يمجدونه ٠٠ بعد موته !

◆ لكن التعس الذى مات وهو يحس انه منبوذ « وحيد على الارض ! » ، لم يعلم انه قد غزا الحاضر والمستقبل ، وكفل لاسمه الخلود الابدى !٠٠ ومنذ سنة ١٧٨٠ صار نصف فرنسا يحج الى جزيرة « بوبلييه » حيث دفنت أشلاء راهب الفكر المجنون ، وكانت على راس الحجاج ملكة فرنسا وجميع امرائها !٠٠ وعبثا حاولت احقاد حاسديه من الفلاسفة ، وهجماتهم العنيفة الخبيثة ، أن تدمر سمعته، أو تؤثر فى حب الناس للمفكر الذى ظل وفيا لمبادئه حتى آخر نسمة ، فعاش معيشة رجل شعبى ريفى - على العكس من خصمه « فولتير » الذى كان قد مات قبله بنحو شهر واحد (فى ٣١ مايو سنة ١٧٧٨) .

وحين شبت الثورة الفرنسية مجد زعماؤها ذكراه فى كل مناسبة ، ونقلوا جثمانه الى مقبرة العظماء « البانثيون » ٠٠ ثم وقف روبسبيير ذات يوم فخلع عليه تاجا من أوراق البلوط ، رمزا لمكانته السامية « كمعلم للجنس البشرى »٠٠ وفى قاعة الجمعية التاسيسية وضع تمثال نصفى له فى مواجهة تمثالى زعيمى الحرية : واشنجتون وفرانكلن ٠٠

فلاسفة العالم وأدباؤه ٠٠ تلاميذه !

◆ على أن تاثير روسو قد جاوز السياسة الى الادب والفلسفة ، فتتلمذ على انتاجه فيهما أعظم فلاسفة المانيا وأدبائها ، ومنهم « كانت » و « هيجيل » و « جوته » و « شيللر » وغيرهم ٠٠ فقد احدثت كتاباته ثورة فى مشاعر الناس،

وفى أسلوب التعبير عن تلك المشاعر !٠٠ كان روسو عدة فنانين فى واحد : كان فى كتاباته « خطيبا » قويا من الطراز الاول ، فى بلاغة وتألق « ديموستين » !٠٠ وكان فى الوقت ذاته أستاذا فى « التفكير بصوت مسموع » أو فن كتابة الخواطر والاعترافات التى تنفذ الى أعماق النفس ٠٠ كان وهو يكتب انما يتحدث عن نفسه دائما ٠٠ ولم يكن يسأم قط مراقبة هذه النفس ، وتسجيل أحوالها فيما يكتب ٠٠ وبافصاحه عن خفاياها وبواطنها على هذا النحو ، دون ما خجل أو تورع ، كشف وعرض على النـــاس ما كان آلاف منهم يحسونه ويكبتونه فى أعماقهم ، مضطرين !٠٠ فهو قد حرر النفس العصرية من قيودها ، وعلمها كيف تحطم أغلالها ٠٠ كيف تعرف ما تحس ، وتعبر عنه ٠٠٠

وفى سبيل التعبير عن هذه الآفاق الجديدة ، خلق روسو لغة جديدة، تراعى موسيقى الالفاظ قبل أن تراعى قواعد النحو الجامدة !٠٠ كانت كتاباته أشبه بالشعر المنثور ٠٠ وقد تتلمذ عليه فى هـــذا الباب كل من « شاتوبريان » و « لامرتين » و « جورج صاند » وغيرهم ٠٠

فضله على « فرويد » و « تولستوى »

◆ بل لقد كان روسو أحد الموحين لفرويد بنظرياته فى علم النفس والتحليل النفسى ، فانه فتح للادب أبواب العقل الباطن وأوضح تأثيراته ، التى كانت من قبل مجهولة أو مكبوتة !٠٠

ومن روسو استمد « تولستوى » فى شبابه شعلة الهامه الادبى ، حتى لقد كان يضع حول رقبته على الدوام أيقونة تحمل صورة روسو ، وكأنها صورة قديس !٠٠ وحين نهض تولستوى بحركة الاصلاح الخلقى وافتتح من أجلها مدرسة فى مسقط رأسه ، جعل تعاليم جان جاك روسو ومثله التربوية التى رسمها فى كتابه (اميل) ، أساسا لبرنامج التعليم والتهذيب فى المدرسة ٠٠ وقد عاش حتى آخر أيامه يشيد به ويمجده ٠ والواقع أن التشابه الصارخ بينهما فى آرائهما ، سواء فى الفن أو الدين ، أمر يلفت النظر ٠٠ ويقول فيه تولستوى : « لشد ما تمس كتابات روسو قلبى ٠٠ حتى ليخيل الى انى أنا كاتبها ! » ٠٠ ولقد أعاد تولستوى كتابتها فعلا ، بأسلوب آخر ، فاستحق أن يلقب « جان جاك روسو القرن التاسع عشر » !

لكن تأثير روسو على الادب والتربية والفكر الحديث لم يقتصر على بلاد الغرب ، بل جاوزها الى بلاد الشرق الناهضة ، فقد طبقت « اليابان » و « الصين » الفتيتان تعاليمه فى مدارسهما ومؤسساتهما التربوية ٠٠

كتابه هـــذا ..

◆ وقد وضع روسو كتاب « اميل » ـ الذى اقدم لك « مقتطفات » منه فى الصفحات التالية ـ سنة ١٧٦٢ ، تلبية لرجاء ام سالته ان يرشدها الى الاسس التى ينبغى أن تتبعها فى تربية طفلها ، فاوحى اليه هذا الاقتراح بفكرة اخراج هذا الكتاب ، وقد تصور فيه نفسه مربيا خاصا لصبى خلقه خياله واطلق عليه اسم « اميل » ـ مدفوعا بعاطفته الابوية الموءودة نحو ابنائه الذين رزقهم ، ثم نقدهم جميعا ، منذ أودعهم دور الحضانة ! ـ وقد اورد فى الكتاب آراءه وخواطره بشأن طريقة تربية الصبى واعداد مداركه لتعلم مبادىء الاخلاق وعلوم الطبيعة والميكانيكا وفلاحة الارض .. وغيرها من الخطوات التمهيدية لمختلف ابواب المعارف العامة .. فكان ذلك الكتاب الاساس الذى بنى عليه اساتذة التربية الحديثة العالميين : « بيزدو » و « بيستالوزى » و « فروبل » المبادىء المفصلة للتربية العصرية فى مراحل الدراسة الاولية والابتدائية .. التى هى فى الواقع اهم مراحل الدراسة عموما من حيث تاثيرها على عقلية الصبى ونفسيته طيلة حياته ..!

والآن ، تعال معى نقلب صفحات كتاب « اميل ».

فلنعتز بانسانيتنا !

◆ لا يهمنى ان كان تلميذى قد أعد ليكون من رجال القانون أو الدين ، أو الجيش .. الخ .. فقبل ان يختار له والداه مهنته اختارت له الطبيعة مهنته وحرفته الاولى : ان يكون انسانا .. ومن ثم ينبغى أن يكون هدف التربية المثلى أن ينبغ كل فرد فى هذه «المهنة» ، مهنةالانسانية .. التى يتساوى الناس جميعا فى نصيبهم من « بذرتها » الاولى ..

◆ فالعلم الاول الذى ألقنه لتلميذى هو .. الحياة ! والحياة ليست أنفاسا ، بل حركة ، وحسن استخدام لحواسنا .. وعقلنا .. ومواهبنا .. وكل جزء منا يساعدنا على ادراك وجودنا ... **فما تقاس الحياة بطول الايام بقدر ما تقاس بحدة احساس الحى بأنه حى .. !**

الانسان عبد !

◆ والانسان المتمدين يولد ويموت عبدا ‥ فهو فى طفولته عبدثيابه الضيقة الخانقة ‥ وهوبعدوفاته سجين نعشه الضيق ‥ وطيلة حياته يكون رهين قيود مجتمعنا ونظمه الصارمة ‥

◆ ولو تأملنا الطبيعة وتتبعنا طريقها المرسوم ، لوجدناها تشغل الطفل بألف شاغل وشاغل يستنفد نشاطه وطاقته ‥ وتزرع فى حياته جميع صـــنوف المتاعب ، فتعلمه معنى الالم والحزن ، وتعوده على المصاعب التى لن يلبث أن يواجهها فى حياته المستقبلة ‥

◆ **«وشقاوة» الطفل مبعثها ضعفه ، والضعف أساس جميع الشرور ‥ فاعمل على تقوية طفلك يصبح طيبا خيرا ! ‥ ونحن لو استطعنا أن نفعل كل شىء ، لما فعلنا قط شيئا رديئا !**

‥ وبين جميع سجايا «الخالق» ـ القادر على كل شىء ـ تعتبر « الطيبة » ألصقها به ، وأكثرها ثباتا وتأصلا فى الصـــورة التى نتخيلها عنه !

اللعب بالنار ‥ !

◆ وأنا لن أحاول منع تلميذى (اميل) من أن يـؤذى نفسه ، أثناء لعب أو لهو ‥ بل انى ـ على العكس ـ أحس بالضـــيق والحنق اذا لم يؤذ نفسه قط ، لان ذلك يجعله يشب غريبا عن الالم ، والالم غريبا عنه ، لم يألف كلاهما صاحبه ‥ فى حين ان احتمال الالم والتمرس به هو الدرس الاول والانفع الذى ينبغى أن يتعلمه ‥

فبدلا من أن تحتفظ بطفلك محبوسا فى حجرة خانقة ، خذه الى الخلاء كل يوم ٠٠ دعه يجرى هناوهناك ، ويسقط وينهض ، ويسقط مرة أخرى ٠٠ فكلما كثرت سقطاته اقترب اليوم الذى يتعلم فيه كيف ينهض من سقطته ، ثم كيف يتجنبها ٠٠!

لا تمنعه من اللعب بالنار ٠٠!

الضعف ٠٠ أمر نسبى

◆ ماذا نعنى حين نقول ان «ان الانسان ضعيف»؟٠٠ ان لفظ «ضعيف» يتوقف فى معناه ودلالته على المخلوق الذى يوصف به٠٠ **فالحشرة أو الدودة التى تفوق قوتها حاجاتها تعتبر « قوية » ٠٠ والفيل أو الاسد ، أو القائد الفاتح ، أو البطل ، أو حتى الاله الذى تفوق حاجته قوته ٠٠ ضعيف !**

والانسان الحر حقا هوالذى يشتهى مايستطيع ان يفعله ، ويفعل ما يشتهيه٠ هذا هو مبدئى الاساسى، فلتطبقه على طفلك، ويومئذ تجد ان جميع قواعد التربية تنبع منه ٠

علم طفلك ان لا يعتمد على أحد من البشر ، بل يعتمد على « الاشياء » فقط ، عند الضرورة ٠٠ دع رغباته تصطدم بالعقبات المادية أو الجسمية وحدها ، أو بالعقاب الذي يجازي

به عن افعاله الخاصة ٠٠ حتى اذا ماتكررت الظروف مرة اخرى، ذكر الدرس الذى تلقاه فى أول مرة ٠٠ !

الوقاية ٠٠ أو العلاج !

◆ وليكن رائدك ان تحول بينه وبين ارتكاب الخطأ او الشر، لا أن تحرم عليه ارتكابه أو تنهاه عنه ٠٠ حتى تأخذ « التجربة » مكان « القانون » فى اقصائه عما لا ينبغى ٠٠

◆ ويجب ان لايحصل طفلك على مايطلبه ، بل على مايحتاج اليه ٠٠ وان لا يتصرف قط بدافع الطاعة العمياء وانما بـدافع الضرورة ٠٠

ولتستبعد من قاموسه كلمات « الطاعة » ، و « الامر » ، و «الواجب» ، و « الالتزام » ٠٠ وبهذه الطريقة يشب صبورا ، هادئا ، محبا للنظام ٠٠ و «مطيعا» سهل القيـــاد ٠٠ دون أن تطالبه بالطاعة كواجب كريه تفرضه عليه !٠٠ وســوف تجده كذلك حتى حين لايحصل على كل مايريد ٠٠ فان من طبيعـــة الانسان ان يذعن فى صبر لماتفرضه عليه طبائع الاشياء وليس لماتفرضه عليه ارادة سواه من البشر !

الخير هو المتأصل فى الانسان ٠٠ لا الشر !

◆ ولتضع نصب عينيك قاعدة لا شك فيها ، هى ان النزعات الاولى التى توحى بها الطبيعة للانسان ، هى الصواب دائما ٠٠ فليس فى القلب البشرى خطيئة متأصلة ٠٠ وانما كل خطيئة أو شر من الشرور يمكن تتبع سببه أو منبعه الخارجي ٠٠

◆ **ومن هنا وجب أن تكون التربية التى تلقن للطفل فى سنوات الاولى من عمره سلبية محضة ، لا تنطوى على تعليمه الفضيلة أو الصدق ، بل تنطوى على حماية قلبه ونفسه من الرذيلة والشرور ! •• أو بعبارة أخرى : لا تكلف نفسك مشقة زرع الخير فى نفسه ، فالخير متأصل فيه بطبعه وخلقته ، وانما قصر همك على وقاية نفسه الطاهرة من الشرور التى تأتيه من الخارج !**

◆ والدرس الاخلاقى الوحيد الذى ينبغى أن يلقن للطفل ملقينا ، بل يلقن لكل انسان ، فى كل مرحلة من مراحل العمر •• هو هذا : « لا تؤذ أحدا قط ! » •• فان عمل الخير نفسه اذا لم يخضع لهذا الدرس ، يكون خيرا زائفا ، متناقضا ، بل خطرا ••

•• وهل هناك انسان لا يفعل خيرا على الاطلاق ؟ كلا ، كل انسان يفعل بعض الخير : الشرير والطيب على السواء •• لكن هذا الخير الذى يفعله هذا أو ذاك قد يسعد انسانا على حساب شقاء مائة شخص غيره •• ومن هنا تنبع كل الشرور !

انتقاء المعلومات التى تلقن ••

◆ والمعلومات التى تلقنها لابنك يجب أن تنتقى بعناية •• فان الذكاء البشرى محدود ، وما من انسان يستطيع أن يجمع فى رأسه كل المعلومات التى فى الوجود ، بل ما من انسان يمكنه حتى أن يلم بجميع المعلومات المتناثرة فى رؤوس الآخرين !•• وما دام كل رأى زائف تقابله حقيقة صحيحة ، فهناك اذن حقائق لا عدد لها ، بقدر ما هنالك من آراء زائفة وأباطيل ! ••

واذن فينبغى ان نعنى بانتقاء مانعلمه للنش ٠ وأول ما يلزم فى هذا الباب كل ما يتصل باسعاد الانسان فى الحياة وكفالة خيره ورفاهيته ٠ والمعلومات التى تدور حول هذا الموضوع وحده هى من السعة والتشعب بحيث تستحق من الرجل الحكيم أن يدرسها دراسة مستفيضة ٠٠ ومن ثم ينبغى أن تلقن للصبى الذى نريده أن يشب رجلا حكيما ٠٠ ينبغى أن يعلم من الحقائق ، لاماهو «كائن» فحسب ، بل ماهو «نافع» ٠٠!

◆ فلتضع نصب عينيك دائما هذه الحقيقة : ان الجهل لا يضر ، بقدر ما يضر الخطأ ٠٠ ونحن لا نضل طريقنا بسبب الجهل ، بقدر ما نضله بسبب افراطنا فى الثقة بأنفسنا ٠٠ فلنستمد آراءنا من احساساتنا ، فهى أصدق سبيل الى تكوين الآراء الصائبة ! ٠٠ لتكن حواسنا دليلنا الوحيد الى مداركنا الاولية ٠٠ فليس ثمة كتاب أصدق من الطبيعة ، ولا دراسة أنفع من الحقائق !٠٠ فلتعلم تلميذك أن يلاحظ بنفسه ظواهر الطبيعة ، فاذا رأى نباتا ينمو ، فلا تتعجل فى ارضاء فضوله الى معرفة أسرار نموه ٠٠ لا تدعه يعرف شيئا لانك ذكرته له ، بل لانه قد تعلمه من تلقاء نفسه ٠٠

فلو استبدلت سلطانك عليه بسلطان عقله فسوف يجئ اليوم الذى يكف فيه عقله عن التفكير ويصبح مجرد دمية او ببغاء تتشدق بآراء الاخرين !

لاتصلح له اخطاءه !

◆ واذا اخطأ ابنك ، اوتلميذك ، فلا تصلح له أخطاءه ، بل دعه وشأنه وامسك لسانك حتى يكتشفها هو بنفسه فيصلحها !٠٠ أوفليكن اقصى ماتفعله له ان تنتهز اول فرصة

تسنح فتهيىء له المناسبة التى تمكنه من اكتشـــاف اخطائه بنفسه .. فهو اذالم يخطىء لن يتعلم ..!

ذلك هو المبدأ الرئيسى فى طريقتى : لاتتخم ذهنى الصبى بأشياء ومعلومات كثيرة ، بل اكتف بالضرورى منها ، ولـكن احذر من ان تدعه يكون آراء مشوشة مضطربة اوغير محدودة .. فأنا لايضيرنى ان يجهل كل شىء عن موضوع بعينه ، فهذا خير من ان يخطىء فيه ، ولست ارمى من تزويده بالحقـائق الا الى حمايته من الاخطاء التى قد يطمسها بها ..

التعليم الذاتى أجدى !

◆ وليس من شأنك ان تعلم الصبى العلوم المختلفة جميعا ، بل ان تزوده بطريقة تذوقها ووسائل دراستها حين تنضـج مداركه .. فذلك مبدأ اساسى لكل تربية سليمة . ولاشـك ان الافكار والآراء التى يكتسبها المرء ويتعلمها بنفســه تكون اكثر رسوخا فى الذهن ووضوحا فى الفهم من تلك التى يلقنه اياها الآخرون .. فان الانسان بطبعه يجد متعـة اعظم فى اكتشاف الاشياء بمجهوده الشخصى ، فضلا عن ان عقولنا تتمرد عادة على الخضوع الاعمى لسلطان الآراء التى تفرض عليهـــا فرضا ..!

واذن فمعلمونا الحقيقيون هم : التجارب ، والعـواطف ، والانفعالات .. والانسان لايتعلم ماينا سبه شخصيا الا فى ظل ظروفه الخاصة ..

◆ وفى اليوم الذى نستطيع فيه أن نجعل تلميذنا يهضـم معنى كلمة « نافع » نكون قد توصلنا الى وسيلة اضافية جديدة نسيطر بها عليه .. فانه ينبغى ان يكون هـــذا السؤال :

« مافائدة هذا الشيء ، أونفعه ؟» هو الشعار المقـــدس الذى يمتحن به كل من التلميذ والمعـلم كل تصرف من تصرفاته فى الحياة ٠٠!

فليكن المربى قدوة لتلميذه ٠٠!

◆ ويخطىء المربى الذى يعتمد فى تربية تلميذه على الالفاظ ، أكثر من اللازم ، فنحن نغالى فى الثرثرة ، وفى الايضــاحات اللفظية ، مع ان الصبية والشباب يقتدون بأفعالنا لا بأقوالنا ، فهم يحذون حذونا ويقتدون بنا ، لكنهم لايلقون بالا الى كلامنا أويتذكرونه طويلا ٠٠

◆ **وانا أمقت الالتجاء الى الكتب فى تعليم تلميذى ٠٠ فهى تعلمنا ان نتحدث عن اشياء لانعرف شيئا عنها فى الواقع ٠٠ ولو سألتنى عن احسن كتاب يعلم التلميذ الحياة على طبيعتها ، كما خلقها الله لنا ، لاجبتك انه ليس كتابا من مؤلفات ارسطو، أو أمثاله من الفلاسفة ٠٠ وانما هو كتاب «روبنسن كروزو »!**

٠٠ فهو يصور كيف يعيش الانسان على الفطرة ، وحيــدا فى جزيرة ليس فيها من المخلوقات غير الحيـــوان والنبات ، دون البشر !٠٠ وهى ترينا كيف يغالب الانســان عناصر الطبيعة ، ويروضها ، ويسخرها لخدمته ومنفعته ٠٠ الامر الذى يفتــح امام الناشىء آفاق التفكير فى الصناعة والاختراع ٠٠ الخ

◆ وينبغى ان يكون هدفك الرئيسى فى تربية تلميذك ان تبعد عن افقه كل تفكير فى العلاقات الاجتماعية التى يعجــز عن فهمها ٠٠ ولكن حين تضطرك الظروف ، وتطورات معلوماته ، الى ان تشرح له كيفية اعتمــاد البشر على بعضـــهم البعض ، وتعاونهم فى شتى نواحى الحياة ، فلاتركز همك فى ان تظهرله

الناحية الخلقية أوالمعنوية من نواحى ذلك التعاون ، بل يحسن ان تبدأ بتوجيه نظره اولا الى فائدة التعاون من حيث تنمية الصناعات والفنون الميكانيكية التى تجعل الانسان « نافعا » لإخوته فى الانسانية ٠٠!

نظرة الناس ٠٠ والقيم الحقيقية للاشياء !

◆ والملاحظ ان نظرة الناس المألوفة الى الفنون المختلفة ، من حيث ترتيب افضليتها واهميتها ، تضع الفنون العقيمة فى رأس القائمة ، والفنون النافعة فى ذيلها ، وهكذا !٠٠ **وانت تخطىء اذا جعلت تلميذك ينشأ على اعتناق هذه النظريات السخيفة ، أولو شاركته فى تطبيقها ، كأن يراك مثلا تظهر للجواهرى فى متجره الفاخر احتراما يفوق الاحترام الذى تظهره للحداد او لصانع الاقفال فى حانوته المتواضع !٠٠** فان النتيجة الطبيعية لذلك المسلك ان يشب الصبى وقد رسخت فى ذهنه فكرة خاطئة عن قيم الاشياء ، تجعله يحترم الاشياء الباهظة التكاليف ، التافهة القيمة ، ويضن باحترامه على الاشياء الزهيدة الثمن ، ولو كانت عظيمة النفع !٠٠ وفى اللحظة التى ترسب فيها هذه النظرة فى وعى الناشىء تكون كل جهودك فى سبيل تربيته تربية قويمة سليمة ، قد ضاعت سدى !٠٠

◆ **والخلاصة انه كلما كان الفن نافعا وضروريا ، كلما وجب ان يحترمه الانسان ويقدره حق قدره ٠٠ وانا اضع فى رأس قائمة الفنون النافعة ، ذلك الفن الذى هو اقدمها جميعا : فن الزراعة !٠٠ ثم يليه فن التعدين والصناعات المعدنية ٠٠ ثم فن النجارة ، وهكذا ٠٠** وينبغى ان يلقن التلميذ ان ينظر

اليها بنفس هذا الترتيب ، لاان تفسد نظرته الافكار السخيفة الخاطئة ٠٠ وفى هذا المجال يستطيع تلميذى « اميل » ان يتلقى الكثير من المعلومات النافعة من «روبنسن كروزو » ٠٠

العاطل عن العمل ٠٠ لص !

◆ وليكن المبدأ الذى تضعه نصب عينى تلميذك ، ان «كل انسان يجب ان يعيش » ولكن دون المساس بحقوق الآخرين ٠٠ **فلئن كان الشخص الذى يعيش فى عزلة ، خارج نطاق المجتمع، يستطيع ان يفعل مايحلو له ، ولايكون مدينا لاى انســان بأى شىء !٠٠ فان الذى يعيش فى المجتمع يكون ملزما بأن لايعيش على حساب الآخرين ، اى ان يؤدى للمجتمع عملا يســـاوى قيمة الرعاية التى يلقاها منه ٠٠ فالانسان فى المجتمـع مكلف بأن يعمل ٠٠ وكل من يحجم عن العمل هو بمثابة لص ، يعيش عالة على المجتمع !**

◆ ولابد من ان أعلم تلميذى « اميل » حرفة من الحرف ٠٠ وانت قد تعلق على هذا بقولك : « لابد ان تختار له حـــرفة شريفة !» ٠٠ ولكن ، ماذا تعنى بربك بكلمة «شريفة » ؟ ٠٠ او ليست كل حرفة نافعة ٠٠ شريفة ؟ انى لن اجعل منه مطرزا ، أو رجلا يحترف التوشية بالذهب ، أو تلميع الاشياء ـ مثل تلميذ الفيلسوف (لوك) ـ كما لن اجعله يصير موسيقيا ، أو ممثلا ، أو مؤلفا ٠٠ وانما انا افضل ان يكون اســـكافا ، عن ان يكون شاعرا ٠٠ وأوثر له ان يصير كناسا للشوارع ، ولا يصـــير نقاشا يرسم الازهار على الاوانى الخزفية !

وانت قد تقاطعنى بقولك : « لكن حرف رجال البوليس والجواسيس ، والجلادين الموكلين بالمشانق ٠٠ كلها حـــرف

نافعة ٠٠ فهل تريد لتلميذك ان يصير واحدا منهم ؟»

وأنا اجيبك بأن المجتمع السليم ينبغى ان لايكون فيه لزوم لواحد من هؤلاء !

تثقيف القلب ٠٠ بعد العقل !

◆ والآن ، وقد جعلنا من «اميل» رجلا عاقلا ، ومفكرا ٠٠ فقد بقى علينا ان نجعل منه انسانا محبا رقيق القلب ، يكمل مداركه بمشاعره ٠٠ ولكن قبل ان ننتقل الى هذا الطور الجديد من اطوار تربيته ، لنلق نظرة على المرحلة السابقة التى تخطيناها ، كى نتبين اين نقف ، والى اين قد وصلنا :

ان اميل يعرف الآن القليل من المعارف ، لكن مايعرفه قد تعلمه بنفسه ، فهو يخصه دون سواه ٠٠ وهو لايطوى عقله على معلومات ناقصة ، فالاشياء القليلة التى يعرفها ، يعرفها حق المعرفة ٠٠ والمبدأ الهام الذى يجب ان يرسخ فى ذهنه فى هذا الصدد ان هناك اشياء كثيرة لايعرفها اليوم ، لكنه قد يعرفها يوما ما ٠٠ واشياء كثيرة غيرها يعرفها غيره من الناس ، لكنه هو لن يعرفها قط !٠٠ واخيرا هناك اشياء لاحصر لها لن يعرفها هو ولا غيره من الناس أبد الدهر !

يحب الحق ٠٠ فوق كل شىء !

◆ وهو واسع الافق رحب التفكير ، لا عن طريق المعلومات والمعارف التى تلقاها ، وانما عن طريق قدرته على اكتسابها فى الوقت المناسب !٠٠ وهو ذكى ، صريح ، متأهب لكل احتمال ٠٠ ويكفينى منه ان يعرف «اسباب» عقائده ، و « مقاصد » تصرفاته ٠٠ **فان هدفى فى تربيته ليس حشو رأسه بجميع المعارف الممكنة ، بل تعليمه طريقة الاهتداء اليها**

في أوانها ، في الوقت الذي يحتاج فيه اليها ٠٠ والهـــدف الثاني ان أعلمه كيف يزن تلك المعارف ويقدرها بقيمتها الحقيقية التي تستحقها ٠٠ واخيرا : ان يحب الحق فوق كل شيء !

◆ و «اميـــل» شاب مجتهد ، عفيف، صبور، متزن وشجاع ٠٠ فانه لماكان خياله مايزال «نائما» فانه لايعـرف التصورات والافكار المبالغ فيها عن المخاوف والاخطار ٠٠!

وهو يعرف كيف يحتمل ـ صابرا ـ الامراض القليـــلة التي تصيبه ، لانه لم يتعلم كيف يتمرد ويثور على الاقدار !٠٠ اما الموت فهو لايعـــرف حتى معناه ٠٠ لكنه ، بحكم اعتيـــاده الخضوع دون مقاومة لقانون الضرورة ، سوف يموت يوما ـ اذا لم يكن من الموت بد ـ دون انين ، ودون نضال ٠ وهـــذا اقصى مانستطيع ان نطلبه من الطبيعة في تلك الساعة التي نشـــفق جميعا منها !٠٠ فالطريقة المثالية لان نتعلم كيف نموت ، هي ان نعيش أحرارا ، متحررين من التعلق بعروض الحياة ٠٠ وشئون البشر التافهة ٠٠

فهل تعتقد ان السنوات الباكرة من عمر الغلام الذي بلغ عامه الخامس عشر في ظل هذه العقلية ، قدضاعت سدى ؟!

مقاومة العواطف ٠٠ تشويه لعمل الله !

◆ وعواطفنا هي الوسيلة الرئيسية للمحافظة عـلى الذات ، ومن ثم فمحاولة تدميرها والقضاء عليها انماهي محاولة سخيفة وعقيمة معا ، فان معناها مقاومة الطبيعة ، وتشويه عمل الله !٠٠ وانا اعتبر أولئك الذين يحولون دون مولد العواطف من بادىء الامر ، في حمق الذين يقضون عليها بعد ان تولد ٠٠!

◆ وقد يقول قائل : اذا صح ان العواطف مشاعر طبيعيـــة

بالنسبة للانسان ، فهل معنى ذلك ان جميع العـــواطف التى نحسها فى انفسنا اونلمسها فى غيرنا ، طبيعية ؟٠٠ حتى ولو كانت عواطف مدمرة ؟

◆ والجواب ان العواطف المدمرة التى تأسرنا وتفسد حياتنا لها مصدر آخر غير الطبيعة ، فليست الطبيعة هى التى تولدها فينا ، وانما نحن الذين نتشبث بها « برغم » الطبيعة !

◆ ولتعلم تلميذك ان الانسان بطبعه طيب ، محب للخير٠٠ وان المجتمع هو المسئول عن فساد خلقـه وانحطاطه ٠٠ وليس معنى قولى بتربية الانسان فى احضان الطبيعـــة انى اريد ان اجعل منه شخصا بدائيا او وحشا يعيش فى الغابات ٠٠ وانما حسبه ان يعيش فى خضم المجتمع الفاسد ولا يدع نفسه ينساق فى تيار نقائص المجتمع ورذائله !٠٠ فليرقب كل شىء بعينه ، ويحس بقلبه ، على أن لايكون لغير عقله سلطان عليه !

◆ وتلميذى المثالى لايحب الضجيج اوالشجار ، سـواء بين البشر او بين الحيوانات ٠٠ وهذه النزعة « السلمية » هى احدى نتائج تربيته الممتازة ، التى لم تنبه فيه يوما اوتشـجع غريزة حب الذات ، اوالغرور ٠٠ ومن ثم لم تشجعه على أن يجـــد لذته فى السيطرة على الآخرين ، والاستمتاع برؤيتهم يتألمون ويتعذبون ٠٠٠ بل انه على العكس من ذلك ، يتألم حين يرى آلام الغير ، وهذا شعور «طبيعى» فيه ، كانسان !

الحياة قصة

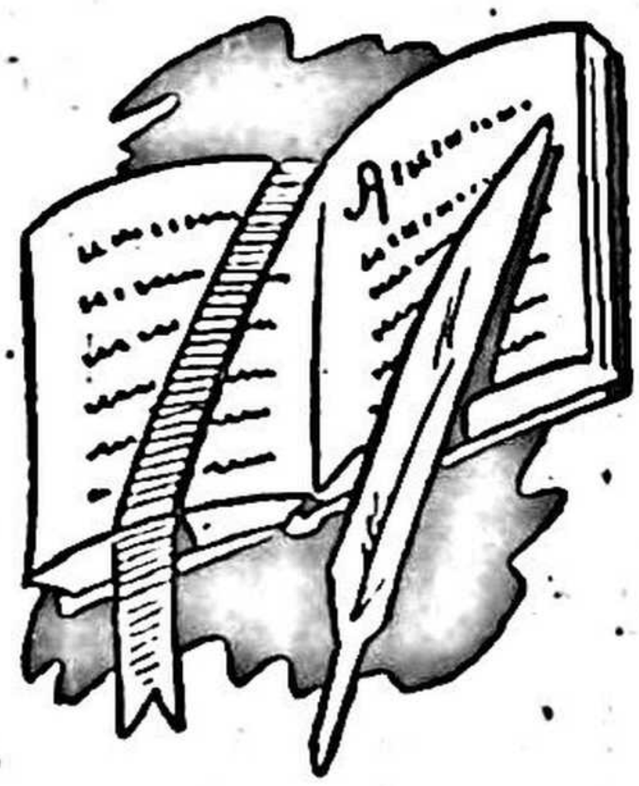

روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

فى كتابى الاول قدمت لك فى هذا الباب قصة ستيفان زفايج الكبرى «آموك» أو (غرام تحت سماء الشرق) .. وفى كتابى الثانى قدمت لك قصة « جون جالزورثى » الخالدة « شجرة التفاح » أو (قنب عذراء) ـ وفى العدد الثالث رويت لك قصة (مرتفعات وذرنج) ، التى خلدت اسم مؤلفتها اميلى برونتى على مدى الاجيال ..

واليوم أقدم لك القصة التى كتبت مجد مؤلفها الكاتب الفرنسى الكبير (بول بورجيه)، وقد أطلق عليها «التلميذ»...

وفى الاعداد التالية ستقرأ فى هذا الباب من كتابى بعون الله أروع ما كتب أساطين القصة العالمية المحدثين ، الى جانب مجموعة منتقاة من القصص (الكلاسيكية) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون أن تتاح لك فرصة قراءتها ، ومنها : جين اير (شارلوت برونتى) قصة مدينتين ، أوليفر تويست (تشارلس ديكنز) ايفانهو (والترسكوت) صورة دوريان جراى (أوسكار وايلد) سافو (الفونس دوديه) البؤساء ، أحدب نوتردام (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مانون ليسكو (بريفو) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (زولا) تاييس (أناتول فرانس) الجريمة والعقاب ، اخوة كارامازوف (دستويفسكى) الحرب والسلم ، أناكارنينا ، البعث (تولستوى) ..

LE DISCIPLE
par
PAUL BOURGET
"التلميذ"
أو
عندما يضل الشباب!
للروائي الفرنسي الكبير: بول بورجيه

المؤلف

ولد « بول بورجيه » فى مدينة « امين » بفرنسا يوم ٢ سبتمبر سنة ١٨٥٢ ـ وعاش حتى يونيو سنة ١٩٣٦ ـ وكان أول انتاج أدبى له ديوان من الشعر عنوانه « على شاطئ البحر » أصدره سنة ١٨٧٣ ، لكنه لم يظفر فيه بنجاح يذكر ، لتغلب الطابع العقلى الجاف فيه على الطابع العاطفى الرقيق ، الملائم لنظم الشعر .. ومن هنا انتقل بورجيه من نظم الشعر الى النثر ، فوضع كتابا فى النقد الادبى نشرت فصوله بالتتابع مجلة (نوفيل ريفو) ، وقد اطلق عليه : « دراسات فى علم النفس العصرى » ، فكان بشيرا بسطوع نجمه فى سماء الادب الفرنسى ...

وفى سنة ١٨٨٤ زار بورجيه انجلترا زيارة طويلة كتب اثناءها روايته الاولى : « ما لا يمكن اصلاحه »، ثم اتبعها فى العام التالى بالثانية « اللغز القاسى » ، فالثالثة « أكاذيب ».. وفى سنة ١٨٨٩ أصدر روايته هذه : « التلميذ » التى أثارت اعجاب الجماهير والنقاد على السواء ، بما انطوت عليه من التحليل النفسانى الرائع ، الذى صار بعد ذلك طابع بورجيه فى جميع رواياته التالية ، ومنها : « جريمة حب » ـ التى ساقدمها لك فى عدد قريب من (كتابى) ـ و « قلب امراة » و « حادث طلاق » و « معنى الموت » و « مأساة فى المجتمع الراقى » و « لازارين » و « اندريه كورنيليس » و « آنييس ديلاس » و « الدوقة الزرقاء » و « الغرام المفجع » .. الخ

وقصته هذه ـ « التلميذ » ـ هى بمثابة صيحة تحذير للشباب العصرى من خطر الاعتماد المطلق على وحى العقل ، دون الدين .. فهى تصور نتائج التعاليم والافكار « اللادينية » فى عقل شاب تلقاها عن استاذه الفيلسوف الذى يدعو اليها .. وقد كتبها بورجيه تحت تاثير شعور حقيقى بمسؤولية الكاتب عن مصائر الشباب .. كتبها كانما ليقول : انه لا يكفى أن يكون الشاب « متفوقا » فى حياته العامة ، اذا كان تفوقه ينطوى على التضحية بالفضائل الطيبة « القديمة » : فضائل الامانة ، والبساطة .. والعفة !

١ ـ الفيلسوف العصرى

◆ كان يدعى « أدريان سيكست » ، وكان النقاد الانجليز يطلقون عليه أحيانا « سبنسر الفرنسى » ، تشبيها له بفيلسوفهم المشهور هربرت سبنسر ! ٠٠ **وكان «سيكست» يعيش وحيدا، لاتشاركه مسكنه الذى يقع فى ركن عتيق من أركان باريس ، بجوار حديقة النباتات ، غير مدبرة بيت شمطاء جافة العود ، يوحى مظهرها بالاحترام ٠٠**

وكان صاحبنا يحيا حياة ناسك متقشف ـ بل شبه قديس ـ فى جو من التأملات المجردة ، التى خرج منهابمحصول وافر مِن المؤلفات الفلسفية : منها كتابه فى « نفسية الله » ـ الذى أثار الكثير من الجدل والنقاش ـ ثم كتاباه الآخران : « تشريح الارادة » و « نظرية العواطف » ٠٠ وقد اعتبرها البعض مؤلفات ضارة ممقوتة ، بينما اعتبرها البعض الآخر دراسات قيمة ، كفيلة برفع مؤلفها الى مرتبة أعظم فلاسفة العالم ، المعاصرين أوالاقدمين !٠٠ وسواء صح رأى أولئك أوهؤلاء ، فقد ذاع صيت مسيو أدريان سيكست فى عالم الفكر ومجتمعات المثقفين ، بحيث بات كل كتاب جديد يخطه قلمه يثير عاصفة من القيل والقال ٠٠!

◆ وكان سيكست قد غادر مسقط رأسه (نانسى) فى أعقاب حرب سنة ١٨٧٠ ، بعد أن فقد كلا من أبيه وأمه ، وجاء ليقطن باريس ويستقر فيها ٠٠ **وكان له مندخله الموروث ما يكفى لسد حاجاته المتواضعة ويزيد٠٠ وهكذا ـ وقد استراح من التفكير فى الامور المالية أوسواها من الشواغل الدنيوية ،**

وخلا قلبه من أى مطمع فى مال أو شهرة ـ استأنف « سبنسر الفرنسى » فى هدوء عمله الوحيد : التفكير !

وكان الرجل منتظما فى عاداته الى أقصى درجة ، بحيث كان فى وسع جيرانه أن يضبطوا ساعاتهم وفقا لمواعيد خروجه أوعودته !٠٠ كانت حركاته اليومية تتكرر بنظام واحد رتيب لايتغير ، عاما بعد عام ، وسواء فى الصيف أوالشتاء !٠٠ ولم يكن سيكست يشرب الخمر ، ولايدخـــن ٠٠ أماطعامه فكان يتناول منه مايكاد يقيم أوده ولايزيد ٠٠ وفيما عدا ذلك كان همه الاهم وشغله الشاغل : أن يفكر ويكتب !

رسالتان غامضتان !

◆ على أن هدوء هذه المعيشة الآلية المنتظمة قد قطعتـــه فجأة ذات صباح واقعتان غير عاديتين : الاولى « اخطار » تلقاه الفيلسوف ، تدعوه فيه السلطات الرسمية الى المثـــول أمام «مسيو فاليت» قاضى التحقيق كى يستجوبه بصـــدد «مسائل خاصة سوف يعلم بأمرها فى حينها !»٠٠ **والواقعة الثانيـــة رسالة قصيرة ممن تدعى « مدام جريسلو » ، تطلب فيهـــا الى مسيو سيكست أن يسمح لها بأن تزوره بعد ظهر اليـــوم التالى : « كى أتحدث اليك فى شـــأن الجريمـــة التى اتهم بها ـ ظلما ـ ابنى التعس !»**

وكان من أبرز خصال مسيو سيكست ، وأغربهـــا ، جهله التام بحوادث الحياة اليومية وأنبائها !٠٠ فقد كان ، من فرط عدم مبالاته بالاحداث الجارية ، لا يقرأ الصحف اليوميـــة على الاطلاق !٠٠ ومع ذلك فانه انتهى من حيرته بشأن تينـــك

الرسالتين اللتين وصلتاه فى يوم واحد ، الى استنتاج النتيجة الصحيحة : وهى أن ثمة صلة وثقى بين رسالة قاضى التحقيق ورسالة « مدام جريسلو » ٠٠!

◆ وفى البداية لم يحمل هذا الاسم الاخير الى وعيه أى معنى خاص ، أو ادراك معين ٠٠ **لكن الفيلسوف عاد فتذكر ـ بالتدريج ـ عدة زيارات عابرة ورسائل تلقاها فى فترات متقطعة من العامين السابقين من شاب يدعى «روبير جريسلو» ، كان يطلب العلم فى مدرسة الليسيه ببلدة (كليرمون فيران)** ٠٠ ومع احدى تلك الرسائل تلقى الفيلسوف ذات يوم بحثا نفسانيا رفعه اليه الشاب كى ينقده ويقول رأيه فيه ، وقد أردفه مرسله بقوله انه شديد الاعجاب والتحمس لكتاب «نفسية الله» وسواه من كتب الفيلسوف الكبير «أدريان سيكست» ٠٠ بل لقد ذيل الفتى أكثر خطاباته بهذا التوقيع « تلميذك وتابعك المخلص ٠٠٠» **وكان آخر نبأ سمعه الفيلسوف عن ذلك الشاب انه قد اختير « مربيا خاصا » لابن نبيل من نبلاء جهة «آيدا» باقليم « أوفيرن » ٠٠**

جريمة قتل !

◆ وصل مسيو سيكست الى دار العدالة قبل الموعد الذى حدد له فى الاخطار بخمس دقائق ٠٠ ولم يلبث أن أدخل على قاضى التحقيق ـ مسيو فاليت ـ وكان رجلا لطيف المعشر حاضر البديهة حاد الدعابة ، تنم لهجته عن كونه رجلا « دنيويا » ، بقدر ماكان محدثه « روحانيا » !٠٠ وكانت دهشة القاضى لرؤية الفيلسوف المشهور على هذه الصورة الغريبة

من الزهد والتقشف ، دهشة بالغة ، لا حد لها ٠٠ وقد حسب في البداية ان اللهجة الجافة المترددة التي كان هذا يجيب بها على أسئلته ، تخفي من المعلومات عن القضية أكثر مما يبـغي الرجل أن يفصح !٠٠ لكنه لم يلبث أن تبـين أنه أمام رجـل بعيد حقا عن القاء باله الى الامور الدنيوية ، بحيث يحتمل فعلا ان يجهل كل شيء عن القضية التي كانت باريس كلهـا ـ بل فرنسا بأسرها ـ تتحدث عنها : **قضية « جريسلو » الشاذة ، التي اتهم فيها المدرس الشاب « روبير جريسلو » ـ المقبـوض عليه في سجن « ريوم » ـ بأنه قتل بالسم الابنة الحســـناء لمخدومه «المركيز دي جوسا راندون » !**

◆ أبدى مسيو سيكست دهشته البالغة لسماع هذا النبأ ٠٠ ثم أفضى الى قاضي التحقيق بحقيقة علاقته بالشاب المتهم ، معربا عن استغرابه لماذكره له المحقق عن العثور بين كتب المتهم على مؤلفات الفيلسوف المشهور جميعها ، وفي مقدمتهـا كتابه المسمى «نفسية الله » ، وكانت كلها تحمل في هوامشهاتعليقات كثيرة بقلم الشاب تنم عن دراســة دقيقة مستفيضة واهتمام بالغ !٠٠ ومع ذلك لم يستطع الفيلسوف أن يفهم كيف يمكن أن تكون هناك صلة ما بين مؤلفاته وبين الجريمة !٠٠ ولا ماهية الشهادة التي يمكن أن تطلب اليه تأديتها فيالقضية !٠٠ وعبثا حاول قاضي التحقيق أن يستفيض معه في الحديث ٠٠ وسرعان ما انتهت المقابلة عند هذا الحد ٠٠

دموع الام ٠٠!

◆ وحين عاد مسيو سيكست الى بيته ، وجد امرأة ترتدي ثياب الحداد في انتظاره !٠٠ لم تكن سوى « مدام جريسـلو»

ـ والدة المتهم ـ التى كانت قد طلبت الى الفيلسوف فى اليوم السابق أن يأذن لها فى مقابلته ..

وكم كانت دهشة مسيو سيكست حين قالت له ضيفته انها تعتبره المسئول ـ هو وكتبه ـ عن فقدان ابنها لايمانه الدينى !.. وأردفت المرأة : « لكم أبغضتك وكرهتك حين اكتشفت الدوافع التى شجعت (روبير) على نبذالتعاليم الدينية التى عنيت كل العناية بتنشئته عليها منذنعومة أظفاره ..!»

لكن الزائرة لم تلبث أن هدأت ، فتوسلت الى الفيلسوف ـ الذى كاد برود أعصابه يخذله فى حضرة هذه الام المنفعلة ـ أن يصفح عنها اذا كانت كلماتها قدأساءت اليه .. واستطردت من خلال دموعها : **«أناواثقة أنك ستفعل مافى وسعك من أجل ابنى البرىء .. لقد ذكر لى الكثير عن طيبة قلبك ، ورقتك وعطفك .. وقال اننى لو عرفتك لاحترمتك ووقرتك .. وانك أقرب الى القديسين منك الى البشر ..!»**

وبعد أن طيب مسيو سيكست خاطر الارملة المنزعجة ، سلمت اليه وهى تنهض لتنصرف أوراقا مطوية كانت قد احتفظت بها فى حجرها طيلة مدة الزيارة .. قائلة انها «مقال علمى هام » كتبه ابنها فى سجنه بعد أن قبض عليه ، وقد عهد اليها به كى تسلمه الى مسيو سيكست !

كانت الصفحة الاولى من المخطوط تحمل هذا العنوان : « علم النفس الحديث » .. والثانية : « مذكرات عن نفسى » .. وقد كتب الشاب تحت العنوان الاخير فقرة يرجو فيها من « أستاذه العزيز » **أن يتعهد بشرفه أن يصون سرية الصفحات التالية فلا يطلع عليها انسانا ! .. فاذا لم يشأ أن يقيد نفسه**

بهذا العهد ، فأولى به أن يحرق المخطوط من فوره ، بيده ، ولايسمح لاية يد أخرى أن تصل اليه : «مهما كانت الظروف التى قد تقتضى ذلك ، ولو من أجل انقاذ حياتى!» ٠٠ ويلى ذلك التوقيع بالحرفين الاولين من اسم الشاب : « ر٠ج »

دليل براءة ٠٠ أم اتهام ؟

◆ بقى الفيلسوف فترة طويلة بعد انصراف مدام جريسلو عاجزا عن البت فى الامر بقرار نهائى يستريح اليه : هل يقرأ قصة روبير جريسلو ؟ أم يحرقها ؟٠٠ كان فضول هائل يغريه بالاطلاع على ماقد تحويه هذه الوثيقة «الانسانية» النادرة !٠٠ لكن عاملا آخر كان يهيب به من الناحية الاخرى أن يتدبر الامر بروية ، قبل أن يقرر فض الرسالة ، فقدتكون محتوية على دليل يثبت براءة الشاب ٠٠ وفى هذه الحالة ستبقى يده مغلولة عن اظهار السر الحقيقى ، وفاء بالعهد الذى يطالبه به « تلميذه » !٠٠ ثم ، من أدراه ان الرسالة لاتتضمن اعترافا بالجريمة ، يثقل ضمير الفيلسوف ولاشك أن يطويه فى صدره ، ويضن به على مسامع العدالة !؟

◆ **وأخيرا ، بعد تردد طويل ، تغلب الفضول العلمى فى نفس الفيلسوف على جميع العوائق !٠٠ فلما جاءت مدبرة البيت لتنبىء سيدها بأن فراشه قد أعد ٠٠ وجدته جالسا الى جوار المدفأة ، مستغرقا فى مطالعة الرسالة ، التى لو أنصف كاتبها لاطلق عليها : «اعترافات شاب عصرى !»**

٢ ــ اعترافات « التلميذ »

◆ كانت اعترافات روبير جريسلو مؤرخة هكذا : « سجن ريوم ، تحريرا فى ٠٠ يناير سنة ١٨٨٧ » ٠٠ وقد استهلها كاتبها بوصف موجز بليغ لطفولته وصباه الباكر ، اللذين قضاهما فى مسقط راسه بمدينة (كليرمون) ٠٠ ثم بدأ الشاب يسهب فى الوصف ، ويسرد أدق التفصيلات ، عندما انتقل الى شرح افكاره ومعتقداته ، وأعمق خلجات نفسه ومشاعره ، باعتبارها لا غنى عنها لايضاح نظرته الى الحياة ، واتجاهاته العقلية ٠٠ حتى انتهى الى المرحلة التى تمردت فيها روحه على تعاليم وتوجيهات قسيسه الذى كان يعترف عليه ، ويدعى « الاب مارتيل »

◆ ثم انتقل الشاب الى وصف بداية صلته الروحية « باستاذه » الفيلسوف الكبير : كان روبير يومئذ فى السابعة عشرة ، حديث عهد بالالتحاق بقسم الفلسفة بمدرسة « النورمال » ٠٠ حين وقع فى يده ذات يوم كتاب « نفسية الله » ، بقلم « مسيو ادريان سيكست » ٠٠ فبلغ من عمق تاثير هذا الكتاب فى نفسه انه لم يكد يفرغ منه حتى سعى الى الحصول على كتابى المؤلف الآخرين « نظرية العواطف » و « تشريح الارادة » ٠٠ فالتهمهما بدورهما التهاما ٠٠ واكملت الكتب الثلاثة فى نفسية الفتى ذلك التاثير الذى بدأته ووضعت أساسه مؤلفات موسيه ، وبلزاك ، وبودلير ، وهاينى ، وستندال ، وغيرهم ٠٠ فاعانت جميعها على رفع النقاب الذى كان يحجب عن بصيرة الشاب الكثير من الحقائق ، وتبديد الظلمة التى كانت تكتنف دنياه الخارجية واعماقه الداخلية فى وقت واحد ٠٠ « ومنذ ذلك الحين وجدت طريقى ٠٠ الى « المثالية » فى المشاعر والاحاسيس ٠٠ وصرت تلميذك !! »

فى قصر المركيز ٠٠

◆ « وفى نوفمبر سنة ١٨٨٥ ، على أثر رسوبى فى امتحان الفلسفة ، اضطررت الى قبول العمل كمدرس خاص لابن « المركيز دى جوسا راندون » الاصغر ، وكان غلاما فى الثانية عشرة ٠٠ فان الخمسة آلاف فرنك التى عرضت على مقابل تدريس الغلام لمدة تقل عن العام ، كان فيها اغراء كاف لى على التنازل عن حريتى واستقلالى فى المعيشة ، فترة من الوقت ، سيما وقد كنت احرص على عدم تحميل أمى مزيدا من النفقات لا تقوى عليه مواردها ٠٠

◆ « واخذنى المركيز من بلدتى (كليرمون) الى قصره فى (آيدا) فى عربته الخاصة ٠٠ وطيلة الوقت لم يكف لسانه لحظة عن التحدث فى امور

أسرته ، وامراضه هو الخاصة ـ التى كان اكثرها وهميا ! ـ فاصغيت اليه وانا اختزن فى ذاكرتى اطرف عباراته وتعبيراته ، كى اسجلها عند وصولى فى مفكرتى التى كنت قد اعتزمت ان ابوح لها بكل خواطرى وما يعن لى اثناء اقامتى فى « منفاى » !

عهد .. بتحريم الحب !

◆ « وثمة عزم آخر كانت قد صحت عليه نيتى ، يوم قبلت العمل عند تلك الاسرة : هو ان لايكون لى فى حياتى الجديدة اى شان بالحب !.. سيما وقد كنت بطبعى أنفر من الامور الشهوانية ، واحتقر فى قرارة نفسى حماقة النساء على وجه العموم .. وهكذا قررت ان احذو حذو فلاسفة القدماء وحكمائهم، « فاعتقل غريزتى الجنسية فى راسى ! »

« فلما وصلت مع المركيز الى القصر ، فى امسية باردة من امسيات نوفمبر، الفينا الاسرة كلها تنتظرنا فى غرفة الاستقبال ، وقد عكفت المركيزة وابنتها « شارلوت » على بعض اشغال التطريز التى كانتا تعدانها للفقراء ، وانهمك « تلميذى » الجديد فى تقليب صفحات كتاب مصور .. بينما كان اخوه الاكبر ـ وهو ضابط فى الجيش يدعى الكونت اندريه ـ يقرا صحيفة اليوم .. وفى ركن من الحجرة جاست مربية المدموازيل شارلوت ، واحدي الراهبات ، تحيكان بعض الثياب ..

◆ « واخذت اختلس نظرات فاحصة الى افراد الاسرة : كانت مدام دى‌جوسا امراة كبيرة الجسم ، قوية الشخصية ، مكتملة التهذيب ، يوحى مظهرهـا وتصرفاتها بانها « ربة بيت » مثـالية .. ثم نقلت بصرىّ الى ابنها الاصغر ـ تلميذى ـ فلم يلفت انتباهى فيه غير وجنتيه المكتنزتين البليدتين !.. اما الابنة « شارلوت » فكانت رشيقة القوام ، ذات عينين ناعمتين غبراوين ، وشعر كستنائى جميل ، ترتدى ثوبا بسيطا خفيفا لا يتناسب مع برودة الطقس !.. على ان اجمل ما اعجبنى فيها كان سحر صوتها الهادىء الخفيض ..

◆ « واما اخوها الاكبر ، الكونت اندريه ، فلا اذكر انى رايت من قبل مثيلا له فى « رجولته » ، وهيبة جسمه الرياضى القوى الذى افعمنى دهشة واعجابا !.. كان فوق الثلاثين بقليل ، متوسط الطول ، عريض الكتفين ، نحيل الوجه والخصر ، اشبه ببطل من أبطال المصارعة .. بحيث شعرت ان هذا المزيج من القوة والمرونة ، شىء جديد بالنسبة لى !.. والى جانب هذا كله كان شعره الاسود ، وشاربه الفاحم ، وفمه وذقنه الموحيان بالصلابة ، وعيناه البنيتان الحازمتان، وانفه العالى المقوس.. تنم كلها، لا عن الشجاعة وقوة العزيمة فحسب، بل عن عراقة الاصل وزرقة الدم !.. كانت نظرة واحدة اليه كافية لاظهار انه

ينحدر من نسل محاربين أمجاد .. فاحسست ، لاول مرة ، بسعة الهوة بينى – انا سليل الفلاحين المتواضعين – وبين هذا العريق المنحدر من صلب أسيادهم..

◆ « ولم يكن شعورى هذا ينطوى على شيء من الغيرة او الحسد ، وانما كان مجرد شعور حاد « بالفارق » العظيم بيننا .. الامر الذى أثار فى نفسى من أول وهلة شعورا بشبه « عداء » ، غير ارادى ، نحو ذلك الضابط الابى .. وهو شعور لم يفارقنى بعد ذلك قط !

زحف على قلب !

◆ « واليوم ، وانا اخط اليك هذا الاعتراف ، أتبين بوضوح أن ذلك الشعور كان الدافع النفسانى الاول لى على الفكرة التى اختمرت فى ذهنى بالتدريج منذ ذلك التاريخ : فكرة السعى الى غزو قلب « شارلوت » الطاهرة ، اخت الكونت اندريه ، والاستئثار بعاطفتها البكر – دون أن ينطوى قلبى على أى حب لها ! – بحجة رغبتى فى « دراسة » سيكلوجية تلك العاطفة ، ومظاهرها النفسية والشهوانية التى أردت اثارتها فيها .. نحوى !

« انى لاستشعر الفزع والاستنكار ، وانا أذكر اليوم كيف نبتت تلك الفكرة المشؤومة فى رأسى .. كيف استطعت أن أرسم خطتى – فى تؤدة وترو ، وسبق اصرار ! – سعيا الى مثل هذه الغاية التعسة .. لكنها الحقيقة !.. لقد احسست – فيما يخيل لى الآن – بغير قليل من « الارتياح » ، لمجرد التفكير فى « اذلال » ذلك الضابط المتغطرس ، باخضاع شقيقته لسطوتى وسلطانى !.. بدا لى أن مشروعى ذاك كفيل باختصار المسافة التى بيننا ، وتضييق الهوة الاجتماعية التى تفصلنا !.. وشجعنى على المضى فى خطتى ، والامعان فيها ، اعجابى بالفتاة نفسها .. اعجابا كان يتزايد كل يوم ، كلما ازددت معرفة بها ولمست خصالها النبيلة ، وطبيعتها الابية المرهفة ، وجاذبيتها النادرة ...

السر ..!

◆ « وصرنا نخرج ، كل يوم تقريبا ، انا وهى وشقيقها الاصغر « لوسيان» – تلميذى – ورفيقتها او مربيتها الخاصة الآنسة « لارجيكس » .. كى نتنزه فى الحقول والمناطق المجاورة .. وذات يوم ، شعرت أثناء نزهتنا المعتادة بشىء من الانقباض والميل الى الانطواء على نفسى ، بحيث لزمت الصمت وبدا على الاكتئاب الواضح ، بعكس الباقين الذين كانوا جميعا فى احسن حال من الانشراح والمرح .. وحانت لحظة كنا فيها بالمصادفة منفردين وحدنا ، فانتهزت شارلوت الفرصة لتسألنى فى اهتمام عما اذا كنت مريضا ، او كان ثمة شىء يضايقنى؟!.. لكنى أجبتها فى اقتضاب بانى على ما يرام .. ثم خطر لى أن أتلاعب بعواطفها

واستدر عطفها على فاختلق سببا وهميا لحزنى المكتوم ، أزعم لهـــا انه علة انقباضى وكآبتى .. لكننى حرصت على عدم التصريح بتفصيلات ذلك الحزن الوهمى ، بحجة انه سر لا يمكن البوح به ، امعانا فى اثارة فضولها بشانه ، واهتمامها بأمرى !

قصة .. من نسج الخيال !

◆ « فى تلك المناسبة ، وفى مناسبات أخرى تالية ، تكرر من الفتاة نحوى نفس الاهتمام ، التافه فى ذاته ، البالغ الدلالة فى نظر « مراقب » مثلى ، ولوع بتحليل انفعالات ضحيته البريئة ورصد أبسط حركاتها وسكناتها !.. ولكى أصل الى مبتغاى من وراء هذه الشفقة التى أفنحت فى غرس بذرتها فى قلب الفتاة نحوى، رأيت الاستمرار فى تمثيل مهزلة ذلك الحزن الوهمى .. فى الوقت الذى أخذت فيه أعد العدة لما عسانى أقوله لها فى صدده اذا ما حانت فرصة «التفاهم» الكامل بينى وبينها.. فبدأت أنسج فى خيالى خيوط رواية محبوكة حافلة بالوقائع المكذوبة الكفيلة باثارة شعور فتاة غريرة طيبة القلب مثلهـــا !.. وامعانا فى « سبك » قصتى بدأت أتظاهر بالاستغراق فى حزنى وأشجانى ، لا أمام شارلوت وحدها ، بل أمام تلميذى الصغير أيضا ، لوثوقى من أنه ينقل الى شقيقته دون قصد أثناء ثرثرته معها ، الكثير من التعليقات والملاحظات التى تخدم غايتى وهدفى ..!

◆ « وأخيرا حانت فرصتى لتسميم ذهن الفتاة بالقصــة الكفيلة باستدرار شفقتها — وغيرتها عــلى فى الوقت نفسه ! — فقد أرسلها أبوها ذات يوم الى مكتبة القصر — فى الطابق العلوى — كى تحضر منها مجلدا يحتوى على وصف بعض ألعاب الورق ، كى تتسلى الاسرة بلعبها .. وصادف أن كنت أنا وقتئذ فى المكتبــــة أدون بعض المذكرات ، فارشدتها الى المجلد المطلوب . وعندئذ قالت لى متلطفة :

— أعتقد أننا سنهتدى الى لعبة يمكنك ان تشـــاركنا اياها .. فانك دائم الكآبة ، بحيث نخشى أن تكون سئمت الاقامة هنا ..

« ووجدت فى هذه المناسبة الملائمة ضالتى المنشودة ، فاجبتها متنهدا :

ــ آه يا آنسة ، لو تعلمين ظروف حياتى ٠٠!

« ثم امتـــد الحديث بيننا ، فرويت لها قصتى المختلقة : كيف احببت فتاة روسية كانت قد هبطت (كليرمون) لزيارة أقرباء لها ٠٠ وكيف خطبتها سرا ، وتفاهمنا على الزواج ٠٠ حتى طلبها ذات يوم خاطب آخر ثرى ، ففضلته على ٠٠ لماله !٠٠ ضاربة بحبنا ومواثيقنا عرض الحائط ٠٠ الخ

« اصغت شارلوت لقصتى ، ثم قالت معلقة بلهجة جوفاء لا تدل على تاثر او انفعال :

ــ لست أدرى كيف استطعت أن تثق فى عهود فتاة سمحت لك بمطارحتها هواك فى غفلة من أهلها !

◆ « وصدمتنى عبارتها ٠٠ أشعرتنى بالاهانة وخيبة الامل ، وكان سهمى قد طاش فلم يصب الهدف !٠٠ لم يحرك فى أعماقها عاطفتها المنشودة نحوى ، أو يؤجج نيران رغبتها فى ٠٠ ولو كنت حصيفا لادركت أن جوابها ذاك انما كان نجاحا لخطتى ، وانه لم يصدر الا بدافع من غيرتها المكتومة من حبيبتى المزعومة! ــ والغيرة أولى مراحل الحب والرغبة ! ــ بل ان غيظى حجب عنى ادراك حقيقة أكثر بداهة من هذه : هى أن مجرد اصغاء تلك الفتاة المحافظة الابية النفس لذلك السر الشخصى ، هو وحده دليل كاف على العطف القوى والميل المتزايد !٠٠

الوقوع فى الشرك !

◆ « وصار التفكير فى شارلوت وفى حقيقة شعورها نحوى ، شـــغلى الشاغل ٠٠ وتفاقم المى لما اعتقدته من فشلى فى حملها على حبى !٠٠ ومن فرط لهفتى على هذا الحب وما هو خليق أن يحمله فى طياته من متع ، بدات أحس بانفعالات هى أقرب الى ثورة الحواس منها الى دراسة النفس !٠٠ واذا أنا انسى ما كنت قد وطنت نفسى عليه من تجاهل الحب والتسامى على شهواته ٠٠٠ صار أقل احتكاك بثوب هذه العذراء ، وابسط انثناء من انثناءات جسدها اللدن ، أو نظرة الى طرف ساقها البارز من تحت ثوبها ٠٠ تثير فى كيانى ميلا عارما ورغبة موجعة !٠٠ وبعد ان كنت أنا الذى أعددت العدة لاغوائها وايقاعها فى الشرك ، سقطت أنا فى هذا الشرك ، فريسة للغواية التى دبرتها لها !

◆ « واستطيع الآن ، فى هدوء اليأس وسكينة الاستسلام لمصيرى ، أن أتبين حقيقة الانقلاب الذى طرأ يومئذ على مشاعرى ومقاصدى : كنت قد بدأت « لعبتى » بغية اذلال غريمى الضابط المتعجرف ، بطعن عفة أخته فى الصميم ٠٠ بعد التمهيد الى هذا الهدف باستدرار شفقتها على ، فحبها لى ، واخيرا رغبتها فى !٠٠ وبمعنى آخر ، انى أردت أن أنال الفتاة لمجرد النكاية فى أخيها ، دون

ان احس نحوها بذرة من الحب ، او لفحة من نيران الرغبة !٠٠ لكن « لعبتى » انقلبت على فى منتصف الطريق ، فاذا انا اتبين فى قرارة نفسى - مشفقا - انى قد بت هائما بالعذراء أشد الهيام ، راغبا فيها اعنف الرغبة !

◆ « لكن هذا الانقلاب فى مشاعرى و « دوافعى » ، لم يكن له شان سواء بالوسيلة او الغاية ، اللتين لم يطرا عليهما اى تعديل !٠٠ فمضيت قدما فى سبيلى ، لا الوى على شيء ٠٠٠ اعتزمت ان ابوح للفتاة بهواى - الذى كان خدعة فصار حقيقة ! - تنفيسا عن عواطفى المكبوتة ، من جهة ٠٠ واملا فى ان اصل من هذا الطريق الى تنمية حب الفتاة لى ، الذى فشلت - او خيل الى انى فشلت - فى بثه فى قلبها عن طريق اثارة عطفها وغيرتها على بقصتى المكذوبة ٠٠ من الجهة الاخرى !

خلوة فى الغابة ٠٠

◆ « وانصرم الشتاء ، واقبل الربيع ٠٠ وانا اتحين الفرصة لمكاشفة شارلوت بحبى ٠٠ وذات صباح جميل ، صباح الثانى عشر من مايو فيما اذكر، خرجنا نحن الاربعة - كعادتنا - الى نزهة فى قرية « سانت ساتورنين » ، وكان الطريق اليها طويلا ، يتخلل الغابات ٠٠ وخشية ان تتعب شارلوت أو مربيتها من طول المسافة ، اخذنا معنا عربة الاسرة الصغيرة ، يقودها الحوذى على قيد خطوات منا ، كى يستقلها عند اللزوم من يدركه التعب منا ٠٠

◆ « وكانت المربية أول من أضناها السير ٠٠ ثم تلاها الغلام لوسيان ، فمضينا - شارلوت وانا - منفردين ٠٠ وكلما سرنا خطوات كانت الفتاة تتوقف لتقطف بعض زنابق الوادى ٠٠ وهكذا توغلنا فى الغابة دون ان نشعر ، بينما كانت العربة تتابع سيرها فى الطريق الممهد البعيد ٠٠

◆ « وفجاة تطلعت شارلوت حواليها ، واصغت باذنيها برهة ، ثم هتفت فى مرح : « لقد ضللنا الطريق !٠٠ لا باس ، انتظر حتى انسق ازهارى ، وعندئذ نستطيع ان نلحق بالآخرين ٠٠ »

« قالت ذلك وجلست على حجر كبير ، فانتثرت على راسها الجميل دنانير من اشعة شمس الربيع ، المنسابة من خلال الاغصان ٠٠ وادركت ان فرصتى المرتقبة قد حانت، فتناولت يدها ٠٠ وقد احسست بها تختلج للمستى!٠٠ وعندئذ حاولت هى ان تنهض ، وقد فر لونها وشحب محياها ٠٠ لكنى اجبرتها ، بحركة رقيقة منى ، على البقاء حيث كانت ٠٠

◆ « وبحت لها بحبى !٠٠ بحت لها به فى سيل جارف من الالفاظ ، بحيث ادهشتنى فصاحتى !٠٠ ثم مددت يدى الى خصرها فطوقتها بذراعى ، دون ان افكر من فرط اضطرابي في ان الثم فمها !٠٠ لكنها راغت مني ونهضت منتصبة

على قدميها ، وهى تهمس لى فى صوت اشبه بالانين : دعنى ٠٠ دعنى !٠٠ ثم مضت الى جذع شجرة فاسندت اليه ظهرها ، وهى تلهث من شدة الاضطراب والهلع ، وشفتاها تختلجان انفعالا ٠٠ بينما انحدرت الدموع تتسابق على خديها ، ناطقة بما يعتمل فى نفسها من ثورة جامحة ، واشفاق ٠٠ على ظهرها الذى جرح !!٠٠ فجمدت انا فى مكانى حيث كنت ، وانا اتمتم : « اغفرى لى ٠٠!»

« ثم لذنا كلانا بالصمت ، زمنا لم ادر ان كان قد طال ام قصر ٠٠ حتى انقذنا من هذا الموقف الموجع صوت ينادينا ، اشبه بصيحات اهل « التيرول » التقليدية ٠ كان صوت الغلام لوسيان وقد ارسلته المربية ليستدعينا ، بعد ان قلقت لطول غيابنا ٠٠ فافاقت شارلوت ، كانما من حلم رهيب ، وعاودتها حمرة وجنتيها ٠٠ ودون ان تتفوه بكلمة ، جمعت ازهارها وقفازيها وانطلقت تعدو باقصى سرعتها ، كحيوان مطارد ، فى اتجاه مصدر الصوت ٠٠

« وعدوت فى اثرها ، فلم تمض دقائق حتى التام شملنا من جديد ٠٠ وعندئذ قالت شارلوت انها تحس بشىء من التوعك ، وصعدت الى العربة مع اخيها ومربيتها ، فانطلقت بهم عائدين الى البيت ٠٠ بينما عدت انا بمفردى سائرا على قدمى ٠٠٠

هل تصون السر ؟

◆ « واحنقنى ما بدا لى من هزيمتى المحققة ٠٠ بل انى قضيت اليومين او الثلاثة ايام التالية فريسة لرعب دائم ، اتوقع فى كل لحظة ان يطردنى المركيز من بيته شر طردة !٠٠ وهل يستبعد ان تفضى شارلوت الى ذويها بما حدث ؟ او ليست هى التى لامتنى على اطمئنانى الى حب فتاتى الاولى ، لا لسبب سوى كونها قد سمحت لى بمطارحتها الهوى فى غفلة من اهلها ؟!

« لكن ما اشفقت منه لم يقع ٠٠ فقد ظل اهل القصر جميعا كعهدى بهم ، يعاملوننى بنفس الود القديم !٠٠ اذن فالفتاة لم تقل لهم شيئا ٠٠ وانما هى قد صانت سرنا ؟!

« وانقضى اسبوع ، فاجانى المركيز فى نهايته بما لم يكن فى الحسبان : قال ان ابنته قد ذبلت صحتها فى المدة الاخيرة ، بحيث اعتزم ان ياخذها فى الغد الى باريس ، كى يستشير فى شانها طبيبا ٠٠

◆ « وكنت قد انتهيت فى هذه الاثناء الى قرار نهائى فيما يتصل بالفتاة : آثرت ان اعدل عن « مشروعى » الميئوس منه ، بعد ان تبينت بوضوح تام انها رغم حرصها على ان لا تجرح احساسى ، تبدو مصممة على ان تبقينى بمناى عنها على الدوام !٠٠ ومن ثم كتبت اليها خطابا اكرر لها فيه طلب الصفح ، واطمئنها الى انها لن تجدنى فى القصر لدى عودتها من باريس !٠٠ ثم انتهزت

الفرصة المناسبة فتسللت الى مخدعها كى أدس رسالتى بين أوراقها التى تحتفظ بها داخل طيات « نشافتها » ٠٠ فلما رفعت الغطاء فوجئت بروية ظرف صغير كتب عليه تاريخ « ١٢ مايو » ! وسارعت اختلس نظرة عاجلة الى محتويات ذلك الظرف ٠٠ فاذا فى داخله زنبقتان ذابلتان من زنابق الوادى ، تذكرت على الفور انى كنت قد اعطيتها اياهما خلال نزهتنا الاخيرة فى الغابة !٠٠٠

« اذن فهى قد احتفظت بهاتين الزنبقتين ، كتذكار منى ، رغم كل ما بدر من جانبى ؟

« أهى تحبنى اذن ٠٠ رغم كل شىء ؟

« ما دام الامر كذلك ، فلأنتظر ٠٠

« رباه !٠٠ انها تحبنى !

« ومزقت خطابى فى الحال !

الهدوء ٠٠ الذى يسبق العاصفة

◆ « كانت الحياة فى القصر ، وشارلوت غائبة عنه ، هادئة هدوءا عجيبا ، شبه محبب لى بعد تلك الاشهر المتتالية من الانفعال !٠٠ وذات يوم ، بعد سفرها بأسابيع ، كتب المركيز خطابا يقول فيه انه سيعود الينا ، بمفرده ، فان شارلوت قد آثرت ان تطيل مقامها فى باريس ، عند عمة لها !٠٠ وهنا عاودنى قلقى من جديد ، وبدأت أحس نحوها بغير قليل من الحنق !٠٠ وحين جاءت الانباء تحمل الينا خبر اطالتها « لاجازتها » – اذا صح ان تسمى غيبتها كذلك ! – للمرة الثانية ، ضاعف كبريائى الجريح من سورة غضبى وسخطى ! فنفست عنهما بخطاب كتبته اليها٠٠ لكن ردا ما لم يصلنى !٠٠ وكتبت اليها للمرة الثانية ، ثم الثالثة ٠٠ خطابات مفعمة بالمذلة ، والعاطفة المحتدمة ، والياس ! – وقد علمت فيما بعد أن شارلوت احتفظت بتلك الرسائل الفياضة بالحنين ، والانين ، حتى احرقتها ليلة وفاتها فقط! – ومع ذلك فقد ظلت رسائلى فى حينها٠٠ بغير جواب!

◆ « وعاد المركيز يحمل الينا « انباء طيبة » مزدوجة : أولها ان صحة شارلوت قد تحسنت تحسنا كبيرا ٠٠ وثانيها ، انها قد قبلت الزواج من مسيو دى باين وهو ضابط من زملاء أخيها الكونت اندريه ٠٠!

« وانت يا سيدى – يا من كتبت بتلك القوة والروعة الهائلتين عن ذلك الشىء الرهيب المدعو : الغيرة ! – تستطيع ان تفهم مشاعرى فى تلك المحنة !٠٠ كانت شارلوت قد غابت عن ناظرى نحوا من خمسة اشهر ٠٠ ورغم ذلك فانى اشتقت اليها أكثر من أى وقت مضى ٠٠ فان مرور الزمن كان يزيد من وطأة دائى ٠٠ وفى كل يوم كنت أزداد تعاسة وبؤسا ٠٠!

◆ « وفي نهاية سبتمبر ، أصيب لوسيان بالحمي القرمزية ٠٠ فسألني

المركيز - وقد كان يخشى على نفسه من العدوى ! - عما اذا لم يكن الاوفق ان يرسل فى طلب زوجته المركيزة ، كى تتولى تمريض ابنها بنفسها ؟.. وبرغم شوقى الجارف الى رؤية شارلوت فقد كان لدى من الشجاعة القدر الكافى كى أثنيه عن فكرة اخطار الزوجة والابنة المقيمتين فى باريس بنبأ مرض الغلام .. فقد كنت موقنا من أن شارلوت لو علمت بالامر لهرعت عائدة الى الدار فورا ، بأى ثمن ، ولو عرضت نفسها لخطر العدوى !

« ولكن ، فى اليوم التالى مباشرة ، جاءت برقية تقول ان المركيزة وابنتها عائدتان توا ..!

◆ « واعتزمت أن أرحل من فورى ، قبل وصولهما ، راجيا أن يحلنى المركيز من ارتباطى بالبقاء حتى نهاية مدة العقد ، التى لم يبق على انتهائها غير أيام معدودات .. فقد بدا لى أن ذلك هو خير حل للموقف المعقد ، يجنب كلانا - شارلوت وأنا - وطاة المازق المرتقب ، ويصون لكل منا كرامته وشعوره ..

« لكن المركيز كان من الانفعال والفرح بقرب وصول زوجته وابنته بحيث لم يشأ أن يضيع وقتا فى بحث المسألة .. وانما طفق يقول فى عصبية : « ليس الآن .. ليس الآن .. انتظر حتى يصــلا .. لا أستطيع التفكير فى شىء آخر الآن ..!

خاتمة .. لا مناص منها !

◆ فهل كان يجول بخاطر احد يومئذ ان مصيرى قد بات معلقا على رفض شيخ « أنانى » أن يصغى الى ؟.. لو اننى أصررت على الرحيل يومئذ لانتهى كل شىء على ما يرام ، ولنسيت شجنى فى خلال أيام !.. أما رضوخى لذلك الاب الغبى ، فقد كان هو المسؤول عن الكارثة .. فان نظرة واحدة الى شارلوت وهى تهبط من العربة فيشحب وجهها وترتجف لمجرد التقاء بصرينا .. كانت كافية لان تثبت لى أنها قد باتت تحبنى أكثر من أى وقت مضى .. ومن ثم تجعلنى أعدل نهائيا عن الرحيل !

« ولكن ، وماذا بعد ؟ والى أين المصير ؟.. هرعت عائدا الى مخدعى حيث تناولت رأسى بين راحتى لاكتم ضربات صدغى ، واخذت اكرر على نفسى هــذا السؤال ، دون أن اهتدى فى صدده الى جواب ، سوى اننى عاجز عن الرحيل !.. وأن ما بينى وبين شارلوت لا يمكن أن ينتهى بالفراق .. وانما نحن نقترب سويا من ساعة حاسمة .. وما جهودنا المزدوجة ، وجهادنا المستمر ، ورغباتنا التى نقاومها ونكبتها .. الا مراحل سوف تنتهى بنا حتما الى خاتمة لا مناص منها !

◆ « وعبثا أحاول ان أصف لك - يا أستاذى العزيز - كيف مرت على الايام القليلة التالية .. فان مشاعرى خلالها لتتمرد على أى تحليل نفسى ، وتعصاه ،

بل تتحداه !.. كنت لا أكاد أذكر - في آية لحظة من اللحظات - اننا متحابان ، واننا لن نكون لاحدنا الآخر أبدا .. أبدا !.. حتى تنحدر الدموع غزيرة من عيني ، فانشج بالبكاء كالاطفال !.. بل لقد صار وجود الفتاة قريبة مني - بحيث نكاد نتلامس ! - وبعيدة في الوقت نفسه عني ، بحيث لن يقدر لنا يوما أن نتعانق .. صار ادراكي لهذه الحقيقة الموجعة يذيبني حسرة ، ولوعة ، ويثير كامن أشجاني !.. ناهيك بالعذاب الآخر الاشد نكرا من كل ذلك : عذاب الشوق الى امتلاك هذا الجسد المشوق الذي كان يخطر امامي ليل نهار ، فيلهب كياني بسياط كأنها من نار !

◆ « وزاد من اضطرام النار التي كانت تلتهم قلبي وأعصابي ، أن الفتاة صارت تتعمد أن تتجنبني ، وتروغ من لقائي .. بل انها كفت عن الخروج للنزهة في رفقتي مع مربيتها وأخيها، كماكانت تفعل قبلا !.. وحتى فياللحظات العابرة التي كنا نلتقي فيها في القصر ، كان حرج موقفنا يجعلنا ناوذ كلانا بالصمت !.. كان لساننا قد ثقل ، وغدا الكلام مستحيلا علينا ، كما يستحيل على المشلول أن يحرك ساقه التي اصيبت بالشلل !

دليل الحب !

◆ « وجن جنوني .. صار يتملكني حنين طاغ الى أن أترك في نفس شارلوت أثرا مني لا يمحى !.. بل استبدت بي رغبة ضارية في أن أقدم لها دليلا على حبي لا يمكن أن تنسيها اياه رقة غريمي - ذاك الذي سيصبح زوجها !- ولا ترف البيئة الاجتماعية التي سوف تنتقل لتعيش فيها ..!

« وهكذا ، بتأثير هـــذه الدوافع مجتمعة ، وجدتني أبيت النية على .. الانتحار !

« نعم ، قررت أن أضع لحياتي التعسة حدا !.. وأذكر انني حين انتهيت الى هذا القرار ، أحسست بارتياح شاذ ، وكان عبئا ثقيلا قد أزيح عن صدري!.. لم يكن تفكيري في الامر بعقلية الشخص الذي يقدم على الموت ، وانما بعقلية المقبل على الاستمتاع بلذة قصوى : لذة حفر صورتي في مخيلة الفتاة ، وقلبها ، وحدقتيها ... مدى حياتها !.. صور لي خيالي الساذج انني بفعلتي هذه أفرض نفسي على تفكيرها ، فاجعلها تحملني في رأسها وصدرها معا ، وتفكر في حتى وهي في أحضان زوجها ..!

« ومضيت الى صيدلي القرية ، وكان يعرفني ، فاختلقت له سببا كاذبا يبرر حصولي على جرعة من سم كنت أعلم سرعة مفعوله وقوته .. فاعطاني المخـــدوع ما طلبت ..!

◆ « وحل اليوم الذي حددته لتنفيذ فعلتي .. فرأيت أن أكتب الى شارلوت

رسالة وداع ، أحدثها فيها - للمرة الاخيرة - عن حبى ، وعن ياسى ، الذى دفعنى الى الفرار من الحياة ٠٠ من إجل نفسى ، ومن اجلها !٠٠ وتصورتها بخيالى وهى تقرأ الرسالة ، فوثب الى ذهنى هذا السؤال : « ترى ماذا عساها ان تفعل، حين تعلم بما اعتزمت ؟٠٠ أو يمكن ان لا يتحرك قلبها لفكرة انتحارى ٠٠ وان لا تاتى مسرعة لتمنعه ؟٠٠ اجل ، انها سوف تسعى الى مخدعى ٠٠ وسوف تجدنى ميتا !٠٠ اللهم الا اذا ارجات تنفيذ مشروعى حتى ارى نتيجة هذا « الاختبار » الجديد : حتى ارى اذا كانت ستحضر لتثنينى عن عزمى ، ام لا تحضر !

◆ « وراقت لى الفكرة الاخيرة ، فقررت ان لا اجرع السم حتى اعطيها فرصة لاظهار حقيقة شعورها نحوى !٠٠ وهكذا كتبت اليها رسالة قصيرة اصارحها فيها بما اعتزمت ، تاركا لها الخيار فى ان تحضر الى غرفتى قبل منتصف الليل ، اذا ارادت ان ترانى ٠٠ حيا !٠٠ والا فانى سوف اتناول السم فى اللحظة التى تدق فيها الساعة دقاتها الاثنتى عشر !

زيارة منتصف الليل !

◆ « ٠٠ وقضيت سحابة ذلك النهار كالحالم ، أو المنوم مغناطيسيا ، لا اكاد اعى مما يدور حولى شيئا !٠٠ وحين اويت الى مخدعى فى المساء ، جعلت ارقب تتابع الدقائق وبى شعور غريب من عدم المبالاة !٠٠ ولكن ، لم تكد الساعة تدق الحادية عشرة والنصف ، حتى بدات دقات قلبى تزداد شدة وعنفا ، وان بقيت عزيمتى ثابتة واعصابى متماسكة !٠٠

◆ « واخيرا ٠٠ قبيل منتصف الليل ، بدقيقة واحدة ٠٠ سمعت خطوات خفيفة تقترب ، ثم تتوقف امام بابى ٠٠ وفى اللحظة التالية كانت شارلوت امامى !

« وهتفت المسكينة، فى صوت متهدج فضح انفعالها : « آه، شكرا لله، لكونى لم آت بعد فوات الاوان !٠٠ لقد خشيت ان أجدك ميتا٠٠ يا للفظاعة! يا للفظاعة! لكن شيئا من ذلك لن يحدث ، اليس كذلك ؟ اقسم لى انك لن تقتل نفسك ! »

« ثم اخذت يدى فى يدها - التى كانت باردة كالثلج ! - ورمقتنى بنظرة متوسلة ، وقد سالت دموعها على خديها ٠٠ فاخذتها بين ذراعى وانا أبكى ، والتقت شفاهنا !٠٠ قبلتها خلال عبراتى المنهمرة ، أحر القبلات ، وارقها ، واخلصها ٠٠ لكنها لم تلبث ان انتفضت مذعورة ، كمن تنبهت فجاة فتولاها الخجل مما سمحت به !٠٠ وانتزعت نفسها من بين ذراعى هاتفة : « ينبغى أن أذهب !٠٠ دعنى !٠٠ اياك ان تقربنى ٠٠ »

« فاجبتها : اذن فينبغى ان اموت ! انك لا تحبيننى ٠٠ والا لما قبلت

الزواج من رجل آخر ! » .. ثم تناولت قنينة السم السوداء من فوق المنضدة ، واردفت : « لن تمضى خمس دقائق حتى يكون كل شىء قد انتهى !.. اذهبى ، وشكرا لك على حضورك .. اذهبى .. وداعا .. لا تسلبينى شجاعتى ! »

« فصاحت مرتاعة : « كلا ، كلا !.. ساموت أنا معك .. لقد تألمت بدورى كثيرا ، ولم اعد احتمل .. فلنمت سويا ! »

« ومدت يدها لتختطف منى قنينة السم ، لكنى لم امكنها من اخذها .. فاستطردت : « آه ، نعم ، دعنى اموت هنا ، معك !.. لقد احببتك منذ عهد بعيد .. منذ عهد بعيد . الآن استطيع ان اصارحك بهذا . صار من حقى ذلك ، ما دمت ساموت !.. انك ستاخذنى معك .. سوف نرحل معا بعيدا ، نحن الاثنان ... »

« فاجبتها : اجل ، سنموت سويا .. اقسم لك . ولكن ليس فى الحال .. اواه ! دعينى احس اولا انك تحبيننى ! » .. والتحمت شفاهنا مرة اخرى ، لكنها فى هذه المرة بادلتنى قبلاتى !.. فامعنت فيها ضما الى صدرى ، ولثما وتقبيلا .. وقد شعرت بها تتخاذل لعناقى !..

جبان !..

◆ « وبعد ساعات .. اخذت ارقبها على ضوء المصباح الخافت ، وهى راقدة بجوارى ، على فراشى ، غارقة فى النعاس.. كانت هى نائمة ، وانا افكر!.. لقد انقضت السكرة ، وحلت الصحوة .. وما بدا لى فى اول الليلة بسيطا للغاية ، صائبا ، طبيعيا .. غدا الآن ، بعد ساعات معدودات ، فظيعا ، مستحيلا !.. والا فلماذا نموت ، وكلانا ما يزال فى شرخ شبابه وزهرة عمره ، تتسع أمامه فرص الحياة والسعادة ؟.. كلا ، بل لقد اعتزمت ان لا ننفذ ميثاقنا المشترك !

◆ « وافاقت شارلوت من نومها ، فقبلتنى ، والساعة تدق الرابعة .. وقالت : « هيا ، اعطنى السم ، ولتدعنى اشربه قبلك ، فلا تقع عينى عليك وانت تتالم !.. »

« وكان لا بد أن اصارحها بما استقر عليه رأيى من العدول عن « مشروعنا » الجنونى !.. فجثوت امام الفراش وتناولت يدها وانا اهتف بها مناشدا : « كلا ، كلا .. لا استطيع ان أدعك تموتين امامى ، ومن أجلى .. لا استطيع ان اقتلك بيدى !.. أتوسل اليك يا شارلوت الا تطالبينى بتنفيذ تلك الخطة المشؤومة !.. عند ما جلبت هذا السم كنت اعتقد انك لا تحبيننى ، فاردت ان أتخلص من حياتى .. اما الآن وقد ظهر انك تبادليننى حبى ، الى حد انك اسلمتنى نفسك ، فانى لم اعد اقوى على تنفيذ تلك الفكرة الجهنمية .. كلا ، مستحيل !.. لست استطيع ، بل لست اريد !.. فلنعش يا حبيبتى ،

فلنعش ٠٠ ونستمتع بحبنا ! »

« كم انفقت من الوقت وانا اخاطبها على هذا المنوال ؟٠٠ وماذا ايضا قلت لها ؟ لست أدرى ٠٠ كل ما أدريه انها حملقت فى والدهشة ، بل الذعر والفزع ، يطفران من عينيها !٠٠ ثم وجدت صوتها اخيرا لتقول لى : « اذن انت لن تعطينى السم ؟ حسنا ، اذا كنت انت خائفا ، فانا لست كذلك ٠ سوف اموت بمفردى !٠٠ اما ان تستدرجنى هكذا الى هذا الشرك ٠٠؟

« ثم نهضت من الفراش فانتعلت حذاءها وارتدت ثوب الغرفة الابيض ، واتجهت ــ دون ان تنظر الى ــ نحو الباب ٠٠ فلما بلغته التفتت الى وصاحت فى ازدراء قاتل : « جبان !٠٠ جبان ! »

« وقبل ان اتنبه لنفسى كانت قد اختفت ٠٠!!

اللقاء الاخير ٠٠!

◆ « وخلال النهار حاولت مرة او مرتين ان اكلمها ، لكنها اشاحت عنى بحركة وقورة لم استطع معها ان انطق بحرف !

« وكتبت اليها ٠٠ فوجدت خطابى بعد حين على منضدتى ، قد اعيد الى دون ان يفض !

« واستقر رايى على مغادرة القصر ٠٠ وفى الليلة السابقة لرحيلى كتبت اليها اسالها ان تسمح لى بلقاء احدثها فيه حديثا اخيرا ٠٠!

◆ « وفى هذه المرة قبلت ان تلقانى ٠٠ فى حجرتها ! وحين ذهبت فى الموعد الذى حددته وجدتها واقفة فى وسط الحجرة ، مرتدية ثيابها الكاملة ٠٠ كانت الساعة الحادية عشرة ٠٠ وابتدرتنى فى برود ــ باللهجة التى تخاطب بها خادما من خدمها ! ــ قائلة انها لكى تقف على نواياى وتعرفنى على حقيقتى قد تسللت الى غرفتى فى غيابى فكسرت قفل الدولاب الذى احتفظ فيه بمفكرتى الخاصة وقرات ما دونته فيهاعن مراحل الخطة التى رسمتها لاغوائها ، مرحلة بعد مرحلة !٠٠ ثم اضافت انها بدافع من الغيظ والحقد اللذين تملكانها على الاثر ، كتبت الى اخيها الاكبر الكونت اندريه خطابا صــــــارحته فيه بكل ما وقع لها !٠

« ثم اضــافت وهى تمد يدها الى زر الجرس الكهربائى القريب من فراشها : « انى ما سمحت لك بلقائى كى اصغى الى ما تريد ان تقوله ، فانه لا يهمنى فى شىء ولست اريد ان اسمعه ٠٠ وانما قبلت ذلك كى اذكر لك ما ذكرته ٠٠ فما دمت حريصا على حياتك على النحو الذى رايته منك فخير لك ان تغادر القصر قبل وصول اخى !٠٠ والآن ، اخرج ! »

« واذ رات جمودى وتلكؤى اضافت : « لا تحاول ان تخطو خطوة واحدة

الى الامام او تقترب منى ٠٠ والا استدعيت الخدم كى يطردوك خارجاكاللص٠٠!،
« فتمتمت متوسلا : « شارلوت ! »
« لكنها اجابتنى وهى تنظر الى ساعتها : « اذا انقضت دقيقة اخرى ولم تخرج فسادق الجرس ! »
« وخرجت ٠٠ وفى الساعة السادسة من الصباح التالى كنت قد غادرت القصر ٠٠!

الفاجعـــة ٠٠ !

◆ « وانت تعرف ـ يا استاذى العزيز ـ بقية القصة : فانى لم اكد ابلغ بلدتى (كليرمون) حتى سمعت بنبأ انتحار شارلوت ٠٠ ثم القى القبض على عقب ذلك مباشرة ، بتهمة انى قتلتها !٠٠ ومن اسئلة قاضى التحقيق لى استنتجت تفصيلات انتحارها : لقد سرقت جرعة من قنينة السم حين كسرت دولابى للاطلاع على مفكرتى الخاصة ، وعلى اثر لقائنا الاخير فى مخدعها تناولت تلك الجرعة ثم القت بالزجاجة الصغيرة التى كانت قد احتفظت بها فيهـــا من النافذة ٠٠ فعثر عليها البستانى فى الصباح ، واعتقد الجميع اننى دسست لها السم فى العقار المنوم الذى اعتادت ان تتناوله فى المدة الاخيرة لمغالبة الارق ، واننى سارعت بالفرار على اثر ذلك من القصر لهذا السبب !!

◆ « ومنذ القاء القبض على حرصت على التزام الصمت التام بشان حقيقة الدافع للفتاة على « الانتحار » ، وساظل ملتزما هـــذا الصمت الى النهاية ، محافظة على شرف ضحيتى وسمعتها ، ولو دفعت حياتى ثمنا لهذا الكتمان !٠٠ ان الشخص الوحيد الذى يعرف براءتى ويملك الدليل عليها هو غريمى الكونت اندريه ، فان تحت يده خطاب شقيقته الذى باحت فيه له بما اصابها وبعزمها على الانتحار تكفيرا عن سقطتها وسترا لعارها ٠٠ فاذا آثر الشقيق ان يلتزم الصمت مثلى ، ويتركنى اموت عقابا على جريمة لم ارتكبها ، تكون نذالته هذه معادلة لنذالتى مع اخته ٠٠ ولا يحق له ان يعتز بنسب اعرق من نسبى او شرف انبل من شرفى ٠٠ بل اكون انا ، بصمتى الحالى ـ دفاعا عن شرف اخته ـ جديرا بان ازهو عليه ٠٠ واذله من اعماق قبرى !

◆ « والآن ، وقد كاشفتك يا سيدى بكل قصتى ٠٠ هل اطمع منك فى رسالة قصيرة تخفف بعض بلواى وتدخل الراحة على نفسى ؟

« قل لى انى لست وحشا كاسرا ، ومخلوقا ذميما ، فان تانيب ضميرى يكاد يزهق انفاسى ، وانى لفى اشد الحاجة الى من يفهمنى ، ويعزينى ، ويضمد جراح نفسى ٠٠ فالى من غيرك الجا فى محنتى هذه ، يا طبيب النفوس العظيم ؟
« اكتب الى ولو كلمة قصيرة ترفه عنى وتواسينى ، تنل الى الابد بركة المخلص

« روبير جريسلو »

٣ - العدالة تأخذ مجراها ..!

◆ مضى شهر على اليوم الذى حملت فيـه والدة « روبير جريسلو » الى الفيلسوف « ادريان سيكست » فى صومعته هذا المخطوط العجيب .. الذى قرأه الرجل وأعاد قراءته المرة بعد المرة ، مأخوذا بصراحته الكاملة ، مذعورا فى الوقت نفسه لمجرد التفكير فى أن مجهود حياته ، فلسفته العلمية الحبيبة ، يمكن أن يكون لها شأن بمثل هذه الوقائع المشينة المرذولة .. !

أو يمكن حقا ان تكون فلسفتـه فى دراسـة العـواطف وتحليلها ، أو تشريحها ، مسئولة - أى قدر من المسئولية - عن هذا الانحراف الذى انزلق اليه الشاب ، والضلال الذى أمعن فيه ؟ ..

كانت هذه الفكرة مصـدر هـم وقلق دائمين للمحلل النفسانى الشهير طيلة الاسابيع الاربعة التالية .. فلما اقترب يوم محاكمة المتهم ، اعتزم الفيلسوف أن يذهب الى « ريوم » ليحضر جلساتها ويتابع تطوراتها عن كثب ، حتى اذا ما أدين الشاب ووجده المحلفون «مذنبا» سارع هو الى تقديم المخطوط الى رئيس المحكمة قبل أن يصدر هذا حكمه بتحديد العقوبة !

وفى الوقت عينه أرسل «سيكست» خطابا ، بغير توقيع ، الى الكونت أندريه يسائله فيه عما اذا كان ضميره وشرفه يقبلان ان يدان متهم « برىء » ، ويعاقب على جريمة لم يرتكبها ؟! .. ثم يذكره فى نهاية الخطاب برسـالة شقيقته المنتحرة ، التى تثبت براءة الشاب من تهمة القتل ، والتى يطوى الشقيق عليها يده - وضميره ! - بغير وجه حق !

لكن هذا الخطاب الذى أرسله الفيلسـوف الى الـكونت

أندريه لم يسلم اليه ، حيث كان فى «ريوم» ، الا وقد اقتربت محاكمة الشاب « روبير جريسلو » من نهايتها ، واشـــتدت على أعصاب الشقيق « الصامت » وطأة صمته الآثم ٠٠ فوقع عليـه الخطاب المفاجىء وقع الصاعقة ! ٠٠ كيف لا وهو يثبت أن هناك انسانا آخر ــ غير المتهم ــ يعرف الحقيقة الكاملة !

وكان الكونت أندريه قد عمد قبل ذلك الى احراق رسالة شقيقته الاخيرة ، وبات مصير المتهم مفروغا منه ــ بعد أن أبى هذا فى عناد وتصميم أن يدافع عن نفسه ! ــ ما لم يخـــرج الشقيق عن صمته ويتطوع بسرد محتويات الرسالة المفقودة ، بلسانه ٠٠ ولسانه وحده !

◆ لكن هذا الخطاب الغفل من التوقيع الذى وصله قد بدل كل شىء ، وقلب الموقف كله رأسا على عقب ! ٠٠ أو لا يحتمل أن يتقدم مرسل الخطاب الى المحكمة بما يفضح صمته المريب ، ويكشف سوء نيته ؟ ٠٠ وكيف يسمح هو ــ «أندريه دى جوسا راندون»، العريق فى النسب والحسب ــ بأن يزرى بموقفه ويزهو عليه مثل هذا الافاق الحقير ، الذى يريد اليوم أن يظهر بمظهـــر الرجل الشجاع ٠٠ حتى الموت ؟!

◆ وانتهى الكونت من تفكيره الى اعتزام مواجهـة الموقف ، كما ينبغى على مثله أن يواجهه ! ٠٠ فلما كان صباح اليوم التالى ، أخذ طريقه ــ يختال فى سترته العسكرية الرسمية ــ الى دار العدالة ، حيث فاجأ المحكمة بأن عنده أقوالا على أكبر جانب من الاهمية ، يريد أن يدلى بها أمامها ٠٠ !

ثم سرد الشاهد على هيئة المحكمة الموقرة ، القصة الحقيقية الكاملة لمأساة شقيقته شارلوت ! ٠٠٠ وكان بين الحاضرين من

النظارة ، المذهولين ، والدهما المركيز دى جوسا راندون .. الذى لم يكد يسمع قصة عار ابنته ، حتى سقط من مقعده .. فحملوه الى الخارج فاقد الوعى !

حكم القضاء .. وحكم القدر !

◆ وحين أطلق سراح المتهم « روبير جريسلو » على الاثر، هرع من فوره الى الفندق الذى كانت تقيم فيه والدته وأستاذه الفيلسوف « أدريان سيكسنت » منذ وصولهما الى البلدة لحضور محاكمته .. وعند باب الفندق أنبأه واحد من السقاة بأن الكابتن أندريه قد سأل عنه منذ فترة.. فصاح الشاب بمحدثه:

ـ وأين هو ؟

وقبل أن يسمع جوابا اندفع الى الطريق حيث أشار له الساقى..متجاهلا صيحات أمه ونداءها المتكرر له بالعودة..!

وفى الجانب الآخر من الشارع وجد غريمه ، فسأله فى ترفع: « أعندك شيء تقوله لى ياسيدى ؟ انى طوع اشارتك !»

فأجابه الكونت أندريه : « كلا ياسيدى .. فالمرء لا يبارز الاشخاص الذين من طرازك .. وانما يعدمهم !»

ثم تناول مسدسه من جيبه ، والشاب يواجهه فى ثبات وهدوء ، وأفرغ رصاصة منه فى جبهته !!

واذ هرع الناس وتزاحموا من كل صوب منزعجين ، وجدوا الضابط ـ الذى كان قد ألقى سلاحه بعيدا ـ واقفا ينظر الى جثة غريمه ، وقد عقد ساعديه .. فلما اقتادوه ، دون أدنى مقاومة ، اكتفى بأن قال فى هدوء ، وهو يلقى الى الجثة نظرة أخيرة :

ـ لقد أخذت العدالة مجراها !

الجريمة.. والعقاب

من قصص الجاسوسية

في الحرب والسلم

عزيزى القارىء ٠٠٠

فى ٨ يناير سنة ١٩٤٩ انعقدت محكمة الجنايات الفرنسية الرابعة عشر، فى قصر العدالة بباريس، كى تصدر حكمها فى قضية امرأة تدعى «ميشلين كاريه»

كانت هذه المرأة ـ كما ظهر من المناقشات التى دارت أثناء محاكمتها ـ تلقب ب « القطة » ٠٠ وكانت حسناء رائعة الجمال ، رشيقة الجسم ، ذات شعر فاحم ، وعينين ساحرتين ، وأسنان لؤلؤية ناصعة ٠٠ وصفها الكولونيل « مارسيل آشار » ـ من قلم المخابرات الفرنسية ـ بأنها « من أعظم الجاسوسات الاوربيات فى التاريخ! » ٠٠ وشهد لها فى المحكمة بقوله :« ان مدام كاريه قد ادت خدمات جليلة للجيش الفرنسى، واستطاعت ان تسلم الى أيدينا الكثير من خطط الجيوش الالمانية ! »

لماذا اذن حوكمت هذه المرأة أمام محكمة الجنايات ٠٠ الفرنسية ؟ ٠٠ وما سر شخصيتها « المزدوجة » التى حيرت سلطات الحلفاء كما حيرها بعد ذلك « الدكتور كلاوس فوخس » حين أفشى أسرار القنبلة الذرية لروسيا !

ان قصتها تجمع بين كونها من قصص الجاسوسية ، وقصص المحاكمات الكبرى ، فى آن واحد !٠٠ وهى قصة تفوق فى غرابتها قصة الجاسوسة المشهورة « ماتاهارى » ٠٠ بل تفوق قصة الجاسوسة الفلسطينية القديمة « دليلة » ٠٠: فدليلة قد وشت بشمشون واحد ٠٠ أما (القطة) فوشت بخمسة وثلاثين شمشون !

THE CAT
by
KURT SINGER
من روائع قصص الجاسوسية الواقعية خلال الحرب الأخيرة
القطة...!

◆ فى سنة ١٩٣٩ ، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، كانت تعيش فى قرية صغيرة بالقسم الجنوبى من بلاد (الجزائر) حسناء فرنسية تدعى « ميشلين كاريه » ، متزوجة من ضابط بالجيش الفرنسى المعسكر فى تلك البلاد ٠٠ وكان مرتب الزوج ضئيلا ، لا يكاد يكفى لسند مطالب المعيشة الضرورية ، فاضطرت الزوجة الى العمل كمدرسة باحدى المدارس الفرنسية هناك ٠٠

وكانت ميشلين موضع حسد جاراتها من نساء الطبقة المتوسطة والوضيعة اللواتى يعشن فى تلك القرية ، فقد وهبها الله جمالا يأسر القلوب : عينين عسليتين ترمقانك من تحت حاجبيهما الكثيفين ، وشفتين ممتلئتين تنشقان عن صفين من الاسنان اللؤلؤية الناصعة ، وشعرا كستنائيا جميلا تنسدل خصلات منه على جبينها الوضىء ٠٠ ثم ساقين «معبرتين» تنم عضلاتهما حين تعقدهما كلما جلست ، عن « شخصية » قوية تلفت النظر !٠٠ ورغم بساطة ثيابها التى تفرضها عليها ضآلة مواردها ، فانها كانت تبدو دائما ٠٠ أنيقة !

وكان اذا هبط القرية الضائعة رجل من «العالم الخارجى» ، لا تفلت مدام كاريه من اعجابه بأى حال ، ففى مثل ذلك المجتمع المحدود يكون جمال كجمالها أمرا ملحوظا ! ٠٠ ورغم ذلك فقد كان مسلكها على الدوام ٠٠ نموذجيا

◆ ثم نشبت الحرب ٠٠ واستدعى الزوج للسفر الى فرنسا ، كى يلحق بجيشها الرئيسى ٠٠ فرأت الزوجة ـ التى لم تكن سعيدة بحال فى تلك البلاد النائية ـ ان فرصتها المنشودة للعودة

الى وطنها قد حانت ، فاعتزمت السفر الى باريس · وساعدتها الظروف على تحقيق أمنيتها ، فقد أعلنت السلطات الفرنسية عن حاجتها الى نساء يعملن كممرضات ، فسارعت مدام كاريه الى تقييد اسمها فى سجل المتطوعات · وفى اللحظة التى تسلمت فيها جوازالسفر وتذكرة الباخرة ، تنفست الصعداء·· أحست أن حياتها الحقيقية قد أوشكت أن تبدأ !

وقبيل رحيلها التقت بزوجها فى مدينة (الجزائر) ، وهو يتأهب للرحيل الى جبهة القتال ـ وكان ذلك فى الواقع لقاءهما الاخير ، فانه لم يلبث أن سقط قتيلا فى الميدان !

مغامرة فى بلاد الجزائر ···

◆ ويبدو أن الزوجة التى ضاقت بحياة القيود فى قريتها الضائعة ، قد تعجلت حريتها الموعودة ·· فان مفكرتها الخاصة تحدثنا عن الليالى القليلة التى قضتها فى مدينة الجزائر فى انتظار موعد الرحيل ، حديثا عجبا : «**خرجت ذات ليلة مظلمة أجوب ضواحى المدينة ·· ثم جلست على مقعد خشبى فى احدى الحدائق العامة بالحى العربى الخلاب ، فلم يلبث أن أقبل شاب فرنسى يافع ، يرتدى زى رجال فرقة المظلات ، وجلس**

بجانبى !٠٠ كان فتى جذابا ، استخفه الفرح بقـــرب رحيله الى بلاده فراح يثرثر معى دون كلفة ٠ وأدركت من حديثـــه أنه يحسبنى فتاة جزائرية ، فجاريته فى ظنه ، وتحـــدثت اليه بلهجة الجزائريات !٠٠ ويالرقة العبارات التى همس بهـا فى سمعى فى جلستنا تلك !٠٠ وبعد حين دعانى الى الـذهاب معه الى أحد المقـاهى ، فلما رآنى فى الضـــوء وأدرك الى أية امرأة قد وجه عباراته الجميلة وهمساته الرقيقة ، بدا عليـــه الارتباك الشديد ٠٠ لكننى بادرت الى ازالة ارتباكه بأن دعوته بدورى الى تناول الافطار معى فى الفندق فى صـــباح اليـوم التالى٠وكانت علاقتى معه أشبه بقصيدةرائعةمن قصائدالشعر!»

باريس الخالدة !

◆ وأبحرت فرقة جنود المظلات على نفس الباخـــرة التى استقلتها ميشلين الى وطنها ٠٠ وقد علقت على ذلك فى مفكرتها بقولها : « ان ذلك الضابط الفرنسى اليـافع قد صاحبنى فى السفينة طيلة مدة الرحلة ٠ »

ولدى وصولها الى باريس ، استقرت المرأة فى فنـــدق يقع فى وسط المدينة ٠٠ وكتبت فى مفكرتها : « ياله من بلد ، ويالها من مدينة ! لست أستطيع تصـــور امكان غزو الالمان لباريس ٠٠ هذه المبانى التاريخية العظيمة ، ونهـــر الســـين الخالد ، وأرصـــفته الاثرية ، وكنيسة نوتردام ، والدوم ، والانفاليد ٠٠ انها كلها جزء منا نحن الفرنسيين ، ونحـــن جزء منها !٠٠ وهذه الشوارع الحافلة بالحياة ، والمقاهى الزاخرة بالناس ٠٠ أية مشاعر تثيرها فى نفسى ! لكم أنا سـعيدة ٠٠

لكأنى فى الجنة !٠٠ ولســـوف أقوم بنصيبى من الواجب كى لاتنتصر جهنم على الجنة !»

الاحداث تتوالى سراعا ٠٠!

◆ وفى اليوم التالى قدمت ميشلين نفسها للسلطات المختصة ، ثم بدأت على الاثر تتلقى التدريب اللازم فى أحـد مستشفيات باريس ، فوجدها رؤساؤها « مجتهدة ، يعتمد عليها ، تكرس نفسها للعناية بالجرحى ٠٠»

وعندما انهارت فرنسا ، صـــدمت ميشيلين صـــدمة رهيبة ٠٠ وفرت من وجه الالمان الزاحفين كما فر نصف أهل فرنسا يومئذ !٠٠ ثم أقامت محطة اسعاف للصليب الاحمـر فى جهة « بوفيه » ٠٠ ومنها انتقلت مع أفواج المهاجرين عبر وديان فرنسا حتى انتهى بها المطاف الى الاسـتقرار فى مدينة (تولوز) ٠٠ وهناك نظمت مرة أخرى من تلقاء نفســها مركزا للعناية بالجرحى ٠ واقترحت على الضباط الفرنسيين أن ينشئوا معسكرا خاصـــا لاستقبال الطوابير التى فصلت عن وحداتها الرئيسية ٠٠

◆ وفى غمرة نشاطها الخارق التقت ميشلين برجل بدا لها أكثر من سواه احتياجا الى معونتها ٠ كان بولنديا يعمـــل كضابط اتصال بين جيش البولنـــديين الاحـــرار والجيش الفرنسى ٠٠ وكان قد قاتل الالمان ، وأسر ، وفر من الاسر ٠٠ وبعد مغامرات قاسية لقى فيها الامرين من الجوع ، والتعب ، والمرض ، وقع بين يدى ميشلين كاريه ٠٠ فأنقذته من بؤسه ، وأطعمته ، وكسته ، ومرضته ، ثم أمدته بشجاعة جديدة !

كان اسمه « رومان سزرنياوسكى» ، فأطلقت عليه اسم «ارمان» وسماها هو « قطتى !» ، نظرا لنعومتها الخطرة !٠٠ وتوثقت الصلات بينهما ، حتى غدت أكثر من مجـــرد علاقة حب !٠٠ فلقد أسر اليها ارمان بخطته بشـأن انشاء حـــركة «مقاومة» فى فرنسا ، تهدف الى التجسس على الالمان ومحاربتهم بكل الطرق ، أينماوجدوا٠٠فوافقت القطة على الفكرة مرحبة !

◆ وكان عليهما أن ينظما حركة اتصالات متشعبة مع عدد كبير من ضباط الجيش الفرنسى ، سواء فى المنطقة المحتـــلة وغير المحتلة ٠ ولم يكن فى وسع الضابط البولنـــدى أن يطأ بقدمه المنطقة المحتلة ، فأسند الى « القطة » مهمة القيـــام بتلك الاتصالات ، فاضطلعت بها على خير وجه ، وبنشـــاط خارق ٠٠ حتى صارت تلك المنظمة من أنشط منظمات المقاومة والتجسس الفرنسية ٠ ولم يلبث أن انضم اليها الكولونيل « مارســيل أشار » ، أحد كبار رجال المخابرات الفرنسيين٠٠

هل يهاجم الالمان جبل طارق ؟

◆ فى تلك الفترة كان السؤال الهام الذى يشـــغل أذهان الدول المتحالفة بشأن أعدائها الالمان هو هـــذا : هـــل يبقى الالمان على حدود اسبانيا ، أم أنهم قد تفاهموا سرا مع الجنرال فرانكو على أن يسمح لهم بعبور بلاده لمهاجمة جبل طارق ؟

وعهد الكولونيل «أشار» الى (القطة) باســتطلاع نوايا الالمان فى هذا الصدد ، فسافرت الى (بيارتز) ــ قرب الحدود الاسبانية ــ حيث كانت تتجمع وحدات الدبابات والطـــيران الالمانية بكثرة توحى بالتأهب لحملة ضخمة !٠٠ **وكان الضباط**

الالمان يترددون على مقهى فى تلك المدينـــة يطلق عليــه (كافيه دى بارى) ٠٠ فتعرفت القطة الى واحد منهم يشـــغل مركزا هاما فى تموين سلاح الطيران الالمانى ، ثم كتبت فى مفكرتها : « وشربنا الشمبانيا ، فى المقهى أولا ، ثم فى مكان آخر ٠٠ وحرصت على أن لاأفقد وعيى وادراكى ، وفيماعداذلك لم أتحرج عن شىء !» ٠٠ وعن طريق مراقبة القطة لهـــذا الضابط عن كثب ، استطاعت أن تكون أول من توصـــل الى معرفة نبأ عدول الالمان عن فكرة الزحف على جبـــل طارق ٠٠ فنقلت هذا النبأ من فورها الى الكولونيل أشار !

◆ وحين كانت تعود الى مقر الجماعة ، والى أحضان حبيبها ارمان ، كانت سعادتها تستخفها حتى لتخرجها عن طـورها : « لكم أحبه ! انى أدعوه « توتو الصغير » ، وأصيح به : أيهـا الجنرال ، أناطوع أمرك !٠٠ ولقد تعانقنا بالامس ورقصـــنا وقفزنا فى حجرتنا بالفندق ، فان الدنيا بأسرها والنصر عـــلى الدنيا بدا فى متناول يدنا فى تلك اللحظات ! ان الحيـــاة معه أشبه بالتحليق فى الهواء ، وان لى فيه لثقة غير محدودة ٠٠»

◆ ونجحت المنظمة فى كثير من المهام الخطيرة ، حتى ذاع صيتها لدى السلطات الفرنسية والانجليزية على الســـواء ، واعترفت ادارة المخابرات البريطانية بخدماتها الهـــائلة ، ولاسيما فى تزويد جيش المقاومة بالاسلحة عن طـــريق الجو والبحر ، ثم فى تهريب الفارين من معسكرات الاعتقال الالمانية الى كل من اسبانيا وسويسرا ٠٠ وهكذا احتل اسم (القطة) مكانا مشرفا فى سجلات ادارات المخابرات بباريس ولنـــدن ، وأشاد بخدماتها الكثيرون من رجال الحرب ٠٠!

« فيوليت » !

◆ وذات يوم ، قرر «ارمان» و «قطته» أن يبحثا عن امرأة أخرى تعاونهما فى المهام الاقل خطورة ، مثل التردد على المقاهى والملاهى ومجالسة الالمان بغرض جمع مايتيسر جمعه من المعلومات التى قد تكون نافعة ٠٠ وقد عثرت القطة على ضالتها فى شخص امرأة تدعى «فيوليت» ، حرصت عند انتقائها على أن تكون ذات طابع لايعجب ارمان !٠٠ لذلك كان حنقها شديدا حين اكتشفت ذات يوم أن هذه المرأة لم تسلم هى الاخرى من اعجابه !٠٠ ومنذ ذلك الحين لم تتوان القطة عن انتهاز كل فرصة لتحريض صاحبها على ارسال غريمتها فى مهام صغيرة «خارج» باريس ، معللة طلبها بعدم الاطمئنان الى اخلاصها ، لكنه كان يجيبها فى كل مرة مداعبا : «هل تغارين منها ؟ »

◆ وقد صدق حدس القطة ـ أوصدقت غيرتها ! ـ فجلبت عليهما فيوليت كارثة الكوارث : كلفت يوما باستدراج ضابط ألمانى الى الافضاء ببعض المعلومات ، فراحت تستجوبه فى مكان عام ، غافلة عن شخص آخر كان ينصت الى حديثهما باهتمام من وراء صحيفة يتظاهر بقراءتها !٠٠ وحين نهضت تبعها ذلك الشخص من بعيد ٠٠ ثم تعقبها أعوانه فى الايام التالية ، ورأوها مع ارمان والقطة فى أكثر من مناسبة ٠٠ فلما كانت الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤١ ألقى القبض على كل من ارمان وفيوليت بمعرفة ادارة مكافحة الجاسوسية التى يرأسها الثعلب الالمانى الاميرال «كاناريس» !

وبعد ساعات معدودات قبض على القطة ، وأودعت أحد

السجون الحربية ، حيث أرهق أعصابها سكون زنزانتها ، وجهلها بمصير ارمان وبقية زملائها ، ثم توقعها لصنوف التعذيب الرهيبة التى سوف تصيبها من الالمان !

الضابط .. الرقيق !

◆ وأقبل الليل ، فأيقنت ميشلين فى ظلمة زنزانتها ان الموت مصيرها لامحالة ! وارتجفت من هول التفكير فى الوسيلة التى عساهم أن يستخدموها فى اعدامها !.. وفجأة أضىء النور من الخارج ، ثم فتح الباب ، ودخل منه ضابط ألمانى شاب .. فحدجته القطة بنظرة مذعورة ، وهى جالسة على مقعدها المنخفض فى ركن الزنزانة . وخيل اليها من النظرة الاولى أن الرجل « أرق حاشية » من الالمان الذين عرفتهم أو سمعت عنهم !.. وقوى ظنها حين تلطف الضابط معها فى الحديث .. حدثها عن خياتها السابقة فى الجزائر ، وعن باريس .. وعن « تسريحة » شعرها التى تجعلها تشبه صورة «جان دارك » !.. وكتبت ميشلين فى مفكرتها : « كان الرجل الذى دخل زنزانتى انسانا !» .. وكم أدهشها أن وجدت نفسها تشتبك معه فى حديث لطيف منوع !.. ثم قال لها بصوته الرقيق الناعم : « أعتقد أن هذا المكان غير مريح ، فهل تحبين أن تذهبى الى مكان آخر ؟»

وكانت « النكتة » قاسية ، فهزت السجينة كتفيها فى يأس وهى تنظر الى الارض .. وحين رفعت عينيها بعد لحظات .. كان الرجل قد اختفى !

◆ وبعد حين فتح الباب من جديد ، وأقبل حارس أشار

إليهـــا أن تتبعه ٠٠ فمضت فى أثره من ممر الى ممر ، حتى انتهى بها الى حجرة ٠٠ وجدت فيها صاحبنا !٠٠ ولكن ، لشد مابدا متغيرا فى ثيابه المدنية الانيقة ، وقفازيه ، ورباط رقبته الفاخر ، والسيجارة فى فمه !٠٠ لكأنه فرنسى من باريس !

وقادها الشاب الى سيارة كبيرة استقلاها سويا ، بعد أن أسدل الستائر على نوافذها ٠٠ ثم انطلقت بهمـــا تنهب الطريق الى احدى ضواحى باريس ، حيث توقفت أمام فيـللا جميلة تحيط بها حديقة غناء ٠٠ عرفت فيها ميشلين من فورها فيللا الممثل الفرنسى الكبير « هارى بور » ، فســـقط قلبها ! كانت تعلم أن السلطات الالمانية قداستولت على الفيللا المذكورة واتخذتها مقرا لادارة مكافحة الجاسوسية ٠٠ ولاشـــك أنهم لاينقلون اليها الاالجواسيس الخطرين الذين يريدون التنكيـل بهم ! وخيل الى « القطة » أنها تقرأ على بوابة الفيللا عبـــارة دانتى الخالدة : «طلق الامل ، أيها الداخل الى هنا!»

باب ٠٠ يفضى الى مخدع !

◆ ولكن ، أهى حقا فى ادارة « مكافحة الجاسوســـية » الالمانية ؟٠٠ ان كل شىء يجعلها تحس كأنها فى حلم : خـدم مؤدبون ، وصالون أنيق ٠٠ تركت وحدها فيه !٠٠ وفجـأة يفتح الباب فيقبل منه الضابط كى يقـــودها عبر الردهة الى حجرة أخرى فاخرة الرياش ، بهاباب موارب ٠٠ يفضى الى مخدع !

ماذا حدث فى تلك الليلة ؟؟

ان مفكرة القطة لاتجيب على هـــذا السؤال ٠٠ وقــد حاولت المحكمة فيما بعد أن تهتدى الى جوابه ، فسأل رئيسها المتهمة:

ـ اسردى القصة بأكملها، كماحدثت ٠٠ منذدخلت الفيللا !

ـ لقد سردتها كما حدثت بالضبط ، لكنى لاأرى بأسا فى تكرارها : بعد أربعة عشر شهرا من الكفاح والجهد الشاق المتواصل من أجل حركة المقاومة ، القى القبض على وأخذت الى فيللا هارى بور ٠ كنت فى قبضة الالمان ٠٠ ولم يتركنى الضابط « هوجو بلايخر » بمفردى لحظة واحدة !٠٠

ـ أوكان هذا اسمه الحقيقى ؟

ـ من أين لى أن أعلم ؟

ـ حسنا ، لقد كنت سجينة « بلايخر » ، فهل غدوت خليلته منذ تلك الليلة الاولى ؟

ـ هلا وضعت نفسك مكانى ياسيدى القاضى ؟

ـ أجيبى على سؤالى : هل غدوت خليلته فى تلك الليلة الاولى ؟

ـ أويجب حقا أن أقص عليك تفصيلات الامر كله ياسيدى؟

ـ لماذا صرت خليلته ؟

ـ قال لى بلايخر : « اذا أطعتنى فسوف أطلق سراحك الليلة ٠٠٠ فأطعته !

ـ أولم يصدمك ، وأنت أرملة ضابط فرنسي ، أن تصبحى خليلة ألمانى من أعداء وطنك ؟

ـ بل ان ذلك صدمنى ياسيدى القاضى ٠٠ صدمنى جسمانيا ولاشك !

ـ وماذا أيضا حدث فى تلك الليلة ؟

لا جواب !

ـ أريد أن أعرف ماذا أيضا حدث فى تلك الليلة ؟

لا جواب !

ـ نحن جميعا نريد أن نعرف حقيقة ماحدث ليلتئذ !٠٠ فأنت قد قضيت أربعة عشر شهرا تعرضين نفسك لكافة صنوف الاخطار ، من أجل حركة المقاومة ٠٠ لكنك بعد ليلة واحدة مع هذا الضابط الالماني نسيت كل ماضيك ، نسيت فرنسا ونسيت نفسك ! وخلال الثمانى ساعات التالية لتلك الليلة سلمت الى ذلك الـ « هوجو بلايخر » الخمسة والثلاثين عضوا الرئيسيين من أعضاء حركة المقاومة ٠٠ والآن : ماذا حدث فى تلك الليلة ؟

ثبت القاضى « درابييه » عينيه على المتهمة وحدق فيها بنظرة ثابتة ، لاكثر من دقيقة !

لكنها أبت الاجابة !.

حركة اعتقالات ٠٠ بالجملة !

ولنعد الى الوراء مرة أخرى :

◆ فى الصباح التالى لتلك الليلة التى قضتها «القطة » فى مخدع «هوجو بلايخر » ، استقل الاثنان سيارة صغيرة تحمل فى مقدمتها ومؤخرتها أرقاما فرنسية ، وانطلقا بها عبر شوارع باريس الى حيث يقيم اثنان من أعضاء منظمة المقاومة ٠٠ وحين بلغا المنزل المقصود صعدت ميشلين وحدها فطرقت الباب طرقات خاصة ، فتحه الرجلان على أثرها ٠٠ فهمست لهما فى انزعاج : « ان ارمان قد اعتقل ، وينبغى أن نبادر بالفرار من هنا !» ثم تلت ذلك مناقشات ومشاورات استغرقت دقائق ، اقتنع الرجلان فى نهايتها بخطة «القطة » ٠٠ **ولكن فجأة سمع الثلاثة طرقا على الباب ، ففتحته المرأة ٠٠ واذا ثلة**

من الجنود الالمان يشهرون في وجههم أسلحتهم ، ويأمرونهم بأن يتبعوهم الى السيارات التى تنتظرهم فى الشارع ٠٠!

ثم اتبعت القطة نفس الخطة فى اعتقال بقية زملائها البارزين ، دون أن تظهر فى نظرهم بمظهر الخائنة !٠٠ فلم تنقض ثمان ساعات حتى كان قد اعتقل من أفراد المنظمة ٠٠٠ خمسة وثلاثون !

◆ وظلت القطة شهرين تدور فى فلك « بلايخر » ٠٠ كانت تعرف من زملائها الباقين جميع الاسرار ، وتفضى بها اليه أولا بأول !٠٠ وكان الوحيد من زملائها الكبار الذى نجا من الاعتقال : الكولونيل آشار ، رغم أن بلايخر كان يتحرق شوقا الى « رأسه » أكثر من سواه ٠٠ وقد شهد الكولونيل فى المحكمة بأن القطة : «كانت تعرف المكان الذى أختبىء فيه ، لكنها لم تدلهم عليه مع ذلك !» ٠٠ وقد اقتضاها ذلك أن تختلق الاعذار لبلايخر كلما طالبها بالإرشاد عن مكانه ، زاعمة ومقسمة بأغلظ الايمان أنها تجهل ذلك المكان ٠٠ حتى صدقها فى نهاية الامر !٠٠ لكنها وعدته بالايقاع بزميل آخر من زعماء المنظمة «المرموقين» ، يدعى « بيير فومكور » ، فى أول فرصة تسنح لذلك ٠٠!

◆ وخلال هذا استمرت القطة فى تمثيل دورها أمام زملائها باتقان تام ، مدى شهرين كاملين ، دون أن يجول بخاطر واحد أو واحدة من أعضاء المنظمة أن زميلتهم الباسلة التى أعادت تنظيمهم بعد حركة الاعتقالات ، والتى كانت تمدهم فى كل مناسبة بشجاعة جديدة ، هى هى الخائنة الاثيمة التى وشت بزعمائهم الخمسة والثلاثين !

وفى كل ليلة كانت « القطة » تستقل سيارة تحملها خفية الى «فيللا هارى بور» ، حيث تفرغ مافى جعبتها من المعلومات والاسرار والخطط التى دبرت فى المنظمة خلال النهار !٠٠ وذات ليلة قال لها بلايخر مبتسما : « عندى مفاجأة لك ٠٠ عندما تعودين الى المنظمة سوف تجدين « فيوليت » هناك ! انها لم تعتقل حقا طيلة فترة غيابها ، فانها تعمل لحسابنا ٠ ولا تخشى أن تشى لزملائك بقصة اشتغالك معنا ، فهى كتومة للغاية ! »

من يحفر حفرة لاخيه !

◆ وذات يوم أفضت القطة لصديقها بلايخر بأن المشكلة الكبرى التى تواجه رجال المقاومة هى استئناف المخابرات مع زملائهم فى بريطانيـــا ، بعد أن اعتقل جميع الوسطاء وضباط الاتصال ، فأوحى اليها بأن تقنع زملائها بارسال «بيير فومكور» الى انجلترا كى يقوم بمهمة ضابط الاتصال ، تمهيدا للايقاع به فى الطريق ! ٠٠ **فانتهزت الماكرة فرصة التقائها بالمذكور مع بعض زملائهما فى ملهى « بام بام » بالشانزليزيه ، وعرضت الاقتراح ، فقبل على الفور ٠٠ ولم يبق الا تدبير وسيلة التسلل الى انجلترا ، بعد أن باتت جميع منافذ الخروج من فرنســا مراقبة من جانب الالمان ٠٠ !**

◆ لكن القطة عادت الى زملائها بعد أيام تقول انها اهتدت الى « مخرج » سرى من القارة ، وتطوعت بأن ترافق « فومكور » الى انجلترا كى تسهل مهمته ، بفضل شهرتها هناك لدى رجال ادارة المخابرات ! ٠٠ وكان بلايخر قد عدل الخطة على هـذا الاساس كى يستخدمها للتجسس على الانجليز فى بلادهم ،

بمعاونة فومكور الساذج الذى لايرتاب فى شىء!

ووصل الاثنان ـ طبعا ـ فى سلام الى لندن ، حيث لبثت القطة تتجسس على وزارة الحرب البريطانية وترسل أسرارها الى بلايخر ـ عن طريق فيوليت ـ أكثر من تسعة أشهر كاملة!

◆ ثم حل اليوم الاسود الثانى فى حياة « ميشلين كاريه » ٠٠ فان ادارة «مكافحة الجاسوسية» الانجليزية أثبتت أنها أكثر تشككا من رجال المقاومة الفرنسية ٠٠ فتوصل ضباط « سكوتلانديارد » أخيرا الى كشف اللعبة ، فاعتقلوا القطة ـ فى يوليو سنة ١٩٤٢ ـ وأبقوها فى السجن حتى نهاية الحرب!

المحاكمة ٠٠!

◆ وفى يناير سنة ١٩٤٩ مثلت « ميشلين كاريه » أمام قضاتها الفرنسيين ، هادئة ثابتة الجنان ، تتأمل بعينيها الحالمتين السقف الموشى بالذهب لقاعة المحكمة الباريسية ٠٠!

ووقف ممثل الاتهام يصب لعناته على رأسها : « **لقد لبثت شهرين كاملين تمارس أبشع أعمال الخيانة ٠٠ وانى اذ أترك هذه الآثمة لعدالتكم أذكركم بأن تضعوا نصب أعينكم ، كلما فكرتم فى أن ترأفوا بها : خبثها ، ودهاءها ، ومثابرتها على**

الشر ، كما تنكشف كلها لكم سواء من أعمالها أو من مذكراتها الشخصية التى تلوت على عدالتكم فقرات منها ، والتى تظهرها على حقيقتها تماما : عقــلا بلاقلب !٠٠ فاذاتدبرتم ذلك كله ، لم تبق لكم غير عقوبة واحدة تحكمون بهاعليها : الموت !

◆ أما ممثل الدفاع فلم يجد فى جعبته غير أن يقول : « انى أقر بذنبها !٠٠ ولكن ينبغى قبل أن تصدروا حكمكم عليها أن تذكروا أن هذه المرأة قد أدت من أعمال البطولة والخـــدمات الجليلة لحركة المقاومة الوطنية ما لا سبيل الى انكاره ٠٠ وانها قد عاشت أعواما معرضة حياتها ـ طائعة مختارة ـ لخطر الموت فى أية لحظة ، فهل تطاوعكم ضمائركم على أن تحكموا بالموت على انسانة مثلها زرعت فى البداية بذور الايمان ، ثم ضلت طريقها فى النهاية ؟! »

◆ وقبل أن تنطق المحكمة بالحكم فقدت القطة سيطرتهـا على أعصابها ، للمرة الاولى ، فصاحت من قفص الاتهام : **«انى أنتظر الحكم دون خوف ٠٠ لكننى لاأملك الأن أذكر أنه بينمايطلب لى هنا حكم الاعدام ، يعيش هوجو بلايخر الآن حــــرا ٠٠ فى « هامبورج » !**

ونطق القاضى بالحكم : بمعـــاقبة ميشلين كاريه ٠٠ بالاعدام !

ولكن ٠٠ قبيل تنفيذحكم الاعدام فى المتهمة ، أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية قرارا بتعديل الحكم الى الاشغال الشاقة المؤبدة !

إذا أردت أن يقرأ إعلانك ..
كل قارئ وقارئة .. فى كل بلد ..
وكل طبقة .. وكل مجتمع

اعلن عن بضاعتك
على صفحات

"كتابى"

الكتاب الشهرى

الذى يدخل كل بيت .. وتتداوله
عشرات الألوف من الأيدى والعيون
عشرات المرات .. طوال أيام الشهر ..

خلف النوافذ المغلقة

عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

قبل ان اقدم لك اليوم هذه الفصول الجديدة من ماساة قلب « فيكتورهوجو » .. دعنى الخص لك ، فيما يلى ، الفصول السابقة من هـذا الكتاب الممتع الذى وضعه « ليون دوديه » ، ابن الاديب المشهـور « الفونس دوديه » ، وزوج حفيدة فيكتور هوجو فى الوقت نفسه !

وبهذه المناسبة ، اجيبك على ماسالتنى عنه فى بعض رسائلك ، عن سر اختيارى نشر هذا الكتاب مسلسلا ، مفصلا .. وعما اذا كانت فصوله التى انشرها هى ترجمة كاملة للكتاب، ام تلخيص له ؟.. والجواب ان هذه الفصول تلخيص للكتاب - لا ترجمة - ولكنه تلخيص مطول ، اخترته له بدلا من التلخيص المركز لانه اكثر ملاءمة لطابع هـذا الكتاب الذى لا يسرد حوادث ووقائع بقدر ما يرسم « لوحات » فنية رائعة ، و « صورا » نفسية خلابة لا تطاوعنى نفسى على أن احرمك منها او اشوه جمالها بالايجاز المخل ..

والآن، اليك موجز الفصول السابقة :

كان « فيكتور هوجو » فى زهـرة شبابه ، وقمة مجده الادبى ، حـين اكتشف ذات يوم ان زوجتـه المحبوبة « اديل » ، التى تزوجته بعد علاقة حب دامت اعواما .. تخونه مع أعز صديق

(اقرأ البقية على صفحة ١٥٨)

ليون دوديه

مأساة قلب

قصة غراميات وفواجع فيكتور هوجو فى حياته الخاصة

بقية المنشور على صفحة ١٥٦

له : الناقد المشهور ، القبيح الخلقة « سانت بوف » !٠٠ فلما كاشفها زوجها بالامر ، بعد تردد طويل ، اتهمته بان خياناته المتكررة لها ، مع ممثلات المسرح وفتيات الحوانيت ، هى المسؤولة عن انصراف قلبها عنه!

وتكررت المواقف الموجعة بين الزوجين ، حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق !٠٠ وبدات رائحة الفضيحة تفوح ، والناس يلوكون اسم الشاعر العظيم فى معرض الغمز واللمز٠٠٠ حتى فكر هوجو فى الانتحـــار !

فى تلك الازمة النفسية القاسية ، التقى فيكتور هوجو يوم ٢ يناير سنة ١٨٣٢ ، فى ندوة من ندوات أهل الفن ، بالممثلة الشابة « جولييت دزوييه » ، اجمل نساء باريس فى ذلك الوقت ! وكانت جولييت قد ملت ملذات الجسد العابرة فى احضان عشاقها العـديدين من رجال الفن والمال ، واشتاقت ان تهب قلبها وعواطفها الملتهبة لرجل واحد !٠٠ وقد وجدت فى هوجو هذا الرجل ، ووجد هو فيها المراة التى تتقن الف طريقة وطريقة تمحو بها من راسه الخيالات الفاضحة لزوجته الغادرة وصديقه النذل !٠٠ فتركهـــا تقوده ذات ليلة الى مسكنها الانيق فى « بوليفار سان دونى » !

ونجحت هذه المراة الساحرة فى تطهير نفسها من ادران ماضيها الملوث ، ورسمت لنفسها « رسالة » اخذت على عاتقها ان تضطلع بها : هى تيسير الحياة وتوفير وسائل الراحة للعبقرى الذى نكب فى زواجه وفى شرفه ، فاعدت له حجرة من مسكنها كى يزاول فيها انتاجه الادبى

قاتل الله الغرور !

◆ وكما جفت دموع الام على ابنتها ، جفت دموع الاب ٠٠ فعاد الى المرأة التى أنقذه حبها من الانتحار ، والتى وجد عندها الآن سلواه عن حزنه على ابنته !٠٠ زعم لنفسه أن السيطرة على العواطف والغرائز انما هى من شيم عامة الناس ، أما العبقرى فهو فى حل من اطلاق العنان لها ، ومن حقه أن يستمتع بترف

الخالد .. وجعلت من نفسها خليلته وخادمته فى آن واحد .. ملكته وجاريته !.. فاستحوذت على جسمه وعقله معا .. حتى اغتسل فى حبها من تعاسته الزوجية ، ومن أساه على شرفه الجريح ..

وفى هذه الاثناء كان هوجو يتسلق سلم المجد ، الادبى والسياسى، درجة بعد درجة.. فانتخب على التوالى : عضوا فى الاكاديمية الفرنسية، فالمجلس الاعلى ، فالجمعية التاسيسية ، فالجمعية التشريعية ، فمجمع بوردو .. واخيرا مجلس الشيوخ .

وذات يوم .. أصيب هوجو بفجيعته الثانية ، بعد فجيعته الاولى فى شرفه : فقد ابنته الكبرى « ليوبولدين » التى غرقت « عروسا » فى نهر السين ، مع زوجها ، ولم تكن قد انقضت على عرسهما ايام !

وعاش الاب المفجوع اشهرا ثلاثة فريسة لاقسى الوان العذاب ، ووخز الضمير !.. احس ان اهماله لبيته واولاده ، وانغماسه فى صلته بعشيقته ، هما المسؤولان عن هذه « العقــوبة » التى نزلت به من السماء !.. فعاد الى بيته واسرته المكلومة .. ونبذ عشيقته !.. ثم وضع همه فى التنفيس عن حزنه بكتابة الشعر الرقيق الباكى ، فانتج مجموعة من اخلد القصائد التى تتغنى بها فرنسا والعالم حتى يومنا هـــذا ..

ولكن ، شيئا فشيئا ، بدأ روتين الحياة فى بيت هوجو يعود سيرته الاولى ، مثل آلة قديمة تعاود دورانها بالتدريج .. وان ظلت صلوات الاطفال الثلاثة الاحياء ـ كل ليلة ـ تطلب السعادة فى السماء لاختهم الكبرى المتوفاة !.. وذات ليلة ، سالت « اديل الصغيرة » اخويها فى حيرة : لماذا كفت (ماما) عن البكاء ؟

الاستسلام لها ! .. وزاده ايمانا بهذه النظرية اطراء عشيقته لمواهبه، ونفخها فى غروره بلا انقطاع، بايهامه انه «نصف اله»!..

وقد يسهل على الانسان ـ فى الاحوال العادية ـ أن يعير الاطراء أو الملق أذنا صماء ، أما حين يصدر هذا الاطراء من المرأة التى تستقبله كل ليلة فى أحضانها المشتاقة .. فان الامر يصبح شيئا آخر ، تصعب مقاومته وتتضاعف خطورته !

لكن الشاعر لم يكد يسترد ثقته بسحره على النساء ـ بعد أن شفته جولييت من صدمة خيانة زوجته له، وأدخلت فى روعه أن جاذبيته لا تقاوم! ـ حتى بدأت تنتابه نوبات سأم من عشيقته نفسها ، وحنين الى مغامراته العابرة التقليدية ، التى لم يطلقها تماما فى أية مرحلة من مراحل حياته ! ٠٠ وفى نوبة من تلك النوبات التى كان يحس فيها بالحاجة الى «التغيير» ، تورط فى فضيحة «مدام بيار دونيه»، التى أثارت عليه سخرية باريس بأسرها !

◆ كانت مدام دونيه ـ أو «ليونى» كما كان أصدقاؤها يدعونها ـ حسناء فى الخامسة والعشرين ، ذات ابتسامة ساحرة ، ووجه فاتن ، وميل أدبي ملحوظ ٠٠ لكن هذا الميل كان غرورا وادعاء أكثر منه موهبة حقيقية ٠ وبقدر غرور المرأة كان غرور زوجها ، الذى بلغ من اعجابه بنفسه انه كان يضع على رأسه اكليلا من الشعر المستعار مزينا بالريش !٠٠

الفضيحة المدوية !

ولا يعرف أحد كيف بدأت قصة هوجو مع مدام دونيه ٠٠ وان عرف الباريسيون جميعا خاتمتها، حين دهم الزوج المخدوع ذات ليلة ـ وبصحبته أحد رجال البوليس ـ زوجته وعشيقها العظيم فى غرفة متواضعة فى «حارة» سان روش! ٠٠ على ان رجل البوليس لم يلبث أن تراجع مأخوذا أمام سيل العبارات التى فاجأه بها العشيق وهو فى ثياب النوم : « أنا الفيكونت

هوجو ، الحائز على لقب « فارس » وعضــو مجلس شيــوخ فرنسا!٠٠ انى متمتع بالحصانة البرلمانية، وغير مسئول الا أمام المجلس الذى أتشرف بعضويته ! »

◆ وقد وجدت الزوجة متجردة من ثيــابها تماماً ، فألقى القبض عليها ــ باذن من زوجها ــ وأرسلت الى سجن البغايا فى « سان لازار » ٠٠ وسرعان ما بلغت الفضيحة مســامع مدام هوجو ٠ أما جولييت فلم تعرف بأمرها الا بعد حين ، عندما أرسلت اليها «ليونى» الشريرة حزمة من رسائل هوجو اليها !

وأحدثت الفضيحة ضجة كبيرة فى الاوســاط العليا ، فحاول «دوق باسكييه» ــ رئيس مجلس الشيوخ وقتئذ ــ أن يقنع الملك ــ لويس فيليب ــ بوجوب استقالة هوجو من المجلس ٠٠٠ لكن هذا رفض طلبه ضاحكا ، وعوض زوج مدام دونيــه بشراء احدى لوحاته التى كان يرسمها ، مقابل أن يتنازل عــن شكواه ضد زوجته وشريكها هوجو ٠٠!

◆ وأما هوجو ، فقد منح جواز سفر الى أسبانيا ، لكنه لــم يذهب الى أبعد من شارع « سان أناستاز » حيث كانت تقطن جولييت فى ذلك الحين ، جاهلة بكل شىء !٠٠ **وهناك انزوى الشاعر بضعة أيام ، متعللا لها بحجــة كاذبة ، مشفقا من أن يخرج الى الطريق فتتقاذفه من المارة عبارات الغمز واللمز!٠٠ بل انه كف عن قراءة الصحف ، خشية أن يقرأ فيها اشارة خبيثة الى فضيحته ، التى أحس منها بمذلة قاسية لم يجــرب مثلها من قبل !**

٠٠ وفى هذه الاثناء كان خصوم هوجو يتندرون بفضيحته شامتين ، فكتب « سانت بوف » الى صديق له يقول : « لا أحد هنا يتحدث فى غير فضيحة هوجو ٠٠ وفى وسعك أن تتصور مبلغ أسفى للامر كله٠٠ ولئن كنت أنا قد خنت صديقى هوجو، فانه يؤسفنى أعمق الاسف أن يخون هو مسيو بيار دونيه ، بل يؤلمنى من الامر كله انه سمح لنفسه ان يضبط متلبسا! »

فينوس المغمورة !

◆ على أن بقاء جولييت فى مواجهته ليل نهار، والحاحها عليه بالاسئلة والاستفسارات عن سر ملازمته البيت ، على غير عادته وطبعه ، لم تلبث كلها أن دفعته الى البحث لنفسه عن مخبأ آخر ٠٠ وهكذا ، ذات يوم ، أخذ ورقه ومحبرته وأدوات زينته وثياب نومه ٠٠ ومضى متنكرا الى حانة فى ضاحية «فونتنبلو»، حيث أخذ لنفسه غرفة باسم مستعار، وأقام هناك آمنا من مقابلة أى انسان يمكن أن يعرف شيئا عن شخصيته أو فضيحته!

وكانت فى الحانة خادم شقراء ـ تدعى بريجيت ـ ذات وجه فاتن وقوام رشيق ، غفل صاحب الحانة وزوجته عن مواهبها الانثوية فاستغلاها فى الاعمال الشاقة حتى أرهقاها٠٠ لكن شاعرا فنانا شغوفا بالنساء مثل هوجو لم يكن ليغفل عن اكتشاف هذه « الفينوس » المغمورة ، فنفح مخدوميها بمائة فرنك كى يوصياها بالسهر على راحته ٠٠ !

◆ لكن بريجيت كانت تحب شابا من طبقتها ، فأبت أن تستجيب لمغازلات السيد الانيق ٠٠ وحين يئس صاحبنا من استمالتها عكف على محبرته وأوراقه يخط عليها خواطره وأشعاره التى أوحت اليه بها مغامرة « حارة سان روش » ٠٠ وفيما هو يكتب راح يلهو برسم جسد « مدام دونيه » العارى وشعرها المنسدل على كتفيها ، كما بدا له فى اطار تلك الحجرة المتواضعة التى ضبطا فيها ٠٠

فلما دخلت الخادم بريجيت مخدع الشاعر فى الصباح لتقوم بتنظيفه وترتيبه ، عثرت بذلك الرسم العارى على المنضدة ٠٠ وأحدثت الغيرة أثرها فى نفسها ، ولكى تثبت « للسيد » أن جسمها وأنوثتها لا يقلان سحرا عن جسد « منافستها » ، منحت نفسها لهوجو فى مساء ذلك اليوم بعينه ٠٠ !

عندما تنتقم المرأة !

◆ فى تلك الاثناء عمدت « اديل » ، زوجة الشاعر ، الى شفاء

غليلها من غريمتها « جولييت » ، فبذلت مساعيها حتى وفقت الى اطلاق سراح « ليونى » ــ أو مدام دونيه ــ من سجنها ، كى تفسح لها فرصة منازعة جولييت على قلب هوجو ــ كما يطلق الفأر قطا على خصمه الفأر ٠٠ أو جريا على سنة شمشون : « على وعلى أعدائى ! » ــ بل ان الزوجة لم تكتف بذلك وانما دعت المرأة الى زيارتها فى بيتها لتوطيد صداقتها معها !

ونجحت الخطة بالفعل٠٠ فاحتدمت بين جولييت وليونى منافسة حامية ، استغلها هوجو فى البداية لاشعال غيرة كل من المرأتين ! ٠٠ لكنه لم يلبث أن وجد نفسه مضطرا الى اختيار احداهما ٠٠ وبعد تردد طويل ، ومقارنات ، اختار جولييت٠٠ ونبذ ليونى ! ٠٠ ففكرت المرأة المنبوذة ــ التى كان غرورها قد أطمعها فى أن تشاركه مجده الادبى ! ــ فى أن تنتقم لكرامتها من العشيق الغادر بتأليف كتاب تسخر فيه من نقائصه وتروى مباذله !٠٠ وهنا يقتضى الانصاف تسجيل موقف نبيل لمدام هوجو ، فقد كان لها فضل منع مدام دونيه من تنفيذ فكرتها الانتقامية !

الشاعر ٠٠ وأسباب وحيه !

◆ وكان أول ما فعله هوجو بعد أن عادت المياه الى مجاريها بينه وبين جولييت ، انه أخذها الى حانة فونتنبلو ، كى يستعيد جو مغامرته السابقة مع تلك الفتاة «بريجيت» ، فقد كان مولعا على الدوام بمقارنة ذكريات الامس بمغامرات اليوم ٠٠ **حتى اذا ما أستثير وجدانه تناول القلم فأودع الورق أبياتا من أرق الشعر وأجذله ، أو سطورا من أروع النثر وأجمله ٠٠ فقد كان أكثر أطوار هوجو استفزازا لملكاته الادبية وانتاجه الفنى طوران : طور استسلامه لتذكرياته المرهفة، المفرحة والمفجعة على السواء٠٠ ثم طور اشتعال رغباته الحسية وأشواقه الجنسية للنساء ٠٠** وفى كلا الحالتين ، كان انفعاله يفيض به على الورق فى قالب عبارات منمقة مصقولة لا تحتاج الى أدنى تعديل أو تهذيب!٠٠

وكانت سعادته اذ يمسك بالقلم بين أصابعه ، تماثل سعادته حين يأخذ المرأة بين ذراعيه ٠٠ كلا النزعتين كانت عنده فى قوة الاخرى ، بل كانت مكملة ومنشطة للاخرى ٠٠ !

انقلاب فى الدولة ٠٠ وانقلاب فى حياته !

◆ فى تلك الاثناء كانت تختمر فى ذهن هوجو مطامع جديدة ، وأحلام عريضة ٠٠ كان الشيطان دائب الهمس له ، من خلال شفتى جولييت العذبتين ، بأنه أنبل الرجال وأجملهم وأذكاهم ٠٠ وان الاقدار تدخره للاضطلاع بدور سياسى خطير ، غير عادى ـ أشبه بدور نابليون مثلا ! ـ يقود فيه شعبه ومواطنيه الى مستقبل أفضل ! ٠٠ وبتأثير هذا الطموح السياسى انضم هوجو الى الجماعة التى كانت تناوىء حزب «الطاغية» لويس نابليون ، وتنادى بمبادىء انسانية مثالية ، هدفها تعميم الحرية والعدالة ٠٠

لكن مقاصد هوجو وجماعته لم تلبث أن جلبت عليهم الكوارث ، حين وقع فى فرنسا سنة ١٨٥١ ذلك الانقلاب السياسى الذى تولى الحكم على أثره غريمهم لويس نابليون ، ونصب نفسه امبراطورا باسم « نابليون الثالث » ! ٠٠ وفشلت الثورة المضادة التى قام بها خصومه ، وعلى رأسهم هوجو وجماعته ٠٠٠ فقتل عدد منهم ، **ووضعت الحكومة ثمنا لرأس هوجو ! ٠٠ فاضطر الشاعر الى الاختباء فى مسكن خفى أعدته له جولييت فى حى من أحياء باريس المتواضعة ٠٠**

◆ وهناك نجد هوجو جالسا فى مقعد مريح أمام المدفأة ، يفكر محنقا فى الثورة التى فشلت والزملاء الذين قتلوا ٠٠ ويلوم نفسه على كونه قد نجا ـ دونهم ـ من الموت ! ٠ ٠

وانه لفى جلسته تلك ، واذا طرقات خفيفة «خاصة» على الباب ، توقظه من شروده ٠٠ فنهض ليفتح الباب لجولييت ، التى دخلت تحمل اليه سلة ملأى بالطعام والمؤن ٠٠ وبعد أن استفسر منها عن الانباء ، قال محزونا :

ـ لكم يعذبنى اننى كان ينبغى أن أعرض حياتى للخطر، فى صفوف الثائرين٠٠ أفلست أحد القلائل الذين دفعوا الجماهير الى هذه الثورة ؟

ـ اهدأ بالا يافكتور ٠٠ ان الجميع يقولون ان مكانك ليس فى الشوارع وخلف المتاريس، فان حياتك لا غنى عنها لقضية الشعب ، وموتك كفيل بأن يقضى على الحركة !

ـ وهل تديك أنباء من عائلتى ؟

ـ لقد كلفت أحدهم بأن يطمئن أسرتك على حياتك ٠٠ وقد توجه ضابط الى بيتك ليقبض عليك ، فلما علم باختفائك عهد الى نفر من أتباعه بتتبع خطى أولادك ، لعلهم يقودونهم الى مخبأك !

ـ ياللانذال !

ـ دعك من هذا الآن ، ولتتناول طعامك ٠٠ لقد أحضرت لك دجاجة مطهية وبعض الخبز والنبيذ ٠٠ فانك بادى الضعف

◆ وأعدت له المائدة ، واذ كانت تعلم بمدى شهية هوجو للطعام ، فانها لم تحتفظ لنفسها بغير شريحة صغيرة من صدر الدجاجة ، وجلسا يأكلان ، والنار تقرقع فى المدفأة ٠٠

وقالت جولييت بعد حين :

ـ لقد أحضرت لك جواز سفر ، ومبلغا من المال ٠٠ فانك ينبغى أن تغادر فرنسافورا الى بلجيكا !

فقطب هوجو جبينه :

ـ مبلغا من المال ٠٠ وكيف حصلت عليه ؟

ــ رهنت بعض حاجياتى ••

ــ لكنى كنت أعتقد أنه لم تبق لديك حلى •• ؟

ــ لقد اقتنيت بعضها، بعد ان سددت أنت جميع ديونى•• وادخرت مبلغا من مصروف البيت ••

◆ لكنها كانت كاذبة ! •• فهى لم تحصل على ذلك المال الا من بعض عشاقها القدامى ، الذين كانوا ما يزالون يحنون اليها ! •• كما انها اقترضت جزءا من المبلغ من مراب ماكر ، أصر على أن يقتضيها فائدة المبلغ المقترض « عينا » ، من حسنها الشهى! •• لكن بشاعة تلك التجربة قد تبخرت الآن من وعيها، وهى جالسة تطعم حبيبها « توتو » !

واستنفد « توتو » طعامه ونبيذه •• واستردت وجنتاه توردهما •• فسأل جولييت :

ــ وجواز السفر •• كيف حصلت عليه ؟

ــ آه ، هذا هــو نصرى الاكبر •• فان صــديقة لى من المعجبات بك ، لها عشيق يعمل فى قلم الجوازات ، وقد أعد لك جواز السفر بعد أن اختلقنا لك اسما زائفا هو « لانفان » ، وان كنا قد احتفظنا لك فيه بسنك الحقيقية: تسعة وأربعين سنة•• والآن ، في وسعك أن تغادر باريس فى أية لحظة !

ــ هذا كلام يقال بسهولة ، لكن واجبى يقتضينى البقاء هنا الى جانب زملائى ، ولا سيما « بودان » ••

فأجابت وهى تخفض رأسها : « آه ، حقا ! »

◆ وارتاب فى لهجتها ، فهتف منزعجا وقد غص حلقه ، وشلت يده التى كانت تحمل « رجل دجاجة » كانت فى طريقها الى فمه :

ــ ماذا تعنين ؟

ــ أعنى أن بودان قد قتل • مات وهــو يقــاتل خلف المتاريس قتال الابطال، بعد أن صاح بالجماهير الجــامدة : « أنظروا كيف يموت الاحرار ! »

ـ بودان قتل ؟ بودان مات هكذا ؟ ياللفظاعـــة ! .. ياللمسكين !

وأعاد رجل الدجاجة الى الطبق ، واعتمد رأسه بين يديه .. وتمحت جولييت دموعه تنساب على خديه !

وحين هدأ انفعاله قليلا ، قالت جـوليـيت تواسـيه : « ان الثـورة قـد فشلت والانقـلاب قـد اسـتقر ، وقبله الشعب .. فلم يبق أمامك غير مغادرة البلاد ، اذا أردت أن تتجنب السجن ، أو ما هو أسوأ منه ! .. فيكتور ، انك شاب وعبقرى ، فلا تيأس .. سـوف يأتى اليـوم الذى تنتقم فيه لمصرع بودان .. وتنتقم فرنسا لابنائها .. »

وصبت له قدحا من النبيذ ، وشرحت له بقية الدجاجة.. ثم أعانته على أن يأكل ، كما لو كان طفلها ! .. وحين فرغ من وجبته ذكرت له تفصيلات الخطة التى أعدتها لفراره : أنهـا سوف تحضر له سترة أحد العمال ، وقبعة عتيقة ، وسـوف يستقل احدى مركبات الدرجة الثالثة الى بروكسل ، كى لا يرتاب أحد فى أمره أثناء الطريق .. أما هى فقد اعتزمت أن تسبقه الى بلجيكا لتعد له مسكنا .. الخ

◆ واذ فرغت جولييت من سرد تفصيلات خطتها ، استرد الشاعر شيئا من مزحه وانشراحه ، فاقترب منها وقد التمعت فى عينيه نظرة فهمت هى مغزاها .. فحاولت أن تدفعه عنها فى رقة وتخاذل.. لكنه اختطفها الى صدره، وأطبق على شفتيها بفمه ، وكأنه يريد أن يلتهمهما التهاما .. وفى ظل المخـاطر المجهولة المحدقة بهما ، انتشى العاشقان بمتع لم يتذوقاها قط من قبل !

الفرار !

وفى الصباح الباكر تسلل هوجو ، فى زى عامل رقيق الحال ، الى « محطة الشمال » بباريس ، كى يستقل القطار الى بروكسل .. كانت المحطة تموج بأفواج « الفارين » من العاصمة

التى تسودها القلاقل ٠٠ ووقف هوجو فى «طابور» المتراصين أمام شباك تذاكر الدرجة الثالثة ، وقلبه يدق صدره بشدة ، خوفا من افتضاح أمره ٠٠ لكن « الازمة » مرت بسلام٠٠ فصعد الى مقعده فى القطار ، حيث انزوى فى أحد الاركان ، وأرخى قبعته على عينيه ٠٠ متظاهرا بالنوم ! ٠٠ وفى لفافة صغيرة الى جانبه كان قد وضع أدوات زينته ، وقطعة من الصابون ، ومنشفة ، وبعض مخطوطاته ٠٠ **وكان بينها الفصل الاول من قصته الجديدة « البؤساء » ، التى اعتزم ان يقدمها عند انتهائها الى ناشر بلجيكى ـ فيما لو صودرت مؤلفاته فى فرنسا ٠٠**

◆ ومضت أفكاره تنهب رأسه بسرعة القطار الذى ينهب به الطريق : انه سيكتب فصلا بعنوان « نابليون الصغير » يهاجم فيه الامبراطور الجديد ٠٠ وفجأة تطفر به أفكاره الى أسرته، وأولاده : ترى متى يراهم ثانية ؟

واقترب القطار من الحدود، الفاصلة بين فرنسا وبلجيكا، فأقبلت اللحظة الخطرة ، الحاسمة ! ٠٠ وصعد مفتشو الجمرك ليفحصوا أمتعة المسافرين : « افتح هذه اللفافة ! » وأطاع هوجو ٠٠ لكنهم لم يجدوا فيها شيئا يريب ٠٠ **وحين تناولوا منه جواز سفره ، غاص قلبه ٠٠ لكنهم ألقوا عليه نظرة ثم أعادوه اليه ٠٠ فتنفس الصعداء ٠٠ لقد نجا ! ٠٠ وبدا له المستقبل الآن أكثر اشراقا ، فبدأ يشارك المسافرين أحاديثهم وثرثرتهم ٠٠ حتى أبطأ القطار فى سيره ، ثم توقف فى محطة بروكسل ٠٠ وبعد لحظات كانت جولييت بين ذراعى فيكتور ، الذى هتف بها :**

ـ ان الكابوس الرهيب قد انقضى ٠٠ وغدوت حرا ٠٠ لكم أعبدك يا حبيبتى !.

يهاجم الامبراطور !

◆ ولم يكد هوجو يستقر فى مسكنه الجديد بالعاصمة البلجيكية ، حتى أرسل الى أسرته ينبئها بوصوله سالما الى «جهة

آمنة» •• ثم استأنف انتاجه الادبى بحماسته المعهودة • «شهر» قلمه ضد غريمه الطاغية « نابليون الصغير » وأعوانه من مدبرى الانقلاب وقامعى ثورة ٢ ديسمبر ، فأوسعهم تحقيرا وامتهانا، وطعنا وتجريحا •• حتى لقد كانت جولييت تنتشى اعجابا وهى تقرأ كتاباته قبل أن تنسخها كعادتها ••

وكان اذا تعب من الكتابة ألقى بالقلم قائلا : « فلنأخذ قسطا من الراحة » وعندئذ كانت هى تهرع فرحة الى سترة من الفراء فترتديها ، ويرتدى هو معطفه ، ثم يستدعيان عربة كى تقلهما الى غابة « كامبر » •• كانت هذه الغابة المهيبة من الاشجار الضخمة تقع على مسافة قريبة من بروكسل • وكانت تتخللها الجداول والغدران التى أقيمت فوقها قناطر خشبية تربط بين ضفتيها •• وكان يكسوها الجليد فى الشتاء ، ويبللها الندى فى الربيع ، أما فى الصيف فكان العشاق يجدون فيها ملجأ لهم وملاذا ! ••• وهناك كان هوجو يخرج من جيبه مطواة يرسم بها على احدى الاشجار العتيقة قلبين يحملان الحرفين الاولين من اسميهما ، ويثقبهما سهم واحد ، ثم يكتب الى جوارهما رقم ١٩ ، اشارة الى انقضاء تسعة عشر عاما على بداية غرامهما •• !

◆ وذات مرة رأيا بعض الغربان تحوم حولهما ، فقال هوجو : « ان الغربان تعمر طويلا •• من يدرى ، لعل هذه قد شهدت معركة واترلو! » •• فسألته جولييت : « متى سنذهب الى واترلوا ؟ » فأجابها : « تعنين الى غابة سوانى؟ فى الاسبوع المقبل ، فانى فى أمس الحاجة الى تغيير الهواء •• »

فى واترلو ••!

◆ وذات صباح جميل ، مضى العاشقان الى الغابة التى شهدت هزيمة نابليون منذ ستة وثلاثين عاما •• وهناك ترجلا من العربة وسارا على أقدامهما ، خلفها بمسافة قصيرة •• ثم قاما بجولة حول بحيرة صغيرة تتوسطها ، فلما عادا من جولتهما

كانت آثار العربة قد اختفت ٠٠ ولمح حيرتهما كهل قوى البنية كان مارا ، فأرشدهما الى مكان العربة ٠٠ ومد هوجو يده الى جيبه لينفح الرجل ببعض المال ، ففاجأه هذا بقوله : « **كلاأيها المواطن هوجو ، أنا أعرفك ، وأشاطرك آراءك السياسـية ٠٠ انى أعيش هنا فى بلجيكا ، لكنى فرنسى ، وقد كان أبى يعيش بالقرب من هذه الغابة أيام معركة واترلو ٠** »

وجاذبه هوجو أطراف الحديث ، فعلم أنه يشتغل بصناعة الزوارق فى « أنتويرب » ٠٠ وهنا أضاف الرجل معلقا :

ـ فى مسقط رأسى بفرنسا يصنعون الزوارق أيضـا ، ولكن ليس بالاتقان الذى يصنعها به القوم فىأنتويرب ٠٠ وان كانوا قد أحرقوا «جان دارك » هناك !

ـ **من الذين أحرقوها ؟**

ـ الانجليز طبعا ٠٠ وهم الذين قضوا على نابليونأيضا٠

ـ **هل حدثك والدك عن معركة واترلو ؟**

ـ بل انه لم يكن ليتحدث الا عنها ٠٠ وأرجو أن لاتتكرر مأساة العم فى ابن أخيه !

ـ **بل انها ستتكرر !٠٠ ان انقلاب نوفمبر سـنة ١٧٩٩ أدى الى واترلو ٠٠ فالى أين سيؤدى بنا انقلاب ديسمبر سـنة ١٨٥١ ؟**

ـ هل تؤاخذنى أيها المواطن هوجو اذا ألقيت عليك سؤالا ؟

ـ **بل لك أن تسأل ماتشاء ٠٠**

ـ لماذا لم تقتل خلف المتاريس يوم ٢ ديسمبر ، مثـل المواطن بودان ؟

فأجابته جولييت غاضبة :

ـ لان الزعيم ينبغى أن يصون نفسه كى يدبر الانتقام٠٠ ان نابليون لم يقتل فى واترلو !

وأردف هوجو وهو يبتسم فى مرارة :

ـ **لقد كان أصدقائى ، وفى مقدمتهم بودان نفسه ، هم**

الذين منعونى من القتال خلف المتاريس ٠٠ وسوف تذاع هذه الحقيقة يوما على الملأ !

◆ ثم افترق هوجو وجولييت عن الكهل ٠٠ لكن ذلك السؤال المحرج الذى بدر من الرجل ترك فى نفس هوجو أثرا موجعا !٠٠ أدرك منه أن أعداءه قد استغلوا نجاته فأشاعوافى كل مكان أنه كان مختبئا فى الوقت الذى قتل فيه زملاؤه !٠٠ وفى الليالى التالية أصيب هوجو بكابوس متكرر كان يرى فيه نفسه خلف المتاريس ، وسط الرصاص المنهمر حواليه ، والى جواره جثث الضحايا وأشباح بودان ، ووالد الكهل ! ٠٠ وفى اللحظة التى كان الكابوس يبلغ فيها غايته كان هوجو يستيقظ صارخا مذعورا ، ليجد جولييت تهدىء من روعه هامسة : «انه كابوس لاحقيقة ياحبيبى ، فلاترتجف ٠٠ هأنذا معك ، أناجولييت التى تحبك ولن تتركك أبدا !»

فى فراش الامبراطور !

◆ وانقضى الشتاء ، لكن الاشجارلم تكن قد أورقت بعد ٠٠ وغام على الافق ضباب وردى حين مرقت عربة العاشقين من غابة «سوانى» واقتربت من البقعة المشهورة التى حلت فيها بنابليون كارثة واترلو ، والتى أقيم فيها فندق صغير جميل لاستقبال السائحين ٠٠ واستقبلهما صاحب الفندق فخورا باستضافة الشاعر الذائع الصيت ، الذى رغم مهاجمته لنابليون الثالث جاء يحيى ذكرى عمه نابليون الاول !٠٠ والواقع ان هوجو كان شديد الاعجاب بالاخير ، بحيث كان يقارنه بالاسكندر وقيصر ٠٠٠

وأثناء الغداء تنبهت جولييت الى أن صاحب الفندق قد سلم الى هوجو رسالة من امرأة لم يذكر اسمها ، فدس هذا الرسالة فى جيبه الايسر دون أن ينبس بحرف !٠٠ ثم خرج العاشقان برفقة دليل الى مكان المعركة ، فتفقداه وأصغيا الى شرح الدليل لتفصيلات الكارثة ٠٠ وأثناء عودتهم بدأ المطر

ينهمر ، فلجأوا الى بيت ريفى كان نابليون قد نام فيـــه ليلته السابقة لنشوب المعركة ٠٠ وهناك طلب هوجو غرفة يبـــدل فيهامع مرافقته ثيابهما المبللة ٠٠ وأدركت جولييت ماينتظرها منه ، فقد كانت أعرف الناس بشغفه الدائم باغراق انفعالاته الحادة فى كل مناسبة فى أحضانها الشائقة ٠٠

◆ وبعد أن رفعا تقدمتهما الى آلهة الحب ، فى الفـــراش الذى قضى فيه الامبراطور ليلته الاخيرة القلقة قبيل أفول نجمه !٠٠ انتهزت جولييت فرصة استغراق هوجو فى النعاس وتسللت على أطراف أصابعها الى حيث علق سترته ، فتناولت من جيبها الرسالة المريبة التى كان قد تلقاها أثناء تناول الطعام ٠٠ وقرأت فيها هذه العبارات :

« سيدى ومولاى الذى أعبده وان لم أعرفه ٠٠

« قيل لى انك فى واترلو ، فجئت بمفردى الى هنـــا ، كى أضع وقتى تحت تصرفك ٠٠ ان زوجى بلجيكى يشتغل بالصناعة ٠٠ لكنى أنافرنسية ، ومؤمنة بالمبادىء التى تدعو اليها ٠ وانى لمعجبة بشجاعتك وأود أن أعرب لك عن اعجابى هذا فى خلوة تامة ٠ سوف أنتظرك طيلة النهـار والمســاء فى فندق (ولنجتون هاوس) الذى لايبعد عن فنـــدقك أكثر من خطوات ٠٠ فاستدر الى اليمين عند خروجك منه واســأل عن « مدام فورتين » وسوف يرشدك حارس الباب الى مكانى ٠٠ وأرسل لك برفقة هذا صورتى الفوتوغرافية ٠٠ »

« أديليد »

◆ وكانت الصورة المرفقة لحسناء فاحمة الشعر ترتدى ثوبا يكشف عن أعلى صدرها !٠٠ واذ فرغت جولييت من تأملهـــا أعادتها والرسالة الى مكانهمـــا ثم عادت فاضطجعت بجانب فيكتور ، الذى كان شخير عال ينبعث من فمه !٠٠ وبدأت تعد عدتها لضبط الواقعة ٠٠!

اقرأ الجزء التالى من الكتاب فى كتابى القادم ٠

بريد كتابى

(بقية المنشور على صفحة ٥)

◆ ومع ذلك لم ينقطع ـ حتى كتابة هذه السطور ـ سيل الرسائل الكريمة التى يطالبنى أصحابها .. بالعدد الاول !.. وكلهم يحملنى مسؤولية نقص مجموعته من « كتابى » ، التى يعتز باستكمالها اعتزازا اكاد معه ان اخجل من نفسى ، لعجزى عن اجابة طلب قراء اعزاء هذا مبلغ اعجابهم بالكتاب ، وتحمسهم له ، والحاحهم فى طلبه ..!

ازاء ذلك اراني مضطرا الى تحمل « المسؤولية » التى يابى أصحاب تلك الرسائل المشكورة الا أن يحملونى اياها .. وعلى هذا فانى اعدهم جميعا باعادة طبع العدد الاول من (كتابى) قبل أن تكتمل اعداد المجلد الاول باذن الله ، حرصا منى على ان يستكمل مجموعته من الكتاب كل من ينقصه ذلك العدد ..

◆ والا فكيف أستطيع ان ارفض طلبا لقارىء كريم يقول :

« يعز على كثيرا أن احرم من قراءة العدد الاول .. لذلك اتشرف بان ارفق طيه اذن بريد رقم ٥٧١٧٨ بمبلغ عشرة قروش برجاء التكرم بارسال العدد الاول باقرب فرصة . ولن التمس لكم أى عذر مهما حدث لانكم مكلفون بارضاء جمهوركم الحبيب .. فلكم أن تعيدوا طباعته .. تصرفوا .. المهم يصلنى الكتاب !

المخلص فايز يوسف ـ شركة اخوان سلوم «كبس» الاسكندرية

◆ .. او كيف اضن باية تضحية على القارىء العزيز الذى يقول فى ختام رسالة اطراء كريمة مستفيضة : « لذلك ارجو ان تتكرم فتقبل اشتراكى السنوى فى (كتابى) ، على أن يكون من العدد الاول ، حتى لا يفوتنى من هذه المجموعة الثمينة شىء .. وانى يا سيدى فى انتظار ردك الكريم لارسل لك المبلغ الذى تطلب للاشتراك السنوى بما فيه العدد الاول مهما بلغ الثمن ولو كان اضعاف الـ ٨٠ قرشا .

ملازم أول : عادل البتانونى

مساعد مدير ادارة الملاحة الجوية برئاسة السلاح الجوى الملكى

◆ وانا اؤكد لك يا سيدى اننى لم اكن لاضن عليك بالعدد الاول لو كان موجودا ، واننى لا اطلب او اقبل فيه اكثر من ثمنه المعتاد .. فاكرر اعتذارى وشكرى لك ، ولصاحب هذه الرسالة التالية التى بنفس المعنى : « ابعث اليك

برجاء اثق انه سوف يجد طريقا الى قلبك ، فتبادر بتلبية طلبى هذا ، حبا منك فى ابناء وطنك وارضاء لضميرك ٠٠ ماذا تظن عساى ان اطلب وارجو واستعطف ؟٠٠ نسخة من العدد الاول ــ وانى اقسم لك بشرفى انى لن اتوانى لحظة عن ارسال اى مبلغ تطلبه ثمنا لها ، مهما ارتفع ٠٠ وان اردت ان استبدل لك اوراق كتابى باوراق نقدية فلن تجدنى ان شاء الله الا من الملبين لطلبك ٠٠ وانى لكم من الشاكرين

حسين حسن أغا ــ مخزنجى بسجن بنى سويف العمومى

◆ وفيما يلى ما يسمح المقام بنشره من آراء القراء الاعزاء الذين طوقوا عنقى بتحياتهم المشكورة لكتابى ، انشرها حسب ترتيب وصولها ، مكتفيا من كل منها ببضع عبارات ، كى يتسع المقام لاكبر عدد منها ٠٠ واعتذر سلفا لاصحاب الرسائل الباقية التى سأرجىء نشرها ــ مضطرا ــ الى العدد القادم ٠٠

◆ « لا اكتمك ان ظهور كتابى قد ادهش الناس ، وتركنا جميعا نتساءل : كيف هذا ؟ وهل هذا صحيح ؟ انك والحق يقال قد نلت بكتابك المكان الاسمى من نفوسنا ٠٠ »

محيى الدين برادة
سكرتير مكتب الخطوط الجوية السعودية بالقاهرة

◆ « عند ما قدمت لنا « كتابك » الاول كنا نعتقد ونتوقع أى احتمال الا ان ياتى « كتابى » بابدع ما كتب الكتاب واتقن ما اخرجت المطابع واجمل ما جادت به انامل الفنانين ! ٠٠ »

حامد محمود ــ كلية الحقوق جامعة فؤاد الاول

◆ « شاهدت وعاصرت مولد الكثير من الكتب والمجلات ، ولكن لم يخطر لى مرة واحدة ان اكتب تهنئة لكاتب ، ليس بخلا ولا انتقاصا لقدر احد ٠٠ ولكنى لم اجد الدافع الكافى للكتابة ٠ وفى « كتابك » وجدت من الدوافع ما لا يقاوم لكى اقدم لك اجمل آيات التهنئة والتبريك ٠٠ فالى الامام

المخلص : **كمال ابراهيم** ــ شارع وادى السير ــ عمان

◆ « انك قد ضمنت كتابك قطعا منتقاة من الادب الرفيع ، غير مبال بما يقال من ان هذا اللون من الادب لا يروج ، فجاء الكتاب مفيدا ومسليا فى وقت واحد ، بحيث يربى الذوق الادبى وينمى الثقافة الفنية فى الجمهور ٠٠ دمت للادب والفن ذخرا »

صلاح الدين كامل ــ أمين الشهر العقارى بسوهاج

◆ « لقد نال كتابى من اعجاب القراء حد الإعجاز ‥ وقد قراته علة مرات ولا زلت استعيد قراءته لا أمله ‥ انه انتاج جبار يجمع بين القــوة والاناقة وعمق الفكرة ‥ فشكرا ، وشكرا جزيلا ، والى الامام ‥ والله معك ومحبى خنك من القراء ‥ »

اسماعيل القاضي – مستشفى «مدلسكس» – لندن

◆ « ‥ ان كتابى قد شق طريقه متخطيا كل الصعاب والعقبات ، واحتل مكانه اللائق به فى العالم الادبى ، وانى لاسعد الناس اذ اراه يتقــدم بخطى واثقة نحو المجد والكمال ‥ وانى اذ اهنئكم ارجو ان لا تسمحوا للقصص العالمية بأن تنال القسط الاكبر من عنايتكم ، فإن مقدرتكم فى القصة المصرية مقدرة لا تتاح ولم تتح الا لعدد بالغ القلة فى أدبنا الحديث ‥ »

دكتور أحمد بدران – العمرانية

◆ « ان مشروع (كتابى) – فى نظرى – هو امتحان للعقلية الادبيــة والنهضة الفكرية فى هذا البلد ، فان نجح فالبلد بخير من هذه الناحية ، والا فقد ظهر قبل اوانه او بعث لغير اهله ‥ »

حليم رزق الله – ٣٥ شارع خلاط بشبرا – مصر

◆ « حاولت ان استنتج الدافع لكم على بذل كل هذا المجهود ، فلم اهتد الى غير جواب واحد : هو انك « اديب » يحب ان يزيد من ثقافة قراء العربية ، مهما صرف من مال ومهما تكلف من مشقة ‥ »

زكريا محمد عيسى – الاسكندرية

◆ لقد اشرق علينا سنا مشروعكم الجليل الغالى ، الشكور الجبار ‥ ولعل اقل وصف له انه مشروع ثقافى انسانى ‥ »

أحمد الحاج عبد الكاظم الكروى – بغداد

◆ « ان مشروعكم الكريم لم يولد طفلا يحبو ، وانما بدا عملاقا يتحدى فى قوة ويشمخ فى اعتداد ‥ وحسبك ان غرسك الذى تعهدته مخلصا قد اينع وازدهر ، واصبح حديث الناس فى كل مكان ‥! »

محمد رشدى حميدة – دمنهور

◆ « كنت احد الذين انتظروا كتابك الجديد بفروغ صبر ، فقلمك ليس بجديد على ، وروحك المرهفة الحساسة لها عندى قدر كبير ‥ فلما ظهر (كتابى) وجدت فيه كل ما توقعته لشخصك الجرىء ، فهو نموذج جميل لكتب الثقافة الطازجة الحية ‥‥ »

أديب توفيق حنا – كلية الهندسة

◆ قرأت لك (عندما تحب المراة) و (قلوب تحترق) ، فاعجبت بهما .. فلما قرات (كتابى) ملأنى العجب ، بودى ان اشد على يديكم مهنئا .. »

يحيى حسين ــ موازين اسكندرية

◆ « دعنى أشد على يدك بعنف واقول اننى من زمن بعيد آتمنى شيئا مثل (كتابى) ينقل الينا ثمار الفكر الاجنبى والثقافة الرفيعة كما تسميها .. فلك منى تحية ، وعندى لك دعاء ، للفكرة أن تستمر ، وللعزيمة أن تزداد ، وللايمان أن يقوى ابدا ودائما . »

مراد عزيز ــ بكالويوس هندسة ــ شبرا مصر

◆ « دعنى اهتف لكم ــ كما هتف كل من قرا كتابى ــ الى الامام ، والله الموفــق . »

القارىء الدائم : فؤاد فاضل ــ حلب ، سوريا

◆ « اهنئكم لنجاحكم الباهر فى هذا المشروع الجليل ، ولا يسعنى الا أن امتدح ذوقكم الرفيع فى اخراج هذا الكتاب الفريد فى نوعه . »

دكتور محمد عبد المنعم توفيق ــ الروضة ، القاهرة

◆ « لم اعجب بمشروع ثقافى ظهر كما اعجبت بمشروع (كتابى) ، الذى يمتاز بميزات جليلة ذات فائدة ثقافية محققة ... »

فتحى محمد القران ــ المحامى

جهاز فهجر

المسجل دوليا لتدليــك الحويصــلات المنوية والبروستاته المتضخمة لمعالجـة العقم والارتخاء والامراض الاخرى وقد اعترف معهــد الابحاث بفائدته كما وان نقابة الاطبـاء صرحت بالنشر عنه لمخترعه الدكتور فهمى جرس فهجر

٦٦ شارع ابراهيم باشا بمصر

تليفون ٥٦٢٠٤

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
بريد كتابى	٥
آخر قطار الى السعادة : قصة مصرية للمحرر	٧
عندما ترفع الستار : روائع المسرح العالمى	٢٤
سلاح المرأة : كوميديا تمثيلية كبرى لاريستوفان ...	٢٥
الخالدون : عظماء .. فى غير السياسة	٣٦
اميل زولا : مؤلف نانا .. وبطل قضية «دريفوس» ...	٣٧
حوافز الحياة : النفس والجنس والمجتمع	٦٠
حواء الجديدة : للدكتور ج.كورتنى بيل	٦١
كتب الاولون : كنوز الكتب القديمة	٨٤
اميل : للفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو	٨٥
الحياة قصة : روائع القصص العالمى	١١٢
التلميذ، أو (عندما يضل الشباب) : لبول بورجيه ...	١١٣
الجريمة والعقاب : من قصص الجاسوسية العالمية	١٣٨
القطة : لكورت سنجر	١٣٩
خلف النوافذ المغلقة : من قصص عباقرة الانسانية ...	١٥٦
مأساة قلب : فيكتور هوجو فى حياته الخاصة	١٥٧
بقية بريد كتابى	١٧٣

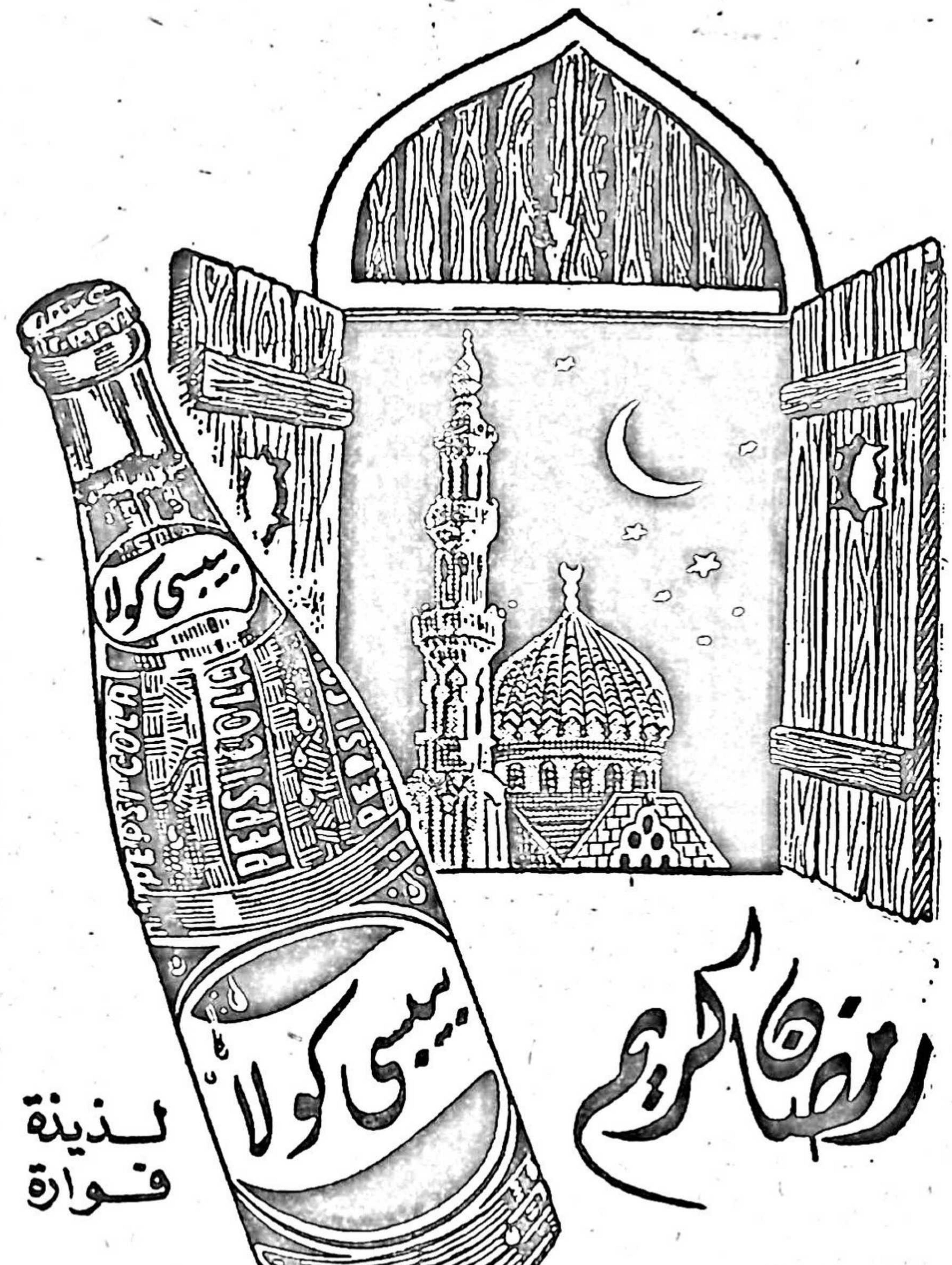
بيبسي كولا
PEPSI-COLA
بيبسي كولا
رمضان كريم
لذيذة
فوارة
SDMO
معبأة بالشركة الوطنية المصرية لتعبئة المرطبات ش.م.م

كتابي

الرابع

محتويات الكتاب

آخر قطار الى السعادة : قصة مصرية للمحرر • سلاح المرأة : كوميديا من روائع المسرح العالمي ، للأديب اليوناني الخالد "أريستوفان" • اميل زولا : قصة حياته وكفاحه في سبيل الأدب والعدالة – من قصص العظماء .. في غير السياسة • عندما يضل الشباب (أو "التلميذ") : من روائع القصص العالمي ، للروائي الفرنسي الكبير بول بورجيه • حواء الجديدة : مرشد الفتاة العصرية المستنيرة إلى مستقبلها ، بين العمل والزواج ، للباحث النفساني والاجتماعي الدكتور "كورتني بيل" • "اميل" (دستور التربية) : تحفة جان جاك روسو الخالدة – من كنوز الكتب القديمة • القطة : الجاسوسية الفرنسية التي تفوقت على "دليلة" و"ماتاهاري" – من قصص الجاسوسية في الحرب الأخيرة • مأساة قلب : من قصص العباقرة في حياتهم الخاصة